نباريس الموت

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: نباريس الموت

اسم المؤلف: يحيى عمري

التدقيق اللغوي: خلود أحمد

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٠٠٢١ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٧٢-٩-٩

مسار للنشر والتوزيع

Massar publishing & Distribution

ش- حسن خطاب – قسم يوسف بيك – الزقازيق – الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

نباريس الموت

يحيى عمري

مسار
للنشر و التوزيع
Masaar publishing & Distribution

إهداء

من روضة وجداني الآسر، إلى نجمي الذي شاء الله أن يعبر: والدي رحمه الله

ومن باحة ربيعي الساحر، إلى نجمتي التي بمنّة الله بقت أنوارها تغمر: أمي الحبيبة أدامها الله من بداية الرحلة... وحتى بلوغ المقصد.

شكر وتقدير

بسم الله، والحمد الله هادي كل قلب ومولاه، مؤنس القلب في شكواه، وميسّر المرء إلى رجواه، هذا وأصلي على هادينا محمد صلى الله عليه وسلّم ما سارت كواكب السماء، وتلاقت عيون الوفاء، في الليالي الظلماء، وفي النهار الوضاء، وعند الصبح والإمساء.

إذن، أولا، وقبل كل شيء، الحمد لله الذي لولا توفيقه لما كان هذا العمل ليتقدّم ولوخطوة واحدة، ولولا تثبيته عزّوجلّ، لاستسلم كل شيء داخلي وتمّ التخلي كلّيا عن هذا المشروع، ولولا منّته العظيمة، لضاع مجهود سنين جدّ مضنية خلال لحظة خاطفة... فلله الحمد في الأولى والآخرة.

أتقدم بجزيل الشكر إلى أختي مريم على مراجعاتها الطويلة لهذا الكتاب، وأتوجه كذلك بخالص شكري العميق لفريق العمل في دار مسار المصرية للنشر والتوزيع على دعمهم لي، وأياديهم المفتوحة التي تلقتني حين كدت أفقد الأمل كليا في إمكانية جعل هذا الكتاب يرى النور، وخاصة على صبرهم الجميل والطويل.

الكثير من الذكريات التي لا تزال راسخة ببالي، والكثير من الذكريات لا تزال تداعب خيالي. إذن، تقديري موصول ومن أعمق عمق في أعماق قلبي إلى آلاف... لا، بل ملايين من الفراشات البديعة التي حلّقت في سمائي وما فتأت تحوم حولي حتى بعد رحيلها من هذا العالم، وامتناني العظيم موصول كذلك إلى ملايين، ملايين من اليراعات المضيئة، الرائعة والمميزة التي لا تزال

تنير دربي من خلال دعمها وبقائها قربي في اللحظات الصعبة والأوقات المريرة، بكلّ صدق، ودون أيّة مبالغة، ما أنا إلا مجرّد ريشة صغيرة ارتفعت في السماء ولم تسقط على الأرض، لأنّ أجنحة الملايين لا تنفكّ تخفق بقربي...

هذا ويستحيل الختام في هذا المقام دون أن أشكر أخويّ، وصديقيّ، عمر عنّان، الذي أبى إلا أن يشقّ معي كل درب صعب برحابة صدر، وياسين توّام الذي لن أبالغ مقدار ذرة إن قلت أنه الفارس الذي حرّر هذا الكتاب بعد أن علِق بين الظلمة والنور.

سلام..

مقدّمة

عبقرية وشغف، من عالمين مختلفين كلّيا، امتزجا في عقل بطل هذه القصة، " لونفيروكيمرّاي "، الذي مات منذ ما يقارب الثلاثة قرون.

رحل تاركا لغزا محيرا حول حجم الإرث الذي خلفه بعد رحيله. فهوسه بماهيّة الروح المسجونة، ولّد لديه عبقرية مجنونة، شغفه الشديد لرسم المحبوبة الروحية، دفعه لتجسيد مفاهيمها السحرية. بهذا بقي إرثه محصورا بين عبقريته الجامحة، واضطراباته الواضحة، بين أحاسيسه المكبوتة، وانفعالاته الموقوتة، بين دعواته الخافتة وتوسلاته الصامتة... بين دموع حزنه العارمة، ودموع فرحه الناعمة... مضت عقود دون أن يُفنّد أويُؤكد وجود إرثه من عدمه بالنسبة للكثيرين.

حين اقتربت أيادٍ تعمل في الخفاء من قطع شوط كبير نحوكشف الإرث، وطيّ آخر الصفحاتً في قصة لونفيروكيمرّاي، تحرّرت عصافير عوالمه وتلألأت نجوم معالمه، رفرفت أجنحة العصافير في سماء أفكاره، وسطعت أنوار النجوم في سماء أسراره، بهذا انهار كل شيء بالنسبة لهم، والسبب أنهم اتخذوا خطوة خاطئة، والطرق الخاطئة تغري من يتخذها دون أن توصله إلى وجهته!... وبهذا فقد أشرقت بداية جديدة لقصة " لونفيروكيمرّاي ".

إذن، هذه القصة، سوف تتبع مسار الأحداث التي ستكشف الغطاء عن أحد أهمّ الأسرار الغامضة في تاريخ أرض هورايكام المتوارية، وهذا بعد تعاقب عدة أجيال، ابتداء من الشرارات الأولى، ومرورا بكل الأسرار التي

تركها لونفيروكيمرّاي وعمل على حمايتها، والظلال السوداء التي رغبت بشدة في ملامستها، وكذلك الدوافع العميقة التي أدّت إلى كل ما حدث، انتهاء بالوصول إلى: " الأسود الجميل للونفيروكيمرّاي ".

" الاكتشاف امتياز لدى الطفل، أقصد الطفل الصغير: الطفل الذي لا يخاف من أن يكون مخطئا مجددا، من أن يبدومثل أحمق، من أن لا يكون جدّيا، وأن يعمل بطريقة مختلفة عن أي شخص آخر. هوأيضا ليس خائف من المذاق السيئ للأشياء التي هومهتم بها، أوأنها تتغير لتكون مختلفة عن توقعاته، عمّا يجب أن تكون عليه. أوإلى حد ما هوليس خائف مما ستكون عليه في الواقع ".

- ألكسندر غروتيندِيك

تمهيد: المجنون " لونفيروكيمرّاي "

"مواهبك تكمن في المكانة التي بها قِيمك، العواطف والقدرات تلتقي. اكتشاف هذه المكانة هي أوّل خطوة نحونحت تحفتكِ، حياتُك"

ميكيلانجلوبوناروتي

قبل ٢٧٠ سنة... أي حوالي ١٧٠٠ بعد ميلاد المسيح عليه السلام..

لم يسترعي المنظر البديع للشمس الغاربة انتباه " لونفيرو" الذي كان مضطجعا على جنبه الأيمن في مرج مترامي الأطراف ينتظر قدوم أحدهم. مد بصره إلى السماء... لم يستطع حبس دموعه التي سالت على وجنتيه، قال: إلهي، أنا جدّ خائف، لا أريد أن أفقد وعيي بذاتي مجددا، إلهي أنت وحدك أدرى، أنت أدرى مني، إن روحي تتعذب بشدة وترنوفقط إلى الخلاص ولا شيء سواه، لا، بل إنها تتوسل للخلاص، حالتي ليست مستقرة، وسلسلة الاضطرابات قد بدأت تأخذ منحى آخر، ما وجهتي؟. إلهي، أنت وحدك مرشدي.

مسح دموعه وتابع قائلا: حبا بالله، هل هذا حلم؟. لأن القلب يودّ أن يحيا في حلم. هل كل الأمنيات أصبحت حقيقة أم هي فقط مجرد أكاذيب؟. لكن إن كانت حقا أكاذيب، لماذا لا أجد سبيلا لفهم ما وراءها من ألاعيب؟

أخرج نفسا عميقا ثم تابع قائلا: لا، لست أعيش في حلم، الحمد لله، فقد رسخت إرثا لم يكن لمن كان قبلي... يراودني شعور بأن أجراس الرحيل إلى ذلك العالم حيث تتضح الحقيقة الراسخة قد بدأت تدقّ بالنسبة لي ولا أرجوإلا لحسن المصير... آمين.

كان شاردا مع نفسه، حتى أنه لم يشعر بأنه قضى ساعة في تحديث نفسه. استوى قائما ثم مشى قليلا حتى صار عند منحدر سحيق.

قال: نيمايسول، طائركِ المجنون يقف عند الهاوية بعينيه الممتلئتين بالدموع، ومحبوبته الروحية ابتسمت بطريقة صامتة، ماذا سيفعل؟

أغمض عينيه وأسقط بواقي دموعه ثم تابع قائلا: تتجاوب أصداء الفضاء الشاسع حولي... أشعر بنسيم هادئ تتمايل معه الزهور، تمتدّ همسات خافتة كأنها تتدفق من أعماق روحي، همسات رقيقة تقول: لونفيرو، لست شخصا مخيّبا للآمال، لذلك دع عنك كل تلك الأوهام، واحتضن أحلامك في صفحة الأيام... فجأة هبّت ريح خفيفة، وأخذت خصلات شعره اتجاه الرياح... أدار رأسه وابتسم. لحظات وعاد للجلوس. نظر إلى بدر السماء هذه المرة وقال: القمر مكتمل، وهناك إحساس، أجل، إحساس قوي يقول أن قصتي سوف تكتمل فجر هذا اليوم، أعتقد بشدة أن ساعة الرحيل قد تكون مع الساعات الأولى للفجر. تابع قائلا: لكل قصّة عظيمة دوافع صارمة، تفرض قيودا رئيسية لتأسيس عوالم مثالية، مهما كانت طريقة كتابتها. بغضّ النظر عن الشغف وما قد يريده الإنسان في حياته، أعتقد أنكَ كنت دافعي. لا زلت أذكر تلك العظات التي قدّمتها لي، أذكر تلك الابتسامة الصامتة وأنت تربت فوق كتفي. خلف العظات التي قدمتها كانت تختبئ ملايين من الأمنيات... خلف ابتسامتكَ الصامتة كانت تختبئ ملايين من

الضحكات... لذلك حلقت... حلقت عاليا إلى سماء عالمها، لدي جناحان، في كل لحظة يرفرفان، لكن الآن، لا أعرف إلى أين أطير، لقد أربَكتني!. لم أجد إلى الآن تفسيرا لمحياها، أعلم فقط أني قمت بعمل جبّار وربّ العرش وحده من سوّاها... أجل، ربّ العرش الذي صوّرني من عدم، هووحده الذي سوّاها، أنا قمت بفعل شيء واحد فقط وهوأني رسمتها... علت محياه ابتسامة ثم قال: حتى أني لم ألونها، هذا لأني رسمتها ملونة!. مع هذا الإحساس الذي يراودني هذه الليلة بأني على وشك الرحيل، لا أريد إلا أن تتجسد معاني محياها، وأن يشع نور لمن أبهج دنياها، فما للقلب حيلة غير أن يهواها. قلت لها لا تنظري أبدا إلى أعماق قلبي التي تتلألأ بأنوار حبك وانظري إلى قلبي المكسور، رغم كل ألم لا زال يقول أنه على حبك مجبور، الآن أجهل سبيل الخلاص، حبا بالله، ماذا سأفعل؟

تلاشيتُ يا حبي... تلاشيت... والله حسبي... كنتِ البداية لحبّ انجرفت خلفه كليا، حب من نوع آخر، عميق جدا، صار يتغَلغل عبر ذرات جسدي الذي استنزفته عواطفك، حبّ من الصعب رؤيته والأصعب من ذلك إدراكه. سالت دمعة من عينه، لكنه سرعان ما ابتسم وقال: بعد كل تلاق كان يأتي الفراق، والآن لا يوجد سوى البقاء أمام المحبوبة، لكن دون العناق!. هذا الألم، ما أقساه... أجل، كذلك ما أحلاه!...

فجأة سمع لونفيروصوت خطى تتجه نحوه، كان "لياريسيام"، الشخص الذي ينتظره لونفيرو. ما إن جلس لياريسيام بجانب لونفيروحتى قال هذا الأخير: لياريسيام، صحيح أنني جد مشوّش، لكن أفكاري المتشابكة كلها متناغمة على نسق بديع جدا!. الأوهام تتربّص بي، لكنني على يقين تام بأني الآن لا أعيش وهْما وأظن أنه يمكننا أن نبدأ... لنبدأ إذن.

رفع لونفيرورأسه، وأزاح خصلات شعره التي كانت تتدلى على وجهه ثم التفت إلى لياريسيام قائلا: ماذا هناك حتى جعلتني أغادر كوخي الصغير الجميل وآتي إلى هنا؟

سلّم لياريسيام مخطوطة إلى لونفيرو، ثم قال: رسالة من نيمايسول، تقول أنها مشتاقة إليك، وتتوق لرؤيتك، وتعتقد أنّ الوقت قد حان لتبقى بقربها، وتبقى بقربك. ابتسم لونفيروثم أمسك بالمخطوطة وضمها إلى صدره. قال في سره: طائري الحبيب مجنون، يشتاق وهومعي في كل لحظة!. سرعان ما نظر إلى لياريسيام قائلا: نيمايسول اشتاقت إليّ، ماذا عنك؟. قال لياريسيام: من البديهي أنني اشتقت إليك يا بني، لكن هناك ما هوأهم من الاشتياق. سادت فترة وجيزة من الصمت ثم تابع كلامه: ألا تعتقد أنه يجب إعادة النظر فيم فعلتَه؟

ابتسم لونفيروابتسامة خفيفة ثم قال بكلّ تواضع: تعلم أني من عالم آخر!

قال لياريسيام: لا شكوك، أقصد أن هذا من المسلّمات، لكن هلا شرحت لي كيف تمكنت من فعل ذلك يا بني؟

أجاب لونفيرو: كلنا سوف نرحل من هذه الحياة، لكن لكل شخص طريقته في الرحيل، لم أكن أدري إذا ما كنت أعيش أوهاما سوداء أم أحلاما وردية، لكن نظرا إلى أحلامي "المجنونة"، النيّرة منها والسوداء على حدّ سواء، كان يجب أن أنشأ في ظل فكرة مجنونة وقد كنت تكفّلت بالأمر مذ كنت طفلا صغيرا. كنت ألعب مع الأطفال، نمرح هنا وهناك، فجأة أصرخ بأعلى صوتي حتى أشعر أن حبالي الصوتية ستنقطع... صرخ لونفيروبأعلى صوته جاعلا الصدى يتردد حولهما: لونفيرو، تعال إلى هنا... هنا... هنا.

أخرج نفسا ثم تابع يقول: كان الأطفال يتساءلون، ماذا يفعل بندائه

لنفسه؟. لم يكونوا يفهمون، كنت أصدمهم. أما أنا فكنت أذهب إلى المرآة وأقول: " ضع يديك خلف ظهرك وأنصت إلي جيدا ". كنت متيقنا أني لا أحدث نفسي إنما ذلك الصبي خلف المرآة هومن كان يكلمني، وقد كنت " أنظر" إليه، لا إلى نفسي!. كنت " أصغي " إليه لا إلى صوتي!. الحقيقة أن ذلك الصبي نفسه هومن كان يناديني!

كنت أضع يدي خلف ظهري مباشرة ثم أنظر إلى ذلك الطفل القابع خلف المرآة بعيون تملأها البراءة... أجل، البراءة...، بعدها أقول: " إذا أردت تحقيق شيء كبير، 'يكفي' أن تكون متواضعا وحولك أناس يقولون أنك تستطيع، أوأن تكون مغرورا وحولك أناس يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت - تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، 'فيجب' أن تكون متواضعا بين الناس ومغرورا مع نفسك".

وهنا بالذات حصلت المشكلة في كوني أجمع بين المتناقضات، أنا بريء لكنني جعلت نفسي تنشأ على أن التناقض شيء جدّ عادي، التواضع والغرور، متضادان نشأت عليهما، ماذا سأفعل؟. التناقض، قد يكون مفتاح التوازن وقد يكون مفتاح الجنون، لكن في حالتي، هومفتاح لكليهما. تابع لونفيروكلامه: لذلك يا لياريسيام، منذ سنوات طفولتي الأولى وجملة واحدة تتردد في عقلي، أثناء وعيي وفي أحلامي، ألا وهي " تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته"، " تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته "... شكلت هذه الجملة هوسا لا يمكن تخطِّيه، حدوث عكسها صار هاجسا يقلقني وحاولت أخفيه، لذلك نادرا ما كنت شخصا جدّيا في عالمي الواقعي، في أغلب الأوقات كنت غير مبال البتّة، لكنني كنت جدّيا كل الجدّ في عالم الأحلام... صمت لوهلة ثم قال: أَجل، كنت جديا... وهذا في كل لحظة وكلّ نفَس.

بعد سنين من العمل الجبار والمؤثر، والصبر الجميل، وفي صمت مطبق، ماذا جنيت؟. عدت إلى تلك المرآة، لم أنظر إلى نفسي إنما نظرت إلى ذلك الصبي الصغير. شعرت كأني عدت بالزمن إلى سنوات طفولتي، أصغيت لذلك الصبي - "لونفيروالصغير" وهويقول:

" إذا أردت تحقيق شيء كبير، 'يكفي' أن تكون متواضعا وحولك أناس يقولون أنك تستطيع، أوأن تكون مغرورا وحولك أناس يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت - تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، 'فيجب' أن تكون متواضعا بين الناس ومغرورا مع نفسك".

حين انتهى "ابتسمت له"، ثم قلت: أعلم جيدا، أنتَ أنا، زاد طولك كثيرا، لكنك بقيت نوعا ما قصيرا، تغيرت ملامحك قليلا، حتى أنك أصبحت جميلا، أطلت شعرك الأسود والجميل كثيرا، وتبدوالآن شابا وسيما، لكنك لم تضع أي استثناء، لذلك لم يكن لي الحق أبدا في وضع أي استثناءات. أتذكر جيدا عندما تلاشت ابتسامتي وخفق قلبي بشدة وضاق نفسي في لحظة خاطفة، ثم بقبضة محكمة من يدي كسرت المرآة بقوة وقلت: اصمت الآن يا لونفيرو، اصمت، فحتى أنت لن تفهم!

لا أحد فهم طبيعة الاضطراب الذي أعانيه، هذا الأمر يمزقني من الداخل، يعذب روحي. أجل، أنا والشخص الذي كان خلف المرآة، شخص واحد، لكن من منهما أنا!... أقصد من هولونفيرو! أنا دمّرت الشخص الذي كان خلف المرآة، ودمّرت نفسي بعمل مرهق، وهنا بالذات بدأ الارتباك يحدث، أيقنت أن مرضي يتلخص في عدم قدرتي على إدراك ذاتي، صحيح أنني قد فقدت كينونتي في عوالم حبي.. لكن لا أعتقد أنّ هذا هوالسبب وراء عدم قدرتي على إدراك ذاتي...

قال لياريسيام: لم أفهم غرورك مع نفسك، لا زالت تحيرني طبيعة اضطرابك، لكن لونفيروبنيّ، ألا تتمنى لوأنك دمّرت ما سرقته؟.

ابتسم لونفيروقائلا: لا تحاول فهم كل شيء، لا تتصرف وكأنك لا تعرفني، تعلم يقينا أني كنت أحلّ مشاكلي بإيجاد مشاكل أكبر من المشاكل التي لديّ وليس بإيجاد حلول مناسبة.

– لا تقلق، لن ألومك وقد بدأت أظن ما يظنه جميع الناس وهوأنك مجنون!. قال لونفيرو: كذلك ظنوا أن كل ما أحقّقه يتحقّق لأن القدر يوافق رغباتي، لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة هي أن الله يستجيب دعواتي، صار كل شيء أفعله يتجاوز قدراتي، عرفوا قناعاتي، لكن لا أحد منهم عرف جوهر ذاتي، صار الجميع مشككا في اعترافاتي، صار الجنون عذرا ليفسروا قناعاتي، عجزت الكواكب السيارة عن رؤية مداراتي، صارت روحي متيقنة من اعتقاداتي، وحلقت في أكوان لا تعلم شيئا عن انتماءاتي، حتى صرت فلكا سابحا فيها جاهلا مساراتي. أمّا الآن فلنعد إلى موضوعنا، بالتحديد إلى ما سرقتُه، تعرف الكثير من الأشياء لكن الكثير من الأشياء تجهلها يا لياريسيام، سوف أخبرك بعضا منها الآن. كان يجب أن أسرقه ولولا طيبتي لما سرقته!.

في كثير من الأحيان أتساءل كيف استطعتُ إتمام كل ما تعلق بما سرقته فأنا لم أستطع أن أتِّمَّ أي شيء في حياتي، كل الأشياء التي بدأتها تركتها ناقصة... صمت لوهلة ثم تابع: أظن أن هذا هوالشيء الوحيد الذي أكملته.

– أجل، تركتَ الكثير من الأشياء التي بدأتها ناقصة وذلك لم يكن راجعا لعجزك عن إتمام الأشياء، إنما يعود للملل الذي كنت تشعر به ما إن تباشر العمل عليها، رغم ذلك إلا أنك كنت تتركها ناقصة بطريقة جميلة.

– ذكرتني بكلماته... اسقي حياة الويل حتى ترى أحلام قلبك تخرق

البعدا، عِش حياة تُرتَجَى لا تستطيع لها الدنا سردا، لترقى العلا، للنجم كن دائما نِدّا، أحلامك اجعلها لوحة تنشد المجدا... الذكرى قاسية لذلك فلنعد لموضوعنا . بالنظر إلى العدد الهائل مما أنت تعرفه، فكرت أن أصنع شيئا أسودا وجميلا في نفس الوقت، لكن سمعت أن هناك من صنع شيئا أسودا وجميلا، حين عرفت دوره أيقنتُ أن ذلك مستحيل، وأن ما قيل عنه مجرد كذبة، لكنني قررت أن أسرق أسودهم الجميل رغم أنّ ما قيل عنه شيء مستحيل.

- أصرّيتُ عليك أن تدمّره يا بني ولا أفهم سبب تمسّكك بعدم التخلي عنه وتدميره رغم اقتناعك بأن ما قيل عنه أمر مستحيل؟.

- ما يهمّ هوأني سرقته و" انتهى "، فكّرت كيف أغير الفكرة بطريقة بديعة، أي تغييرها مع المحافظة على جوهرها، حينها اخترت العزلة وبدأت، عندما لم أكن أنام ليلا، كنت تظن أني أعاني من الأرق... لن أنكر أنني أعاني من أرق حاد، ولكن من خلاله صرت منغمسا ولا زلت منغمسا في حبّ المحبوبة، ثمّ بداية العمل على " أسودي الجميل ".

أخرج لونفيرونفسا ثم قال: لياريسيام، شكرا لكم، أنت والباقون لأنكم تملكون وتحفظون الأسرار التي من شأنها أن توصل إليه، خبأته وهذا لا يعني أني أريد ممّن سُرق منهم أن يبحثوا عنه ليستعيدوه، لا، أبدا، لكن أتمنى أن يرى أحد الطيبين ما صنعت وليس ما سرقت، إذ أن " العبقرية تكمن في طريقة الوصول إليه ومن ثم عدم الحصول عليه ".

قال لونفيرو: لا زلتُ شابّا، لكن كل ما أفكر فيه هوالموت، صار يملأ أفكاري ونفس الأسئلة بتُّ أردّدها: هل هوآت؟ هل اقترب؟ لازال بعيدا؟ أين وصل؟ حتى أن شعور الموت مع الساعات الأولى للفجر لا يزال

يراودني.

- أرجوك بني، لازلت في ريعان شبابك فانزع عنك هذه الأفكار، لتكن آمالك في العيش أكبر دون أن تنسى الموت. نظر لياريسيام إلى السماء المرصعة بالنجوم ثم قال محاولا تغيير الموضوع: إن القمر بدر هذه الليلة يا بني، أنظر، أنظر إليه، أليس جميلا؟.

رفع لونفيرورأسه إلى السماء، أخرج نفسا عميقا ثم قال: لم أشأ أن أخبرك، لكن هناك بعض الخوف يقبع في داخلي هذه الليلة، أشعر كأني نسيت ثغرة صغيرة وأحاول أن أعرفها دون جدوى.

نهض لياريسيام قائلا: بني، تصبح على خير، غلبني النعاس وأظن أنه يجب عليّ العودة، اطمئن فلا أظن أنك تركتَ أي ثغرة، وإنزاد الشك لديك ففكّر بروية حتى تهتدي إلى الثغرة.

- حسنا، أنصت إلي، إن حدث وغادرتُ الحياة، فاحرصوا على أن تبقى الأسرار معكم، كشفها ليس سهلا أبدا، إياك وأن تنسى أنها مجهود سنين من العزلة وما يقبع خلفها هو" أسودي الجميل ".

- لا تقلق، سنحافظ عليها ونختار بعناية من يخْلفنا للحفاظ عليها بعد موتنا، أتمنى أن أراك بخير في المرة القادمة إن شاء الله.

قال لونفيرو: في صباح الغد إن شاء الله سنلتقي في هذا المكان، ربّما أكون قد تركتُ ثغرة ما وسيتحتّم عليك أن تعرفها، كما أظن أن المدينة المهجورة لا تزال بعيدة من هنا؟.

أجاب لياريسيام: أجل، لكن يمكن الوصول إليها يا بنيّ، لذا إن أردت التأمل كما كنت تفعل قبل اعتزالك فاذهب إليها.

قال لونفيرو: أجل، أعتقد أني سأذهب إليها. استقام لونفيروبقامته المتوسطة وجسده النحيل ثم قال: آه ولوترين إلى أين وصلت معك؟. نظر إلى لياريسيام بابتسامة تخفي حزنا عميقا ثم قال: أشعر أني سأموت ولن تتجلى ابتسامتها التي لا زلت أؤمن بها، جاهدت ولم يكتمل حبي... لكنه لم يبقى حبا من من طرف واحد... ما أقسى هذا الألم ولكن يا للإبداع!.

قال لياريسيام: هل لك إذن أن تخبرني عنها؟ كنت أظنّ أنك لست ممّن يحبون وقد راجعت نفسي حين أخبرتنِي أن عدم نومك راجع لانغماسك في حب المحبوبة وعملك المتعلق بأسودِك الجميل.

قال لونفيرو: منّ الله عليّ بها، أفقد الإحساس بذاتي في حضرتها. أحبّ، لكن حبي من نوع آخر، لأن المحبوبة من عالم آخر!. نظر إلى السماء، ابتسم ثم أخذ يقول: لا أدري كيف أتتني فكرة الرحيل في غياب الدوافع، لكنني رحلتُ من هذا العالم وأنا باقٍ فيه لألاقي وجهها البديع العنيد... لمست كيانها برقة وعذوبة، تلاشيت حتىً تتجسد، إنها كوكبتي التي لا تدري شيئا عن شاعريّتي، فهي:

تنساب عبر بحار أشواقي وتلقي مسحة طيفيه..
تنسلُّ من لمسات أفكاري وتعبر ساحة مخفيه
عبقت مواطنها، بألوان الشذى الفواح قلْ مسقيه..
أنوارها اخترقت أحاسيس الفؤاد بلمسةٍ سحريه
في ليلتي انبثقت من الإدراك ترسل نسمة بحريه..
وتسللت آيات حبك يا حدائق باحتي المسكيّه

فتألقت أعماق إحساسي وشعت ماستي الأبديه..
وتلألأت أحلامنا في لوحة ألوانها طيفيه
في كأس موسمها أرى امتزجت روائح جنة سحريه..
وكأن أحلامي لها عند المساء شواطئ ورديه
ترتاح في أعماق إحساسي وتعبر نسمة صيفيه..
وتراقصت في روضة الوجدان كل فراشة مَلكيه
ببساطة، مثل الربيع إذا يمرّ بمنزل في قرية ريفيّه..
أوباقة من أقحوان ساحر، تداعبها " أيادِ صبيّه "

كان لياريسيام قد ذهب، أما أنا فعدت لأستلقي على العشب الأخضر الناعم أتذكر كوخي الصغير الجميل. من حسن حظي أنه ذهب، أبجل العزلة، هي عالمي الرائع، الوحدة أفضل، ومن حسن الحظ أن زوجتي نيمايسول المجنونة قد تفهمت وضعي طوال سنوات عزلتي!. تابع قائلا: لا بدّ أن المكان الذي أعيش فيه يشعر بالوحدة الآن، لم أتركه إلا نادرا جدا.

قبل سنين، تحديدا في اليوم الذي سرقت ما سرقته، اقترح لياريسيام أن أجعل ما سرقته يتلاشى، كنت أخبرته أني سأضفي عليه لمسة من لمساتي بفرشاتي المميزة.

توسدت يديّ ثم رفعت إحدى ساقيّ فيم تركت الأخرى على الأرض. رحت أتأمل روعة السماء ومصابيحها دون التفكير بشأن الثغرة التي كنت أشعر أني تركتها. مضت فترة وجيزة وأخفضت بصري لألمح ظل شخص يتجه نحوي مباشرة. كان يحمل مشعلا في يده وانسلّ الوهج البرتقالي إلى

داخل عينيّ ولم أقم بأي ردة فعل، أمعنت النظر فيه. كانت عيناه تلمعان، الشر يتلألأ في صفحاتها. في اللحظة التي عرفت أنه من الذين يريدون استعادة ما كنت قد سرقته، عرفت الثغرة التي نسيتها... يا إلهي، أحتاج بعض الوقت الآن، لكن كيف؟.

نهضت ثم أسرعت بالركض وأنا أدعو: أرشدني يا إلهي، أرشدني يا إلهي... ماذا سأفعل الآن؟...

كان نبض قلبي قد تسارع قبل أن أسرع بالركض، كيف لا وأنا على وشك تدمير كل شيء. ركضت تحت نور القمر الذي كان بدرا وظلّ يطاردني. صوت في داخلي قال: لونفيرو، هيا... هيا، قم بالأمر وأنهه، هذه فرصتك الوحيدة، لووصلوا إلى حقيقة الأمر فقد تعقد مصيرك وتُزهَق الكثير من الأرواح. قلت أني سأهدم عبقريتي، تاجي الغالي، زهرة سنين من العزلة في جبل موحش تحت سقف كاد أن ينهار فوقي، أكثر من سبعة سنين مضت، حلمي الذي لأجله خاصمت عيناي الرغبة الملحة في النوم حتى صرت أجهل معاني النوم، لكن بغضّ النظر عن كل هذه الأشياء، لا أستطيع تدمير كل شيء، خارت قواي وقدماي لا يمكنهما حملي خارج هذا المكان حتى أنكث وعدي وأدمر كل شيء، وكلّ شيء أتركه يذهب هباء... يا إلهي، ماذا سأفعل؟.

كانت أنفاسي تتدافع في كل لحظة للخروج من حلقي، كانت أمواج أفكاري تتلاطم وأنا أبحث عن حل. اقترب الفجر ودخلت المدينة المهجورة وقد وهنت خطواتي ولم تعد ركبتاي قادرتان على حملي، أرشدني يا إلهي، ماذا سأفعل؟.

كانت قدماي تعبر أزقة المدينة المهجورة، أما أفكاري فتعبر ظلال

الأوهام، كل فكرة عن إيجاد ملجأ لسد الثغرة كانت مجرد وهْم، دغدغت النجوم المتلألئة، تحركت قليلا، ثم نظرت صوب السماء وقلت لنفسي: ماذا فعلتَ يا لونفيرو؟. أجبت: قد أكون مخطئا، لكن في غير أبواب السماء، أين أجد العزاء؟ سامحني يا إلهي.

كان جسدي مغمورا في الظلمة الداكنة، لم أستبن طريقا إلا من خلال الأنوار التي كانت تمطرها النجوم اللامعة بعد أن يغازلها القمر، فجأة تداخلت خطواتي بشدة أثناء ركضي، لحظات فقط وسقطت على الأرض بقوة جاثيا على ركبتاي وأخذت أتلفتّ حولي، لا شيء حولي الآن، لا شيء غير الفراغ...

واجهت صعوبة في السيطرة على تدفق أنفاسي، وكان يجب أن أنسى كل شيء حولي، حتى أجد طريقة لأصلح كل شيء في ظل تلك الفترة الوجيزة، لذلك، نسيت ظرفي الذي أنا فيه، نسيت إرهاقي، نسيت مطاردي... فجأة وبطريقة ما أحسست بيدكِ تربت فوق كتفي، وترنّمت نغمات صوتك العذبة في خاطري مجددا، أغمضت عينيّ، أنصتُّ إلى لفظ اسمي وهوينساب عبر شفتيك، بقيت أنصت بطريقة ما لصوتك البديع حولي: لونفيرو... لونفيرو... أصغي إليّ، تلامست روحي وروحك، فهيّا، هيّا لست وحدك، لازلت قربك، أنصت فقط لتسمع نغمة صوتي تتردد في جوانب روحك، انظر... انظر فقط حتى ترى طيفي يتراقص في مدى قلبك، لونفيرو، إنني أنتمي لك، هيّا استمع... استمع إلى صوتي. هناك سالت دموعي على وجنتيّ، هناك تجسدت صورتكِ أمام عينيّ... نيمايسول...

نيمايسول... ثم أرسلتِ سلامك الأخير وأنا على وشك الرحيل... مددتُ يدي حتى ألامسَ يدك... فجأة استوعبت واقعي من جديد،

أخفضت ذراعي وقلت: بالله، أخبريني كيف حدث الأمر يا نيمايسول، الوحدة كانت جميلة، غير أن وجودك قربي كان أجمل، لم يعد القلب يخفق، إنما أجنحة روحك باتت في داخلي ترفرف. مسحت دموعي ثم ركّزت على شيء واحد فقط، حماية الأسود الجميل...

أقصد أسودي الجميل. مضت لحظات ثم ابتسمت.

تبقت خطوة واحدة، كنت متأكدا منها، ألا وهي أن لياريسيام سوف يأتي إلى المدينة المهجورة، قد ينقذني وقد أقتل قبل أن يأتي، لكن ما يهمّ هوأن إرثي سوف يبقى ولن أدمر أي شيء.

كنت جاثيا على ركبتاي، تعدّل نبض قلبي، صرت أتنفس بوتيرة عادية، نظرت إلى السماء بابتسامة، كثيرا ما كنت أقول: ليس السبب أن القدر يوافق رغباتي... الحمد لله الذي يستجيب دعواتي.

فجأة وقع حد السيف على عنقي. شعرت ببرودة الفولاذ الذي لامس جلدي وسرت في جسدي رعشة خفيفة. أحسست بحدوث جرح طفيف. قال الذي كان يطاردني: أخبرني أين خبأت ما سرقته يا من قلب هورايكام عقبا على رأس!.

كانت عيناي مثبتة على السماء. كنت أنظر إليها طويلا من قبل مستشعرا عظمتها، لكن تلك اللحظة كانت لحظة مميزة، كيف لا وأنا على وشك الخروج من هذه الحياة، وأهمّ شيء في هذا الرحيل هوأنه رحيل دون اقتراف خطأ في حقّ نفسي، بقيت أدعوللمغفرة.

بدأ الفجر يلقي تباشيره، إنه آخر فجر لي في هذه الحياة، أشرت بسبابتي إلى إحدى النجوم... شعرت أنها تلامسني بطريقة ما، ثم قلت له بنبرةٍ راض

عن نهايته: تلك آخر نجمة أراها في هذه الحياة. كان نورها لا يزال يقاوم لكنني كنت أعلم أنها سوف تستسلم لضوء النهار في حين أني كنت أستسلم للموت.

ألحّ بصوته الخشن مجددا: أخبرني أين خبأت ما سرقته يا لونفيرو؟. تابع قائلا: سوف أتركك تعيش إن أخبرتني، أعدك بهذا.

ضحكت ضحكة ساخرة ثم قلت: لم تكن المنيّة أمنية، لكنني كنت أشعر أن منيتي اقتربت وكنت أركض حتى لا... دعك، دعك من الأمر فلن تفهم!.

فكرت، سوف أموت، لكن سأترك عبقريتي النادرة، سوف يُسقى سرّ " لونفيروكيمرّاي" بقطرات لامعة من قلوب متلهفة لمعرفة السرّ، سيل من الأفكار في تلك اللحظات كان يتدفق، ليُكشفَ ما خبأته، لا بد من قصة أخرى، هل ستكون هناك قصة تجعله يرى النور؟ هل سيفك لغزي الغامض؟ هل هناك من يصدق حقيقة لونفيروأم يصدق أنها مجرد خرافة تناقلتها الأجيال؟... لا أدري لأني سأرحل... أجل، أنا على وشك الرحيل.

من جديد قال مطاردي: إني أسألك للمرة الثالثة، أخبرني أين خبأت ما سرقته؟.

ابتسمت ثم قلت دون أن أدير رأسي إليه: لا تعلم أني عنيد، عنادي يتجاوز عناد الطفل الظريف، لن أخبرك. ارتفع السيف ولمع حده.

قلت لنفسي: سأموت لا محالة.

قال: حقا، كم أنت عنيد؟ لقد ضيّعتَ فرَص نجاتك كلها، للأسف، انتهت لحظات عيشك في هذه الحياة يا لونفيرو، هيا استعد للموت واعلم

أننا سنستعيد ما سرقته منا، سواء نحن أم خلفائنا. أرجعت شَعري كله إلى الخلف، ثم أدرتُ رأسي إليه هذه المرة، ابتسمت ابتسامة صادقة وقلت: بالله عليك، لقد قلبت هورايكام بأكملها، لذلك لا تجرّب صبري، صحيح أن قواي خارت تماما، لكن لا تنسى أنني مجنون، والمجانين يقلبون الكفة حين ينهار كل شيء!. في تلك اللحظات، استدرت ثم نظرت صوب السماء، سالت دموعي، قلت في سري: اللهم اغفر لي... اللهم اعفُ عنّي... آمين...

لحظات فقط وتلقى لونفيروطعنة من الخلف اخترقت قلبه مباشرة، اندفع الدم متدفقا من فمه، ثم سحب قاتله السيف وهويقطر دما دون رحمة، وما لبث أن سقط لونفيروأرضا وهويشعر بأطرافه ترتجف... كانت أولى القطرات التي يتجرعها من كأس المنية، جاهد حتى يلتقط نفسا جديدا في هذه الحياة، لكن فات الأوان، بقي يلفظ أنفاسه الأخيرة وكانت تلك آخر الكلمات في قصة لونفيروكيمرّاي. انحنى قاتل لونفيرووأسدل أجفان هذا الأخير قائلا: صحيح أني طويت صفحات عينيه، لكن لا أعتقد أن هناك من سيكون قادرا على طيّ صفحات قصته... في الأخير، إنه المجنون " لونفيروكيمرّاي "!.

في تلك اللحظات، لمح ذلك الشخص ظل لياريسيام، فانطلق هاربا، واتجه لياريسيام راكضا نحوجثة لونفيرو، لم تستأذن الدموع عيون لياريسيام، وانهمرت على خديه وسقط جاثيا أمام جثة الشخص الذي قضى معه نصف حياته معتبرا إياه ابنه. احتضن جثة لونفيروبين ذراعيه. أخذ يبكي بشدة وهويقول: لا... ما كان يجب أن أتركك أبدا بعد كل ما قلته يا بني... عدت إليك، لكنني عدت متأخرا. بقي يبكي وحين همّ بحمل الجثة انتبه إلى المخطوطة التي سلمتها له زوجة لونفيرووطلبت أن يسلمها إلى هذا الأخير. قال: لقد كنت معه إلى آخر الأنفاس يا نيمايسول، في الأخير هومجنونها وهي

مجنونته!. حين قام بفتح المخطوطة، اندهش قليلا... قرأ: اقتربت ساعة الرحيل، فيم يخص الثغرة، لم أكمل أي شيء في حياتي!. حبي لم يكتمل... لكنه لم يبقى حبا من طرف واحد، والشيء الوحيد الذي ظننت أنه اكتمل نسيت فيه ثغرة صغيرة، اجعل ما قمت به يكتمل، سُدّ الثغرة فقط، لم أغادر الجبل، سبعة سنين أنستني أني في مكان ليس لغيري، لقد حجبتُ كل شيء وإن لم تسدَّ الثغرة فسيكتشفون كل شيء ولن يكون هناك أي معنى لإرثي.

لياريسيام، ادع لي. وهناك طلب آخر، ادفنّي في مكان بعيد، مكان ينتظر وصول جثتي إليه، حتى لا تبكيني يوم تجلّيها، مكان يليق بالمنسيّين، لأكون كطير شريد في روضة منسية، أوكزهرة يبست في جنّة سحريّة، فيم يخصّ شاهد قبري، لا تنقش اسمي ولا تاريخ ميلادي ولا تاريخ موتي، فقط انقش عليه:

أمطِر إلهي على قلبي ندى يهواها ... واجعلْ رؤى أمنيات الروح في مرساها

صوّرتني يا إله العرش من عدمٍ ... فاجعل هواها دواء دون أن ألقاها

في كل خاطرة تحضرْ، وسابحة ... بالقلب تنساب عبر الروح ما شكواها؟

جلست أدعوببابكْ، أنت هُوأملي ... أبقي بقلبي ورودا أرفقت أحلاها

أبقي على الحب في قلبي وأجنحة ... تُبسط بليلي تزِدْ شوقا لكي أحياها

تبقى وترقى بأفكاري ومُصبِحة ... في القلب مُمسية فيه، فما رجواها؟

مولاي، أدعوك أن تحفظ مباهجها ... أبصرتُ صورتها، لا حلّ كي أنساها

القلب يشتاق يا ربي وما سُبلي ... إلا دعائكْ وقد صَوّرت من أهواها

أشتاق وهْي بقربي، كيف لا لأقل: ... سبحان ربي فما يسري وما مأواها؟

إن تمطري يا سمائي قطرة فدعي بالقلب لمستها تنعش رؤى دنياها
في كل فكرٍ هنا، أقسمت حاضرةٌ أنت السكنْ، وابتهاجي والألمْ، أهواها
أنت انعكاسٌ لأوقات مميّزةٍ قلبي بأكنافها ذاق الهوى، ناداها
إني أرى شهبا وضاءة انطلقت إذ كل لحظه تميزت، فمن سوّاها؟
غير البديع الذي قد سنّ آيتها سبحان ربي الذي للروح قد أجلاها

واختتم الكلام بالجملة التالية: " قل لنيمايسول أن لا تبكي، الله اصطفاها لي واصطفاني لها، فجعلتها ترى ما وراء كوكبتي ".

قال لياريسيام والدموع لا تزال تنسكب من عيونه: فهمت، فهمت يا بنيّ، سيكون لك ما أردت، لكن أنت أهمّ الآن من سدّ الثغرة. قال:بتّ أكثر يقينا أنه كان مجنونا بطريقة ما، فهمتُ شيئا واحدا وهوأنه تلاشى كلّيا في سبيل تجسّد محبوبته التي لست أدري " ماهيّتها "،لكن كيف تقبلت حبيبة قلبه نيمايسول هذه الفكرة... لا بدّ أنها مجنونة مثله تماما!. تابع: ترك المنزل وآثر الوحدة على العودة، لكنني أسأل نفسي سؤالا واحدا: هل كان مصابا بجنون العظمة؟. أخرج نفسا عميقا ثم قال: لأنه إن لم يكن كذلك، فـ " مفهوم العبقرية قبل لونفيروسيختلف عن مفهومها بعد لونفيرو! ".

الفصل الأول: هدية غامضة

" القصة هي الكذبة التي من خلالها نقول الحقيقة "

ألبير كامو

الآن... ١٩٧٠ بعد ميلاد المسيح عليه السلام

مكان رائع، يفوق في روعته روعة العلاقة بين الأم وابنها، مكان هادئ يضاهي في هدوئه هدوء المشاعر الصادقة وآيات جماله المتداخلة فاقت تداخل أنفاس الحياة فيوقظ الأحاسيس الجياشة للإنسان حتى وإن كانت نامت سنينا.

مكان قلّما تلتقي مثله، ففيه تأسر الأبصار وتحتمي في ساحته القلوب وتبسط الروح أجنحتها لتنعم بالسكينة وتغرق في روعته، لا تعبر عنه الكلمات ولا تستطيع أن تعكس جماله الخلاب فرشاة الرسام فما إن يبدأ برسمه حتى تجد كأن الألوان تفقد زينتها ولا تريد أن تمتزج إلا مع هذا المكان.

لقد كان مكانا بعيدا عن أنظار الناس لا ينتظر زائرا يعكر صفوهدوئه وإنما ينتظر شاردا أوضائعا ليحتضنه في لحظة يأسه ويعيد إليه بريق الأمل ليشع في عينيه من جديد، وبذلك يكون قد أبدله لباس الحزن البالي من شدة الألم حلة باهية من حلل الفرح السرور.

لم يكن الصمت مخيما على هذا المكان فقد كانت العصافير تبهجه بزقزقتها وتطربه الطيور بألحانها أما أشعة الشمس فتقبله إن أشرقت صبحا وتودعه بلمسة ساحرة منها إن حان وقت مغيبها فترسم لوحة أخرى من لوحات الجمال. هذا، وبين أوراق الشجر المتلألئة وبتلات الزهور الخجولة هنالك قرية صغيرة بها حوالي عشرين منزلا على الأرجح، كلها متشابهة.

كانت منازلا جميلة ومتواضعة تسحر العين بساطتها وكانت كلها ذات جدران ترابية ملساء ذات أسقف قرميدية. أما أكثر ما يجذب الانتباه فهوذلك المنزل المعزول نسبيا عن كل المنازل الأخرى التي كانت متقاربة من بعضها، إلا هوفقد كان يبعد عنها بأمتار.

تقع هذه القرية الصغيرة في منطقة جبلية تختبئ في القمة وراء الأشجار الكثيفة التي تداخلت أغصانها حتى أنك ومن شدة تداخلها تظن كأنها تعصر الهواء فتجد كأنه يفلت من بين أغصانها بصعوبة كبيرة، أوينزلق فوق الأوراق التي تكسوكل شبر من الأغصان تلك. يُخيّل للناظر من بعيد أنه لا توجد أي نبضات خلف الأشجار سوى نبضات الطبيعة فالعين لا ترى أي مسلك أودرب يؤدي إلى القمة، فتراه ينظر هنا وهناك ثم يعود أدراجه ولكن الواقع غير ذلك، هناك درب ضيق ينسل عبر تلك الأشجار ليبقى يتعرج يمينا وشمالا حتى تحس كأنك مجرد ورقة على صفحة مياه عذبة تسيرك التيارات المائية أينما شاءت، حتى إذا ظننت أنك تسير إلى مكان لا وجود فيه لمعنى الحياة وجدت تلك القرية فاتحة ذراعيها مرحبة بوصولك.

لم يكن ذلك الدرب دربا عاديا فقد كان يشق غابة عظيمة تضم إليها كل تلك الأشجار، من أشجار السّرووالدّردار والكستناء وما إلى غير ذلك من الأشجار التي هي غاية في الارتفاع، درب ترابي ضيق يكاد يكون مخفيا، تحفه

الأشجار من الجانبين وأغصانها الجدّ متشابكة عند أعناقها تحجب السماء من رؤيته أما الشمس فتحييه في كل إَشراق باختراق أشعتها لتلك الفجوات التي تبقى رغم ذلك التشابك. هذا وفي الجهة الشمالية لهذه القرية وحين تبدأ الأرض بالارتفاع قليلا يتجلى سياج حديدي يمتدّ على حدود الغابة حتى لا يتجرأ صغار هذه القرية على اقتحامها.

لن تصل الأقدام إلى هذه القرية إلا إن اقتربت من اليأس بعد مسير طويل حتى تحس كأن هاته القرية تبتعد عنك كلما شعرَت أنك اقتربت منها، وكلما دقت ساعة ارتياحك من تعب هذا المسير الطويل الذي يستولي على الأنفاس، تجد كأن الطريق يزداد طولا لا غير. ومن المستحيل أن تصل دون أن تبحث عن قطرة ماء، حتى إذا سألت أي شخص هناك سيدلك على منبع جوفي لتروي ظمأك بمياهه العذبة، لكن كرم السكان سيمنعك من الذهاب إليه.

بالعودة لذلك المنزل المعزول، لم يكن واسعا كالبحر، ولم يكون ضيقا كالقبر، ليس بالكبير ولا بالصغير بل متوسط، له باب خشبية ذات لون بني ناعمة الملمس وجدران ترابية متينة، أما سقفه فكان مغطى بقرميد أخضر تستطيع أن تفرق بينه وبين خضرة الطبيعة البديعة المحيطة به، وأمامه حديقة صغيرة تربتها تمسك البراعم من أن تنزعها مداعبة النسيم الهادئ بين الفينة والأخرى.

أما في الباحة الخلفية لهذا المنزل فهناك خم لبضع دجاجات وإسطبل لبضعة خراف وخمسة أبقار واحدة منهم سوداء والأربع الأخرى كانت بيضاء يتخللها بعض السواد وكذلك إسطبل كبير لتسعة أحصنة.

في هذا المنزل المتواضع تعيش أم اسمها إيمي، يُرجح أن زوجها قد توفي قبل خمسة سنين تاركا إياها مع فتاة في سن السادسة عشر اسمها إيستارا.

كانت إيمي امرأة بيضاء البشرة في العقد الثالث، ذات شعر أسود فاحم طويل، معتدلة الهيئة وتكاد تكون نحيلة ذات عينين عسليتين، ترتدي تنورة طويلة فضفاضة وقميصا، شعرها مضفور في غالبية الأحيان، أما إيستارا فلم تكن تشبه أمها في أي من الصفات السابقة.

كانت فتاة جميلة في السادسة عشر، ذات شعر أشقر طويل ينسدل فوق كتفيها ذات بشرة بيضاء ناعمة وعينان زرقاوتين كزرقة ماء البحر العذب تكلمان الناظر إليهما، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، تنطق البراءة في محياها وتعابيرها، لوحاولت تخيلها عجزت، ولورأيتها مرارا وتكرارا وحاولت تذكر وجهها البديع نسيت، وكانت أشهر جملة في القرية عن إيستارا هي: " الفتاة التي لوكان لها توأم حقيقي لكانت إيستارا الأجمل! ".

كانت تنم عن ذكاء وموهبة تنساب بين ابتساماتها الآسرة، وضحكاتها الساحرة، إذا جلست كأنها ملكة جلست على عرشها وإن مشت رأيت في مشيتها مشية حازمة كمشية الملوك الحازمين، ولطالما كانت تستمتع بالذهاب في غالب الأحيان إلى بيت مرضعتها روزيلدا التي كانت تعدها إيستارا أما ثانية لها وترتدي لباسا يشبه لباس أمها لكن على مقاسها. كانت المدرسة بعيدة جدا فلم يستطع صغار هذه القرية أن يرتادوا المدرسة، لكن هذا لم يمنعهم من التعلم فقد كانوا يدرسون في مدرسة صغيرة تعاون الآباء على بنائها بالقرب من منازلهم.

كان هنالك ثلاثة معلمين، رجل وامرأتان، الرجل اسمه غايد ويكون عم إيستارا ولديه ابن يظل يعاقبه، ببساطة لأن ابنه هذا لديه طرق في المزاح تجر لضربه مرارا وتكرارا، ولكنه أحيانا يكون مهذبا ويدعى كونايشي، أما المعلمتين فهما إيزميلندا، العمة، وإيمي والدة إيستارا.

كانت هنالك أربعة مواد، المادة الأولى هي المعاملة والأخلاق والمعلم المشرف هوغايد، والمادة الثانية هي اللغات وتشمل كل من اللغة العربية واللغة الجاوية ، والمعلم المشرف كذلك غايد. أما المادة الثالثة فهي الرياضيات، والمعلمة المشرفة هي إيمي، المادة الرابعة هي التاريخ والأساطير وتشرف عليها إيزميلندا، أما الدراسة فتكون أربعة أيام في الأسبوع وهي أيام السبت والأحد، الثلاثاء والأربعاء، يوم كامل للمعاملة والأخلاق وهويوم السبت والفترة الصباحية بالنسبة لكل من المواد المتبقية، نصف الفترة الصباحية بالأحد مخصصة للغة العربية والنصف الثاني للغة الجاوية، الرياضيات بالثلاثاء، والتاريخ القديم والأساطير بالأربعاء.

كان كل الصغار في هاته القرية أصدقاء بحكم المكان الذي يعيشون فيه وقلة المنازل وكانوا شغوفين جدا باللعب فإذا انتهى الدوام عادوا إلى المنزل لتناول الغداء وبعدها يخرجون مسرعين للعب ليجدوا إيستارا في انتظارهم حتى يغرقوا في الحيرة، متى أنهت غداءها؟. وكانوا يشكون في بعض الأحيان في أنها أنهت طعامها حقا.

أما إيستارا فقد كانت تلعب معهم لفترة قصيرة وبعدها تذهب صوب الغابة وتبقى تتمشى بجانب السياج، ليس لأنها تحبذ المشي لوحدها، بل أملا في إيجاد منفذ يساعدها على دخول الغابة، وعندما ينفد الأمل تعود لتلعب مع الأطفال حتى تنذرهم الشمس بأنها عن قريب ستغرب.

حتى إذا غربت الشمس كان الكل في منزله يرتاح قليلا من تعب اللعب وبعد هذا يجتمع وعائلته على مائدة العشاء تحت نور الشموع البرتقالي، حتى إذا انتهى العشاء خلد الكل للنوم في انتظار ما يسفر عنه اليوم الموالي من أحداث.

أما إيستارا فكانت تعود للمنزل وتدخل الخراف والدجاج مع أمها التي كانت تعتني بالحيوانات في الوقت الذي تكون فيه ابنتها غارقة في اللعب مع أقرانها، وبعدها تدخل إيستارا إلى البيت وتشعل الشموع، أما إيمي فتدخل بعد الانتهاء من غلق الإسطبل لتجد البيت يشع بنور الشموع وبعدها تحضر إيمي العشاء بمساعدة بسيطة من إيستارا طبعا، حتى إذا انتهتا من تناول العشاء جلستا مع كأسين من الشاي المحلى بالعسل تتبادلان أطراف الحديث أوتحكي إيمي قصصا لابنتها التي لم تكن تريد النوم حتى تقول لها أمها اذهبي

للنوم فتقبلها وتذهب إلى فراشها لتنام مباشرة وأحيانا تشاكس أمها قليلا قبل الذهاب للنوم.

كانت إيستارا تستيقظ قبل الفجر مع أمها فتخرج الدجاجات وتطعمهم أما أمها إيمي فتهتم بالخراف والأبقار وبعد الانتهاء تعودان، فتعد إيمي فطور الصباح ثم تذهب باتجاه المدرسة لتدريس الأطفال، أما إيستارا فتذهب مع صديقتها المقربة التي تدعى "ريتومي".

أما في فصل الشتاء والخريف فيتغير أسلوب العيش في هاته القرية قليلا فتصبح الدراسة يومين فقط، السبت والأربعاء وتقتصر على مادتين فقط، المعاملة والأخلاق واللغة العربية، وفي كل من اليومين يدرسون نصف الفترة المسائية، أما الأغنام فتضطر لأن تألف الإسطبل والاكتفاء بالعشب الذي كان يدخر في فصل الصيف، عيش بسيط هنيء تجلت فيه معاني الحياة السعيدة.

كانت ريتومي فتاة في طول إيستارا، مولعة بالأدب والأشعار، بيضاء البشرة، بهية الطلعة، ذات شعر حريري شديد السواد وترتدي لباسا يشبه لباس إيستارا. كانت والدة ريتومي تدعى مانفيت وأبوها يدعى جورفين

وكانت عائلة ريتومي العائلة الوحيدة التي لا تنتمي لأسرة "جايكوي" الذين يعدون السكان الأصليين لهاته القرية منذ عقود،" قرية هاسماي "، أما كنية ريتومي فكانت "بيسارمي"وكانوا ينحدرون من قرية أخرى.

كانت إيستارا وريتومي تقضيان أغلب الوقت مع بعضهما البعض منذ نعومة أظفارهما وتعلقت كل واحدة بالأخرى تعلقا شديدا ولكن هذا لم يمنع الاثنتين من اللعب والمرح مع باقي الأطفال. وفي أحد الأيام المشمسة كانت إيمي جالسة خارج البيت تستمتع بدف الشمس وما إن لمحتها عيون إيستارا الزرقاوتين البديعتين من النافذة حتى قالت هاته الأخيرة بصوت خفيف: ماذا تفعلين عندك

يا أمي؟.

– ماذا أفعل؟ إني أستمتع بدفء الشمس هنا، تعالي إلى هنا أنت كذلك.

أجابت إيستارا: آتية يا أمي ولكن انتظري لحظات قليلة.

ذهبت إيستارا إلى غرفة أمها وقامت بفتح خزانة الثياب ثم قامت بإخراج وشاح أحمر اللون وأعادت غلق باب الخزانة واتجهت إلى أمها. قالت: إليك يا أمي هذا الوشاح الأحمر لأني سئمت من تباهي اللون الأخضر حولنا.

– ماذا دهاك يا إيستارا؟. قلت لك أني أستمتع بأشعة الشمس الدافئة وأحضرت لي وشاحا أضعه حول عنقي كأننا في فصل الخريف أوالشتاء، نحن في أواخر الصيف فقط، ضعي الوشاح جانبا واجلسي بقربي.

– لم أكن أعلم أن الفصول هي من تحكم إدخال السعادة على القلوب، ظننت أن كل شيء يُسعد نفعله، بغض النظر عن أي شيء آخر؟

– حسنا، اجلسي، اجلسي سأضعه حول عنقي، لكن إيستارا قالت:

انتظري يا أمي سأقوم بوضعه لتصبحي طائرا ذوعنق أحمر.

قالت إيمي: وافقت على وضعه ولكن لفترة قصيرة ولا تقولي أي كلمة أخرى. جلست إيستارا بجانب أمها وهما تواجهان مشهد الطبيعة الخضراء والأشجار المصطفة تلوح في الأفق أمام عينيهما ولم تستطع الأشجار خفض ناظرها عن جمال إيستارا وكذلك إيستارا التي كان نظرها موجها نحوالأشجار ولكن دون أن تنتبه أن الأشجار غارقة في النظر إلى محياها.

كانت كل من الأم والابنة صامتتين إلى أن قالت إيستارا: أشعر يا أمي وكأن عيونا ما تراقبنا عن كثب ولكن لست متأكدة. ردّت إيمي: أنا كذلك أشعر بأن الطبيعة حولنا تراقب والعصافير فوقنا تراقب، ثم نزعت الوشاح الذي لفته إيستارا حول عنقها وقالت:

ضعي هذا فوق وجهك ولن تشعري بأي عين حولك تراقب. ما إن غطت إيستارا وجهها البديع بالوشاح حتى ارتفع وقالت: هذا أنت يا ريتومي، اجلسي معنا فدفء الشمس أكاد أخجله. نهضت إيمي وقالت: جيد، ابقيا هنا ريثما أحضر لكما بعضا من الفطائرَ اللذيذة.

لم يمضي الكثير من الوقت حتى أتت إيمي بطبق من الفطائر المحلاة بالعسل و قالت مخاطبة ريتومي: تفضلي يا ابنتي. أمسكت ريتومي بالطبق ثم تربّعت في مواجهة إيستارا، أما إيمي فقالت: الآن، سأذهب للاعتناء بأغنامي ودجاجاتي حتى أني اشتقت إليهم، أما ريتومي فبدأت بالحديث عن الأدب الممل فقالت إيستارا: نصيحة لك يا ريتومي، دعك من قراءة الأشعار والقصص فهي لا تنفعك وفوق ذلك هي سهلة ومملة.

- إيستارا أنت تعلمين أني أقرأ أشعارا وقصصا تكون للمبدعين فقط وهم من يحركون المشاعر بكلامهم ويحيروننا بأفكارهم فكما

تعلمين، الناس كثيرون ولكن العباقرة قليلون.

– الشعر سهل حتى وإن كان موزونا، والقصة سهلة حتى وإن كانت طويلة جدا وقالت:

ما أجمل الأفراح والأشجار   ما أجمل البستان والأطيار

ثم نظرت إلى ريتومي وقالت: إنه موزون ورائع... لوقطّعته كما علمنا عمي غايد لوجدتِ أنه مكتوب بالبحر الكامل، وقبل أن تكمل كلامها، قاطعتها ريتومي قائلة: لكنه دون معنى، إنه ليس بيت شعر، إنه مهزلة، فالشعر سحر.

قالت إيستارا بنبرة صوت عذبة: اطلبي مني أن أبتسم ابتسامة خفيفة فقط، سوف ترين الشعر والسحر في آن. تابع الجمال يقول:لقد خرب الأدب عقلك يا ريتومي ولم يترك ذرة تصلح وأتمنى لك الشفاء والاقتناع بكلامي، أما ريتومي فقالت: على أية حال لقد جلبت لك هدية، وقامت بإخراج دفتر جميل من حقيبتها وقالت: تفضلي هذا الدفتر الجميل إنه هدية من أبي وبدوري أهديه لك، بالرغم من أن الهدية لا تهدى، إن أردت كتابة سطور مملة فاكتبي فيه، ثم اتركيه لي لأيام، ليس لأقرأ بل لأضحك.

مسكت إيستارا الدفتر وقالت: دون شك سيمتلأ بالكثير من الحروف والجمل الرائعة!!.

انتهى اليوم عاديا، ولكن تلك الليلة لم تكن ليلة عادية، فبعد الانتهاء من العشاء غرقت إيمي في غسل الصحون وإعداد الشاي، أما إيستارا فكانت في ردهة البيت جالسة على حصيرة ناعمة متكئة على إحدى الوسائد المسندة على الجدار وبين أصابعها ريشة وزجاجة حبر أمامها والدفتر الذي أهدته لها

ريتومي غارق في النظر إليها وتقول في نفسها:

كانت ريتومي تشير إلى أن إيستارا جايكوي ليست عبقرية، لكن أعلم أنه حتى إيستارا جايكوي نفسها لا يمكن لها أن تكون أفضل مني، وسرعان ما بدأ الدفتر ينبض بالحروف التي كانت تتراقص في مخيلة إيستارا، وما إن أقبلت إيمي وهي تحمل كأسين من الشاي حتى قالت إيستارا: تعالي يا حبيبة قلبي لتري إبداع ابنتك.

وضعت إيمي الصينية من يدها على مائدة خشبية صغيرة، ومسكت الدفتر وبدأت تقرأ:

يا بسمتي في روعة الأجواء ... يا نفحة من نسمة الأهواء
أهديك أبياتا معطرة فلا ... ألقى سوى نسماتك الغناء
أنت النجوم أم القمر؟ أم أنت ما ... لم يجتمع في بسمة الأضواء؟
يا درة تلمع بقلبي أرسلي ... لي باقة من روضة غناء
إني مددت يدي إليك فأمسكي ... بأصابعي كي أبلغ العلياء
فوق الفؤاد لتسكبي لونا بدا ... حسنا يهلل في مدى الأرجاء
قلبي يحبك أكرميه ببسمة ... أجزم ببسماتك يكن وضاء
أخجلت عطرا طيبا بتبسمك ... لا نفحة تبقى ولا أجواء

- والآن ما رأيك يا أمي؟ ألست بمبدعة ؟ تكلمي ولا تخجليني بصمتك المريب الذي يشعرني أني سأتلقى توبيخ كلماتك الدافئة.

- توقعتُ منك أكثر يا إيستارا، ما هذه القصيدة الرديئة والمملة؟. ردت إيستارا: كانت لتكون رديئة، لكنها أصبحت أجمل عند ذكرك.

- يا لك من مخادعة؟، انتظري ريثما أعود فلدي شيء رائع أقدمه إليك يا ابنتي الغالية.

ذهبت إيمي إلى إحدى الغرف واتجهت مباشرة نحوالخزانة التي كانت تضع فيها الملابس والعطور وأخرجت قنينة عطر صغيرة وعادت إلى إيستارا التي لم تتحرك من مكانها وما إن رأت أمها تحمل تلك القنينة الصغيرة في يدها حتى قالت: ما تلك يا أمي؟ لا تقولي فقط إنه ترياق يشفي حزن قلبي في بُعد لحظة عنك، ولا تقولي إنه إكسير لحبي لك، فلا تخافي، حبي لك لن يموت أبدا.

- آه منك يا إيستارا، أحيانا أفكر أنك ستصبحين مجنونة عن قريب.

- لا تخافي يا أمي، كوني متأكدة من أني لن أصبح مجنونة لأن الجنون هومن سيصاب بي، ولست أنا من ستصاب به!.

- لا جدوى من الكلام معك، حسنا تفضلي قنينة العطر هذه، إنه عطر نادر جدا وكان هدية لي من جدك كيجابير ولكن لم أستعمله ولولمرة واحدة، لذلك هولك وأرجوأن يعجبك. مسكت إيستارا القنينة وفتحتها ثم اشتمت رائحته ولكن سرعان ما أغلقَتها.

- لم أجد له أية رائحة زكية يا أمي، أتستهزئين بي؟. ابتسمت إيمي قائلة: كيف تجدي له رائحة والتي قلتِ فيها:

أخجلت عطرا طيبا بتبسمك   لا نفحة تبقى ولا أجواء

موجودة بقربك، إلا إن كنتِ بالغت كثيرا في مدحك؟.

- رائع يا أمي، لكن هل نبالغ في مدح أمهاتنا، بصراحة لا أظن، فنحن نقول ونكتب فقط ما نشعر به داخلنا لا غير وما الشعر إلا صدق المشاعر

والأحاسيس، إلا إن كانت ريتومي كاذبة؟.

ارتشفت إيمي رشفة من كأس الشاي وقالت: لا، لا، معها حق. ثم تابعت تقول: ريتومي، يا لها من فتاة، إنها تشبه أمها مانفيت تماما في حبها للقراءة. قالت إيستارا: أرحتني، كنت لأوبخها، أما الآن، سأحفظ قنينة العطر هذه كحفظي لاسمك بخواطري لأنها هدية منك،أما ريتومي فكانت تقول أن الشعر السحر، لذلك سوف أريها الشعر والسحر في آن. ابتسمت إيمي، في حين قالت إيستارا وقد ارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص بأمها: أمي، قلت أن هذا العطر هدية من جدي كيجابير، ألم يهديك أي هدايا أخرى؟.

فجأة قامت إيمي بنزع قرطي أذنيها، وكانا قرطين ذهبيّين مرصعين بجوهرتين بديعتين. قالت: هذان القرطان هدية من جدك أيضا،سأهديهما لك الآن، ولكن حافظي عليهما وحاذري أن تضيعيهما.

- لا يا أمي لن آخذهما. أما إيمي فكانت قد ضمت إيستارا إليها، وبدأت تنزع في قرطي إيستارا القديمين، وهي تقول: قلت هما لك فلا تناقشي، أما أنا فلدي قرطان آخران يشبهانهما.

قالت إيمي: حاذري أن تضيعي القرطين وكذلك العطر، إنهما الشيء الوحيد الذي بقي لي من جدّك، هل فهمت ما أقول؟.

- سأحرص يا أمي على ذلك، سوف أحتفظ بقنينة العطر في جيب كل تنورة أرتديها، تمني يا أمي أن لا أنسى تركها في التنورة التي غيّرتها، بهذا تبقى قنينة العطر معي.

صار القرطان في أذني إيستارا، وقالت هذه الأخيرة: أمي، من أين حصل

جدي على هذين القرطين الجميلين؟.

– تسألين كثيرا، حتى يكاد الرأس ينفجر والصبر يزيد، إنهما هدية من صديقه المقرب رايمود، ولا تنطقي بأي كلمة أخرى رجاء.

– حسنا، أمرك يا أمي.

كان الدفتر الذي كتبت فيه إيستارا أبياتها الأولى لا يزال مفتوحا، أغلقته ثم قامت بوضعه جانبا وارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص بها هذه المرة وقالت: ما هذا لم يبرد ولوقليلا؟... كاد يحرق شفتيّ، وأردفت قائلة:

أمي، متى نذهب لزيارة خالتي فقد اشتقت إليها وإلى العم مالفي وجوساي، لقد أطالوا المدة هاته المرة دون زيارتنا؟. ردّت إيمي: نسيت أن أخبرك أنهم غادروا قريتهم واشتروا منزلا جديدا في قرية أخرى، لا بد أنهم يرتبون في أمور المنزل الجديد وسوف يأتوا لزيارتنا عن قريب إن شاء الله، والآن اذهبي وأطفئي الشموع ونامي. فقالت إيستارا: حاضرة، لكن لدي سؤال يا أمي وهو: لم لا تطفئين الشموع في غرفتك إلا بعد حوالي ساعة من ذهابي للنوم، وقد لاحظت هذا مرارا؟

قالت إيمي: إيستارا، إيستارا، لا تكوني فتاة مزعجة، قلت اذهبي، أطفئي الشموع ونامي، فافعلي ما أمرتك بفعله، هيا يا ابنتي.

قالت إيستارا: حسنا، لن أقبّلك يا حلوتي!!. ابتسمت إيمي وقالت: حسنا، سوف أعضك يا بسمتي.

الفصل الثاني: صولجان... وكتابين

" معنى الحياة هوأن تجد هديّتك، الغرض من الحياة هوالتخلي عنها "

بابلوبيكاسو

أجريت الامتحانات النهائية، وقد كان التصحيح مقررا في الفترة الصباحَية ليوم الأحد، هذا وقد كانت القلوب متباينة بين الشعور بالخوف والفرح والسيطرة على المشاعر المرتبكة، حضر الجميع ولكن اثنتان كانتا لم تحضرا بعد، هنيهة فقط قبل أن تدخل ريتومي وقالت: آسفة لقد تأخرت، إيستارا لن تأتي، أخبرتني أنها تشعر بالإعياء الذي ينتابها في كل يوم تصحيح.

كان المعلمون الثلاثة جالسون أمام بعضهم البعض والأطفال في مقابلتهم وهم جالسون على الحصائر. قالت إيمي: تلك الفتاة، يوما ما سأبرحها ضربا، لم تحضر إلى أي تصحيح طوال سنوات دراستها، ليقاطعها غايد قائلا: دعيها تبقى في المنزل طالما أنها لا تقوى على الحضور يوم التصحيح وتخاف من الفشل، وهنا قاطعته إيزميلندا قائلة: ما هذا الكلام السخيف الذي تتفوه به؟ لا تقوى!... لا، ليباركها الله، إنها دائما تتفوق ولم يتفوق عليها أي أحد، وقالت لإيمي: نسيتُ أن أخبرك أنها حضرت عندي تصحيحا ولكن هذا كان منذ سنوات، لا بأس دعونا نبدأ التصحيح.

انتهى التصحيح بنجاح الجميع وأُخبر الأطفال أن هناك مسابقة ستجرى فيم بينهم، والفائز سينال جائزة، فرح َالجميع أما ريتومي فاتجهت صوب

منزل إيستارا مباشرة، ووجدتها تقطف الزهور، فقالت: كنتِ تشعرين بالإعياء، لم خرجت؟

– لذلك أنا أقطف الزهور وأشتم رائحتها لأستريح، ماذا دهاك يا ريتو؟. قالت ريتومي: لا بأس، لكن احزري من تفوّقت هذه المرة؟

ابتسمت إيستارا ابتسامتها الساحرة وقالت: رائع، هاته المرة كانت ريتومي المتفوقة لولا إيستارا جايكوي، تكلمي ولا تخجلي.

– يا لك من مغرورة... لكن ماذا أفعل معك؟ أنت صديقتي، رجاء لا تقولي أنك لم تحضري هذه المرة لأنك كنت تعلمين أنك سوف

تتفوقين، فهذه الجملة الوقحة لا أساس لها من الصحة فالغيب لا يعلمه إلا الله.

– معاذ الله، أنا إنما أقول لك تلك الجملة لأني أعلم أن الله لن يخيّبني، خاصة أني ذكية، هذا كل شيء!.

– اصمتي، اصمتي فلا جدوى من الحديث معك، وقبل أن أنسى هنالك مسابقة في الغد إن شاء الله ستجرى، لذلك سآتي لنشكل ثنائيا، ونذهب سوية اتفقنا. ابتسمت إيستارا مجددا وقالت: اذهبي للمنزل وعودي لكي نلعب يا صديقتي.

مر اليوم ولم تتكلم إيمي مع إيستارا بشأن عدم ذهابها إلى المدرسة، ولنقل أنها تغاضت عن الموضوع لا غير. مرّت ليلة ذلك اليوم وأجريت المسابقة وفازت ريتومي ولكن هذا في غياب إيستارا مجددا، ومجددا وبعد فوزها مباشرة اتجهت ريتومي عند الفتاة التي لم تفهم طباعها هذه لتستفسر عن عدم حضورها المسابقة، وهذه المرة وقبل أن تسأل ريتومي، كانت إيستارا

قد قالت: إيستارا

جايكوي لا تقارن، فهمتِ؟.

– مغرورة ويوما ما سأقتلك يا " أنْسي "، ألا يمكن أن تتواضعي؟. فردت المغرورة: تواضعي يقضي بأني الأفضَل يا ريتومي، ولا تنسي أنه تبقى لنا شهر فقط على انتهاء الدراسة وأردفت: عجيب، غريب، بعد الامتحانات النهائية والنجاح ندرس شهر إضافيا، ولكن هذا أمر رائع، فنحن نستفيد حقا من مواعظ عمي غايد، ودروس أمي، ونشعر بالتشويق من أساطير عمتي إيزميلندا.

ولما كان اليوم الأخير للدراسة اتجهت كل من إيستارا وصديقتها ريتومي إلى المدرسة وكذلك الأطفال الآخرون، وعند الوصول قالت إيستارا لريتومي: هذه آخر الحصص لنا هذه السنة، وهذا اليوم هوآخر يوم للدراسة وسوف يخرج جميعنا بعيون باكية لأن الدراسة ستتوقف لشهرين كاملين.

قالت ريتومي: لن أتحسر على أي شيء سوى القصص والأساطير التي تحكيها لنا المعلمة إيزميلندا، حقا إنها معلمة رائعة جدا.

دخلت الفتاتان وكان جميع الأطفال جالسين فوق الحصائر، إما متربعين أويضمون الركب إلى مستوى الصدر ولحظات قليلة حتى دخلت المعلمة الرائعة. كانت بهية الطلعة وجميلة المنظر، بيضاء البشرة، قصيرة نسبيا تملك ابتسامة بشوشة وصوتا رقيقا جدا وما إن دخلت حتى قالت: السلام على كتاكيتي الصغار، السلام على صيصاني الجميلة، إنكم تشبهون الصيصان عندما تمضي عليها ثلاثة أيام من فقس البيض غير أنها تكون صفراء جميلة، يخالطها أحيانا القليل من السواد أوتكون سوداء، إلا أن صيصاني ذات ألوان زاهية، وما إن أخذت نفسا عميقا حتى قال كونايشي ابن غايد: عمتي...

أقصد يا معلمة، الصيصان تنمولتصبح دجاجا والدجاج حيوان، فماذا تقصدين؟

- آه منك، ألا تفهم أني قلت لكم ذلك بدافع حبي لكم، وبالنسبة إليك، إن فهمتها كذلك فلا أمانع، أتمنى أن تصبح ديكا، على الأقل سوف توقظنا في الصباح الباكر، عوضا عن كلامك هذا يا عزيزي. قالت: الآن اسمعيني أيتها الصيصان الجميلة. بدأت تقول: اليوم سوف أحكي لكم عن الطائر ذوالثلاثة رؤوس، هذا الطائر الأسطوري الذي تجسدت أسطورته في صفحة الزمن، والزمن هنا يعني الزمن الغابر والقديم جدا، طار هذا الطائر وحلق فوق قريتنا الجميلة الوديعة، لكن صوصتي إيستارا أجمل بها لا أستطيع تقديره، ما يهمّ هوأنه حلق هنا وهوينظر بعيونه الستة و......، وفجأة اتجه جنوبا تاركا قريتنا تعيش بسلام وأمان واطمئنان.

قالت إيستارا لريتومي بصوت منخفض يكاد يكون همسا: ألا تظنين أن المعلمة تؤلف كل هاته الأساطير الخرافية؟ أحيانا ألّمح إلى أنها كاذبة كبيرة ولكنها تعرف كيف تكذب وأجمل الحصص هي حصتها خاصة الطريقة التي تروي بها تلك القصص، تجعلنا نشعر وكأن خرافتها حقيقة، خاصة وأنها تحكي بإحساس مرهف.

انتبهت إيزميلندا إلى أن إيستارا وريتومي تتحدثان فقالت: صوصان جميلان يتهامسان، على ماذا تتهامسان، تكلما؟. ردت ريتومي: لا شيء مهم ونحن آسفتان. فقالت إيزميليندا: حسنا، والآن اصمتوا ولا تصدروا أي صوت لأني سوف أحكي لكم أسطورة الأساطير وتدعى أسطورة نوجاين أورفي ولونفيروكيمراي، أجل، إنه " لونفيروكيمراي "، أحد أعظم المجانين على الإطلاق!

في هذه اللحظة بالذات انتبهت إيستارا وقالت: تقصدين أحد أعظم العباقرة على الإطلاق؟

قالت إيزميليندا: للأسف يا ابنتي...أقصد يا نيمايسولة لونفيروالصغيرة، أنا أعني ما أقول، أحد أعظم المجانين على الإطلاق لأن لا أحد استوعب عبقريته، يُشار إليه بهذا المصطلح، إذ أن عبقريته ليس لها تفسير وبعد سنين من وفاته، لا زالت عبقريته دون تصنيف، وفي قاموس العبقرية هوأجنّ العباقرة دون منازع. لم يفهم الآخرون ما قالته إيزميليندا على وجه التحديد ولكن ريتومي همست لإيستارا قائلة: ماذا جرى لك؟ أين عبقريتك؟. قالت إيستارا بصوت منخفض: في حياتي كلها لم أشعر بضعف مثل هذا الضعف!.تابعت إيزميليندا تقول: حكاها جدي الأكبر، وعندما أقول لكم جدي الأكبر فهذا يعني أكبر الأجداد، وأكبر الأجداد يعني أنه مات منذ زمن طويل والزمن الطويل هنا يعني الزمن الطويل الغابر، وبينما إيزميلندا تطنب وتطنب في الكلام حتى همست ريتومي في أذن إيستارا قائلة: أنا جدُّ متشوقة لسماع ما ستحكيه لنا، لتسمع ريتومي: اصمتي يا صوصة، اصمتي، سوف أحكي لكم أسطورة لن تنسوها وسوف تتذكروني ما إن تذكرتموها وسوف تتذكرونها ما إن تذكّرتموني.

كان الأطفال خاشعين معها، فجأة دخلت إيمي وقالت: هاي، إيزميلندا اليوم الأخير للدراسة، الكل خرج وأنت لا تزالين هنا مع أساطيرك؟

ردّت إيزميلندا بحيرة تملأ تعابير وجهها: ولكن لم نسمع صوت الصيصان يبكون فهم عند العطل يخرجون بعيون دامعة وقلوب واجفة وأنين وبكاء يكاد يُبكي الجماد لأن الدراسة ستتوقف مدة شهرين؟ حقا يحبون الدروس التي نقدمها لهم، هذا لأننا لا نضيع وقتهم بل نشعل خيالهم، اجلس أيها

الصوص الكبير لتسمع. قالت إيمي بتعجب: حقا معلمة مجنونة، هيا دعيهم يذهبوا وأكملي قصصك التاريخية وأساطيرك وخرافاتك العام القادم إن شاء الله.

قالت إيزميلندا: كما تشائين أيتها الصوصة الكبيرة، والتفتت مجددا إلى الصغار وقالت: إذن في العام القادم إن شاء الله يا صيصاني الجميلة سوف أحكي لكم أسطورة نوجاين أورفي ولونفيروكيمراي التي لا نعلم عنها سوى القليل. هنا تعالى صوت الأطفال وقالوا بصوت واحد: لا، لا، احكيها لنا الآن فقد تموتي ولن نعرفها، وقد نموت ولن نعرفها. ردت إيزميلندا: حينها لن يكون خطأ أي منّا يا صغاري الصغار، فليس خطئي وليس خطأكم، إنه أمر القدر وعلينا أن نرضى بالقدر، الآن تمنوا لي حياة مديدة وعطلة سعيدة!

قالت إيمي: أتصدقين أن وجود لونفيروكان حقيقة؟. اقتربت إيزميليندا من إيمي ثم همست: طبعا، سرق ما كان يجب أن يسرقه لطيبته فقط، يقولون أنه ترك قاتله يقتله، مات دون الثلاثين، ما يحيرني هوالإرث الذي خلفه وراءه، هذا ما أجد تصديقه جنونا بحدّ ذاته، رغم أن لونفيروكان مجنونا بطريقة ما وعبقريا بطريقة تشبه طريقة جنونه. دعينا ننسى الموضوع الآن، الصغار فضوليون وأنا عنيدة جدا.

نظرت إيزميليندا إلى الأطفال وقالت: لا تشغلوا رؤوسكم بالتفكير يا صغاري، كلنا نريد رؤية لونفيرورغم أن ما نعرفه عنه ضئيل جدا، وشعره طويل، لكن ليس جدا، ثم التفتت إلى إيمي وقالت: لا بدّ أنك تخيلت صورته يا إيمي؟

همست إيمي: ها، عندما روى أخوك غايد قصة موت لونفيرونمت وأنا أراه في أحلامي خاصة أن غايد يروي القصص بطريقة تشبه طريقتك. قالت

إيزميليندا: أظن أن كل شيء محض خرافات وأن لونفيروكان مصابا بجنون العظمة، كيف يُعقل أن يترك إرثا عظيما وهومات دون الثلاثين؟

همست إيمي لإزميليندا قائلة: سمعت أنه كان عاشقا، لكن من نوع آخر، وأن زوجته نيمايسول كانت معه حتى آخر الأنفاس، ولم يلتقيا إلا نادرا جدا خاصة أنه يفضل العزلة!.

ردّت إيزميليندا بهمس: هل تعتقدين أن نيمايسول عاقلة؟... لكن على الأقل عرفت كيف تسجن طائرها الشريد حتى جعلها ترى الوجه البديع والعنيد لمحبوبته. فجأة قالت: لقد قرأت أشعاره ولم أعرف تلك التي تنساب عبر بحار أشواقه... وتنسل من لمسات أفكاره، ياله من مجنون؟ يجعل أحاسيس المرء الدافئة تتراقص، يكاد يصيبني بالجنون، دعينا نذهب.

هنا نهضت ريتومي من مكانها وقامت بالتصفير لإيزميلندا دون أن تشعر، ونظرت إلى الآخرين فرأتهم مندهشين من ردة فعلها، فقالت: آسفة، لكن المعلمة إيزميلندا تستحق التصفيق على الأقل في نهاية السنة وليس على إيجادها عذرا لعبقرية لونفيروعندما قالت أنه كان مصابا بجنون العظمة.

قالت إيمي مخاطبة إيزميليندا: لا شكّ أنك تعلمين كل التفاصيل الخاصة بتلك الأسطورة المعقدة جدا، أليس كذلك؟

همست إيزميليندا في أذن إيمي وقالت: للأسف، ما أعلمه سطحيّ جدا.

خرج الأطفال يمشون ثلاثة ثلاثة أوأربعة أربعة، ثم خرجت إيزميلندا مع إيمي، أما إيستارا فخرجت مع ريتومي. قالت ريتومي: لقد تركتنا متشوقين لهذه الأسطورة، أطلبي من أمك أن تطلب من عمتك إيزميلندا أن تحكيها لها، بذلك تحكيها لنا. أضافت: إنها تعلم الكثير عن التاريخ القديم،

لكنني متشوقة لأعلم هاته الأسطورة، أممم... إنها عنيدة، لن تحكيها حتى ولوألحّيتُ عليها. ردت إيستارا بقولها: دعيك منها، إذ في كثير من الأحيان يشوقوننا وفي الأخير تكون القصة بسيطة وجدّ سخيفة، تماما مثل أن أقول لك: سوف أحكي لك أسطورة النار والخراف، بعدها الحل هوأن النار كانت جائعة فطهت الخراف وأكلتها ثم أخذت تقول: كان هناك ملك عظيم يدعى نوجاين، نوجاين، وكان كذلك ملك ذكي، ذكي جدا يدعى لونفيروكيمراي، أجل، لونفيروالذي قلب أرض هورايكام بأكملها... فجأة توقفت إيستارا قائلة: أحيانا تكسر القواعد كلها حتى أشعر أن الضحك في وجهها هوالحل الوحيد والطرد من حصتها هو الحل الأمثل ولكنها لا تطرد، هي ظريفة جدا.

قالت ريتومي: ذكريني بأسطورة الطائر ذي الثلاث رؤوس؟. فانفجرت إيستارا ضاحكة ثم قالت: طائر بثلاثة رؤوس مجرد أسطورة سخيفة لأبعد حد، لأنه حينها لن يعلم أين يذهب، في الاتجاه المستقيم أم في الجهة اليمنى أم الجهة اليسرى، لذلك هناك حلان، إما أن يبقى في مكانه، أويذهب الطائر في اتجاه الرأس الأصغر. قالت ريتومي: الأكبر قصدك؟. لتقول إيستارا: ألم تسمعي، الأصغر، إذ أن من لديه رأس كبير يجد صعوبة في التفكير مثلك أنت. قالت ريتومي: ولكن رأسي ليس كبيرا، اسحبي كلامك إذن.

- جيد أن رأسك ليس كبيرا الآن، لذلك حاولي أن لا ترجعيه كبيرا.

قالت ريتومي: تذكري يا إيستارا، إذا وقعت في مشكلة ما سأساعدك حتى ولوكنت بعيدة عنك يا صديقتي الغالية وتابعت كلامها: بالمناسبة تمثلين جيدا يا إيستارا. ابتسمت هذه الأخيرة و قالت: أعلم، لذلك لا داعي لتخسري طاقتك بمدحي فأنا أعلم، ثم تجمدت إيستارا في مكانها وقالت:

عانقيني يا ريتوبشدة، لقد أصبحت عاطفية أكثر في هذه اللحظات.

عانقت ريتومي صديقتها بشدة ثم تابعتا المشي وقالت ريتومي: ذكرتني في اليوم الذي وزعت في نقاطنا وقالت إيزميلندا والبسمة تشع في محياها وعيونها: المتفوقة بأفرق كبيرة وليس بفارق كبير هي إيستارا جايكوي، فمسكتِ الورقة دون أن تبتسمي وسألتكِ لم لم تفرحي فأجبتها لا داعي لأني كنت أعَلم، أتعلمين، كنت وقحة، ما تلكَ الكلمات المغرورة: أعلم، أعلم، إجاباتك كلها وقحة، تصرفي بتهذيب أكبر مثلي تماما.

– عندما عجزتِ اعتبرتها وقاحة أما أنا فأعتبرها مجرد حقيقة وليس لأن ما أعلمه أكثر مما تعلمينه، بل لأني أعلم أن ما أجهله أقل مما تجهلينه يا صديقتي الرائعة ريتومي، فسرتُّ لك السبب من قبل. قالت ريتومي: أنت فيلسوفة. أما الرد فلم يكن مختلفا!.

– إيستارا، أتعلمين أننا سنذهب إلى القرية التي يقطن بها عمي "سيوشي" لنسكن هناك، لذلك سوف نضطر للافتراق عن بعضنا يا صديقتي.

انزعجت إيستارا لكنها أخفت انزعاجها وقالت: حسنا، لكن ستبقين وحدك هناك دون أصدقاء، لذلك ابقي هنا معنا ودعي والديك يذهبان، ما رأيك؟.

– لا، يجب أن أذهب، هناك صولجان، أخبرني أبي أني الوحيدة التي يمكنها استخراجه، وجواب السؤال:" لماذا أنا بالضبط؟ "، لا أعلمه، ولم أشأ أن أسأل أيا من أمي أوأبي. لتقول إيستارا: قبل أن أنسى، مع من ستكونين هناك؟

– هناك ابنة عمي مايريتي، إنها تشبهك نوعا ما ولكن أتمنى أن تكون

تغيرت قليلا، تكون مخطئة ولكن تدافع عن نفسها كأنها لم تخطأ ولقد حكيت لها عنكِ، إنها في العشرين من العمر وأتمنى أن تكون قد نضجت أخيرا.

لحظات فقط قبل أن تقول ريتومي: أما الرحيل فقد تقرر في الغد إن شاء الله.

– يا لمزاحك السخيف؟ أليس لديك شيء آخر لتقولينه غير هذا الكلام التافه؟.

– إنها الحقيقة يا إيستارا وأنت تعلمين أني لا أمزح في مثل هذه الأشياء خصوصا معك.

– أفهم من كلامك أنك لا تهتمين لصداقتنا، ستذهبين وتتركين القرية وكأن شيئا لم يكن، حسنا اذهبي ولا تعودي، سيكون العيش ممتعا بدونك.

– إيستارا تفَهَمي، فقد وعد أبي أحد أصدقائه أنه سيترك له هذا المنزل، صديقه هذا فقير وليس له منزل وقد كان يستأجر ولديه زوجة وثلاثة أطفال، لذلك لا يمكن لأبي أن ينكث وعده خاصة أن منزل عمي واسع جدا.

ما إن وصلت ريتومي إلى منزلها حتى تركتها إيستارا قائلة: حسنا، وداعا، فكما ترين، عليّ متابعة المشي حتى أصل إلى منزلي.

قالت ريتومي: ما بك يا إيستارا؟ هل الوداع يكون هكذا وقد قلت لك أننا سنرحل من هاته القرية؟. رفعت إيستارا بصرها وبابتسامة ساحرة قالت: أنتم راحلون إلى قرية أخرى فماذا سأفعل غير توديعك، رافقتكم السلامة، فرحتِ؟. وتابعت إيستارا سيرها نحوالمنزل وهي ناقمة على صديقتها ولما دخلتَ المنزل وجدت أمها إيمي قد وصلت لتوها فقبلتها قائلة: أمي أنا ذاهبة إلى غرفتي كي أنام، أرجوك لا توقظيني، ولم تكن من عادة إيستارا

النوم بعد الظهيرة إلا نادرا.

– لقد حلت العطلة يا إيستارا وأنت تقولين أنك ستذهبين للنوم، هل هناك من خطب ما يا ابنتي؟ قولي لحبيبتك ماذا جرى لك.

– لا شيء يا أمي، لكنني أشعر بأني متعبة لا غير، ثم أردفت قائلة: تذكرت يا أمي، إذا أتت ريتومي أخبريها أني نائمة، اتفقنا.

– حسنا يا ابنتي، لكن على الأقل كلي شيئا بعدها نامي. ردت إيستارا: شكرا، لا داعي لذلك يا أمي فلست جائعة، أريد فقط أن أنام.

ذهبت إيستارا إلى غرفتها ونزعت المحفظة الشبه فارغة، ثم وضعتها داخل الخزانة وقد خلدت للنوم مباشرة وهذا الذي لم تتوقعه إيمي أبدا، فقد ذهبت لتتفقدها ووجدتها بالفعل غارقة في النوم.

بعد حوالي ساعتين أتت ريتومي وفتحت إيمي لها الباب. قبلتها ريتومي وقالت إيمي: تفضلي بالدخول يا ريتومي، سأنادي على إيستارا فقد تركتها نائمة منذ عودتها من الدوام معك.

أصيبت ريتومي بالدهشة وقالت: ماذا... ماذا قلتِ يا خالة؟ إيستارا تنام في هذا الوقت، لا أكاد أصدق.

– حتى أنا لم أكن لأصدق لولم أتَفقّدها، لقد كانت غارقة في نوم عميق وأخبرتني أنها متعبة لذلك أرادت أن تنام، لكن انتظري ريثما أحاول إيقاظها.

ذهبت إيمي لتنادي على ابنتها التي كانت لا تزال نائمة، فحاولت إيقاظها ولكن دون جدوى، لتقول: هيا انهضي يا إيستارا، لقد أتت ريتومي وهي في انتظارك.

تقلبت إيستارا على جنبها الآخر وأجابت أمها إيمي بنبرة صوت ناعسة: قولي لها بأني نائمة يا أمي، اتركيني أكمل نومي رجاء.

عادت إيمي إلى ريتومي وقالت: اذهبي إليها وحاولي معها فقد وجدتها نائمة ولم ترد أن تنهض، حاولي معها ربما استطعت أن تجعليها تستيقظ. قالت ريتومي: حسنا يا خالة، سأذهب إليها علّها تستيقظ.

اتجهت ريتومي نحوغرفة إيستارا، فتحت الباب بلطف ثم تقدمت نحوإيستارا التي كانت لا تزال نائمة وهمست في أذنها قائلة: استيقظي يا إيستارا وهيا بنا لنلعب فنحن لن نذهب إلى أي قرية. نهضت إيستارا من فراشها وأخذت تضرب ريتومي بالوسادة وهي تقول: يا لك من مخادعة ويا لك من كاذبة؟. ردت ريتومي: أردت فقط أن أعرف ماذا سيحدث لك ما إن أخبِرك، ولم أكن أعلم أنك ستتأثرين بشدة لدرجة أنك ستنامين مباشرة، هيا دعَينا نخرج ونلعب فكل الأطفال يلعبون ويمرحون ويسألون عنك... تابعت ريتومي تقول: آه منك يا طائري البديع، أنت حقا عاطفي بزيادة!.

– ها، ولذلك لا تمزقيني مجددا، سنذهب ونلعب، لكن قبل ذلك يجب أن نأكل شيئا فأنا جد جائعة، وصلت ونمت مباشرة دون أن تدخل لقمة واحدة إلى جوفي.

رأت إيمي ابنتها مع ريتومي، فاحتارت وقالت: أحسنت يا ريتومي، فقد استطعت أن توقظي تلك العنيدة، رغم محاولاتي إلا أنها أصرّت على النوم.

قالت إيستارا بنبرة صوت ودودة: هل لنا يا ضياء قلبي بشيء نأكله فأنا جد جائعة، وريتومي ستأكل ما إن تراني باشرت الأكل.

– كنت أعلم، تفضلا معي إلى المطبخ، بعدها يمكنكما الذهاب للعب مع

الأطفال الآخرين والاستمتاع بوقتكن. جلست الاثنتان حول مائدة المطبخ وقالت إيمي: هيا باشرا الأكل، وهذا بعد أن قامت بوضع طبقين من الأرز بالدجاج فوق المائدة، ولكن ريتومي رفضت الأكل بحجة أنها قد أكلت في المنزل قبل أن تأتي. هنا نظرت إيستارا إليها، رفعت حاجبها وقالت: لك خياران إما أن تأكلي أوأذهب للنوم من جديد، تعلمين أن باستطاعتي النوم في أية لحظة.

– اهدئي الآن، سآكل معك فأنا اعلم أنك ستفعلين كل ما يدور في رأسك دون أن تبالي. وهكذا تناولتا قليلا من الطعام وبعدها خرجتا للّعب، كان قضاء الوقت كله في اللعب ظنّ ريتومي، أما إيستارا فكانت تريد الذهاب والمشي بمحاذاة السياج الحديدي للغابة لا غير.

بعد اللعب مع باقي الأطفال أقنعت إيستارا ريتومي أن تمشيا بمحاذاة السياج، تبادلتا أطراف الحديث في أحضان تلك الطبيعة البديعة والمناظر الخلابة، ثم عادتا قبيل الغروب إلى المنزل في انتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة.

بعد مضي حوالي عشرين يوما وبينما هما عائدتين من نزهتهما كالعادة قالت ريتومي: إيستارا، في الغد إن شاء الله سوف نرحل.

– كفاك من هذا المزاح، رأيت ماذا فعلت في المرة السابقة ما إن تفوهت بهذا الكلام وها أنت تعيدين نفس الكلام على مسامعي، ألا يمكنك التعلم من الأخطاء؟

– نحن ذاهبون فعلا، وعندما قلت لك في المرة السابقة أننا لن نذهب إلى أي قرية كان فقط لكي نتمكن من قضاء بعض الوقت براحة واطمئنان ولمعرفة ردة فعلك، وها قد انقضت المدة سريعا لكن على الأقل تسلينا،

ضحكنا، وقضينا وقتا رائعا، أليس كذلك؟

- اصمتي، لقد خدعتني للمرة الثانية.

عانقت ريتومي إيستارا وقالت: ما بك يا من ليس لي سواك، أنا قلت أننا سوف نرحل ولكن لم أقل لك أننا لن نأتي لزيارتكم ولم أقل أننا لن نلتقي، هيا فكري بإيجابية يا إيستارا وتأكدي أنني لن أتخذ لي صديقة أحبها كحبي لك.

فابتسمت إيستارا ابتسامتها تلك التي تتملك بها أي قلب وقالت: هل هذه الخدعة الثالثة أم ماذا؟ حسنا ارحلوا، لكن إياك ونسياني، أردفت: من حسن الحظ أن هناك ابنة خالتي جوساي، أتمنى أن يأتوا لزيارتنا عن قريب إن شاء الله.

- لم أكن أعلم أن لديك خالة ولديها ابنة، لمَ لمْ تخبريني من قبل؟ لمَ لم ألتقيها بما أننا نقضي معظم الوقت معا؟

- ريتومي، فكري، لم يتوافق الزمن وحسب، على أية حال أتمنى أن تلتقي بها يوما ما، إنها في مثل عمرنا ولكنها فتاة عجيبة.

مشت الفتاتان بمحاذاة بعضهما البعض، حتى انتبهت ريتومي أنها قد أصبحت قريبة جدا من منزلها، فقالت: إيستارا، ألن تذهبي لمنزلك أم تريدين أن توصليني ثم تعودي بعدها؟.

- لا شيء من هذا القبيل، فلدي خطة لقضاء وقت أكثر مع بعضنا.

وصلت إيستارا مع ريتومي إلى منزل هاته الأخيرة فطرقت ريتومي الباب ليفتح أبوها جورفين الذي ما إن رأى إيستارا حتى قال: لم أكن أعلم أن لدينا مفاجأة، كيف حالك يا إيستارا وكيف حال إيمي؟

أثناء كلامهم سمعتْ مانفيت الكلام فخرجت وقالت: مستحيل، مستحيل، الفتاة التي لوكانت لها توأم حقيقي لكانت هي الأجمل، هي هنا!.

قالت مانفيت مرة أخرى: إيستارا هنا، هيا ادخلوا لماذا أنتم واقفون عند الباب؟. لترد إيستارا: لا داعي يا خالة، أنا لم أخبر أمي أني آتية وأتيت فقط لأطلب منكما أن تتركا ريتومي تأتي إلى منزلي اليوم بما أنكم راحلون في الغد إن شاء الله لتقيموا عند أحد أقاربكم. بانت علامات الدهشة على وجه جورفين، لحظات قليلة ثم سأل: من قال لك يا إيستارا بأننا راحلون؟

نظرت إيستارا إلى ريتومي وأشارت برأسها لكي تتكلم، قالت ريتومي: لا تنظري إلي هكذا وكأنني كذبت عليك فنحن راحلون حقا.

نظرت إلى أبيها قائلة: سمعتك منذ أيام وسمعتك البارحة كذلك عندما كنت تقول لأمي أننا سنرحل تاركين منزلنا هذا لأحد أصدقاءك الذي لديه زوجة وثلاثة أطفال وليس لديه منزل، إنما يستأجر.

لم يتمالك أبوها نفسه وسرعان ما بدأ بالضحك وكذلك أمها ولم يستطيعا التوقف عن الضحك لدرجة أن إيستارا بدأت بالضحك كذلك وشعرت ريتومي بالإحراج. قال جورفين بعدما توقف عن الضحك: حسنا سيكون العشاء عندنا هاته الليلة وستبيتين هنا يا إيستارا وسوف تذهب مانفيت لإحضار إيمي، بهذا لن تقلق عليك وتقضين وقتا أطول مع ريتومي، أطول بكثير لأننا لن نرحل وربما نذهب في زيارات عادية في وقت قريب لا غير.

وما إن أنهى كلامه حتى نظر إلى ابنته وبدأ بالضحك من جديد وقال: لا تسألا عن شيء، فيم بعد سأوضح لَكُنَّ كل شيء وذهبت مانفيت لدعوة إيمي للعشاء.

كانت إيمي منهمكة في الاعتناء بالحيوانات وما إن رأتها مانفيت حتى قالت: دائما على عادتك يا إيمي لا تنفكين تعتنين بحيواناتك، فنظرت إليها إيمي وقالت: مرحبا يا مانفيت كيف حالك؟

– بخير، أرى أنك أنت من ليست بخير مع كل هذا التعب مع الخراف والأحصنة وكذلك الأبقار، دون نسيان الدجاجات والأرانب.

– معك حق، لكن صدقيني، سوف تنسين كل التعب معهم خصوصا تلك الدجاجات الظريفة التي لا تنفك تبقى بقربي في كل لحظة.

قامت مانفيت بمساعدتها وأخبرتها أن ريتومي وإيستارا في المنزل وأن العشاء سيكون عندها الليلة فنظرت إيمي إليها وقالت: ولكن هل هناك مناسبة ما؟

– لا توجد أية مناسبة ولكن إيستارا أتت إلى المنزل وأرادت من ريتومي أن تبيت معها في منزلكم فطلب جورفين أن آتي لأعزمك على العشاء عندنا هاته الليلة، بذلك تتمكن الفتاتان من السهر سويا. ما إن أكملت مانفيت كلامها حتى قالت إيمي: ولكن كيف خطرت لإيستارا هذه الفكرة فهما دائما معا لا تفترقان عن بعضهما؟. فردت عليها مانفيت: ظنت أننا راحلون من هاته القرية إلى قرية أخرى لذلك أرادت اغتنام الوقت المتبقي لتقضيه مع ريتومي قبل أن نرحل.

– هل صحيح أنكم سوف ترحلون من هنا مانفيت؟

– ألفُ لا يا عزيزتي، لن نرحل إلى أي مكان، كان هناك سوء فهم من ريتومي وظنّت أننا سوف نرحل إلى قرية أخرى فأخبرت إيستارا التي ظنت هي الأخرى أننا سوف نرحل حقا، ولكي لا تطرحي المزيد من الأسئلة

سوف نشرح كل شيء فيما بعد، هيا الآن لنذهب لأنك ستساعدينني في إعداد العشاء، أظن أننا أدخلنا كل الحيوانات.

- نعم أدخلناهم كلهم ولم يتبقى إلا أن أغلق عليهم ثم نذهب.

ذهبت إيمي مع مانفيت وما إن دخلتا حتى ارتمت ريتومي في أحضان إيمي مرحبة بها وقالت: شكرا لك يا خالة لأنك قبلت الدعوة.

قبل أن تقول إيمي أي شيء قال جورفين: وهل لديها خيار آخر يا ابنتي؟. قالت إيمي: مرحبا جورفين، كيف حالك؟

- بخير يا إيمي، شكرا لقبولك الدعوة وأتمنى أن لا نكون قد أزعجناك. كانت إيستارا قرب ريتومي فقالت: عن أي إزعاج تتحدث عمّ جورفين، فهذا لطف منك؟

مسح جورفين على رأس إيستارا وقال: هذا واجب يا ابنتي بين الجيران وليس لطفا، ألم يعلمك عمك غايد هذا في المدرسة؟

- بلى يا عم. أكمل جورفين قائلا: حسنا أنتما الآن اذهبا إلى الغرفة واستمتعا بوقتكما ريثما تُحضر مانفيت وإيمي العشاء، أما أنا فسأذهب وأستريح قليلا.

ذهب جورفين إلى أحد الغرف ليستريح قليلا وذهبت كل من مانفيت وإيمي إلى المطبخ لإعداد العشاء أما الفتاتان فذهبتا إلى الغرفة التي كانتا فيها لتكملا اللعب أوتتشاجران بالوسائد.

هذا ولم يمضي وقت طويل حتى اجتمع الجميع على مائدة العشاء الذي كان شهيا جدا وكانت مانفيت جالسة قرب زوجها وبجنبها تجلس إيمي أما إيستارا فقد كانت جالسة بقرب جورفين وبجانبها صديقتها ريتومي التي ما

إن أكملت صحنها حتى اتجهت إلى صحن إيستارا فقال لها أبوها: ما بك يا ريتومي؟ أليس بوسعك أن تطلبي المزيد حتى تتجهي إلى صحن إيستارا؟. قالت ريتومي: آسفة يا أبي ولكن عندما آكل من صحنها أجد الطعام صار أشهى بكثير.

– يا لك من مشاغبة، تحاولين إيجاد العذر في كل مرة لإزالة اللوم، لكن هذا لن ينجح دائما.

ردت إيستارا: لكن على الأقل نجح هذا اليوم.

ابتسم الجميع وواصلوا تناول طعام العشاء. بعد الانتهاء اتجهوا إلى أحد الغرف لتبادل الحديث وارتشاف الشاي على ضوء الشموع التي كانت تزين الغرفة.

وبينما هم يتحدثون ناسين تماما أمر الرحيل حتى قالت ريتومي: أبي، أبي، كدت أن أنسى تماما، لماذا قلت لأمي أننا سوف نرحل وعندما أخبرتك بدأت بالضحك؟

– آه تذكرت يا ابنتي، لكن سرعان ما بدأ بالضحك هووزوجته مانفيت كذلك وقال: حسنا، سوف آتي بعد لحظات لأوضح لكم اللبس الذي حصل.

ذهب جورفين إلى غرفة النوم وأحضر كتابا ذوسمك صغير فأعطاه لريتومي وقال: افتحيه على الصفحة المئة واقرئي لنا.

بدأت ريتومي تقلب في الصفحات لتصل إلى الصفحة المرجوة وما هي إلا لحظات حتى بدأت تقرأ:" حسنا، اسمعيني، لا بد أن نرحل من هذا المكان ونذهب إلى قرية أخرى وسنترك هذا المنزل لأحد أصدقائي فلديه

زوجة وثلاثة أطفال وبذلك نجنّبه عبء الإيجار... " وقبل أن تكمل ريتومي قالت مانفيت: وهنا أغلق أبوك الكتاب وخلدنا للنوم، هل فهمت لماذا كنا نضحك؟.

ابتسمت إيمي، أما إيستارا فهمست في أذن ريتومي وقالت: يا لغبائك؟ ظننت أنك ذكية.

قالت إيمي: لكن ألم تكوني في غرفتك يا ريتومي؟. فأجابت ريتومي أنها كانت بصدد أن تسأل أمها سؤالا يتعلق بالدراسة وما إن سمعت ذلك الكلام حتى عادت إلى غرفتها دون أن تسأل.

قالت إيستارا مخاطبة ريتومي: لكن لمَ قلت لي أنكم راحلون في اليوم الأخير للدراسة وأعدتِ لي نفس الكلام َبعد حوالي عشرين يوما، بصراحة لست أفهم؟

- أحرى بك أن تسألي أبي لماذا قرأ نفس الفقرة بعد عشرين يوما، أما الإجابة فكانت بسيطة وقال جورفين: لم أعد قراءة الفقرة نفسها وكل ما هناك أنه يوجد كتاب ثانٍ به فقرة تشبه هذه، هناك اختلاف طفيف فقط، لكن جوهر كلا الفقرتين هونفسه، وهذا كل شيء.

قالت إيمي: ريتومي، أولا كنت بصدد سؤال أمك سؤالا يتعلق بالدراسة فسمعت الفقرة تلك، والمرة الثانية كيف سمعت الفقرة التي في الكتاب الثاني، خاصة أنك سمعتها وأنتم في عطلة؟ يعني أنك لم تكوني بصدد سؤال أمك سؤالا عن الدراسة.

ردّت ريتومي: عطشتُ فاتجهت إلى المطبخ لشرب بعض الماء، وأثناء مروري في الرواق سمعتها، وتابعت ريتومي تقول: ما لست أفهمه الآن

هوأي توافق هذا، في المرة الأولى سمعت تلك الفقرة والمرة الثانية سمعت فقرة تشبهها، أليس عجيبا؟.

قالت إيستارا: ليس عجيبا، إنه القدر، لكن لماذا لم تحاولي الاستفسار من الخالة مانفيت أوالعم جورفين، وبذلك تستيقني؟. قالت ريتومي: القرار كان قرار والديّ ويجب أن أحترمه. وما إن أكملت كلامها حتى همست لإيستارا: ظننتك ذكية، يا لك من غبية؟.

ردت إيستارا: معك حق، ثم ما لبثت أن قالت: مهلا، مهلا، كنتِ أخبرتني أنكم راحلون للإقامة عند عمّك سيوشي ولأجل أن تحصلي علَى صولجان، والفقرتان تتحدثان عن الذهاب إلى قرية أخرى غير محددة؟

- بصراحة يا إيستارا، كان أخبرني أبي قبل حوالي شهرين أننا سنزور عمي لأجل أن أحصل على صولجان، قبل أن يتضح لي اللبس أخيرا، كنتُ أرجح أن القرية التي سمعتها على لسان أبي هي نفس القرية التي يقطن بها عمي، هذا كل شيء.

قالت إيمي مخاطبة جورفين: هلاّ سردت لنا القصة التي يرويها كل من الكتابين باختصار؟

قال جورفين: أحد الكتابين يحكي عن قصة تدعى قصة " شلال الذهب "، أما الآخر فيحكي عن قصة تدعى قصة " الدرب السقيمة "، الأول يحكي عن شلال وأحد الفقراء ويقولون أن الكثير من الغموض يلفها، حتى أنهم يقولون أن القصة المتداولة مزيفة، هذا فيم يخصّ قصة شلال الذهب، أما الكتاب الثاني فيتحدث عن درب لها علاقة بجزّ صوف الأغنام ورجل فقير كذلك، دعك منهما، دعك.

قالت إيستارا: صار لديّ فضول جِدّي لكي أسمع القصتين، أرجوك يا عم جورفين، احك لنا القصتين.

قالت مانفيت: الفضول الحقيقي سيكون لوعلمت أن الكتاب الذي يحمل عنوان " الدرب السقيمة " لا يملكه إلا جورفين، أما الكتاب الأصلي الذي يحمل عنوان " شلال الذهب " فلا يزال مفقودا حتى الآن، وجلّ ما يُعرف عنه هوأن القصة المتداولة حول محتوى النسخ الموجودة فهي قصة مزيفة.

اندهشت إيمي وقالت مخاطبة جورفين: حقا يا جورفين؟. أومأ هذا الأخير برأسه وقال: أجل، " الدرب السقيمة " هوالكتاب الأصلي وأنا الوحيد الذي يملكه، أما " شلال الذهب " فكل الكتب الموجودة عبارة عن نُسخ ويرجح أن ما ترويه قصة مزيفة ولا أحد يعلم بمكان الكتاب الأصلي.

قالت ريتومي بفتور: ما الذي يشكل الفرق بين نسخة وكتاب أصلي ما دام كلاهما يرويان نفس القصة؟

أخرج جورفين نفسا عميقا ثم قال: سيتّضح لك الأمر عن قريب إن شاء الله يا ابنتي، ومن الأفضل لك في الوقت الراهن أن تبقي جاهلة الفرق، فهذا أفضل.

قالت إيستارا: لا تختلف يا عمّ جورفين كثيرا عن عمتي إيزميليندا، ثم التفت إلى ريتومي قائلة: قبل أن أنسى ما اسم القرية التي يقطن بها عمك؟ أنتِ لم تخبريني عن اسمها من قبل، أخبرتني فقط عن ابنة عمّك مايريتي.

أجابت ريتومي قائلة: القرية التي يقطن بها عمي سيوشي هي قرية " آيراغسيكوناس ". ما إن نطقت ريتومي باسم القرية حتى قالت إيستارا: ما

هذا الاسم البشع؟. ثم قالت: كوكوسيكولاس، فانفجر جورفين بالضحك وقال:بسيطة يا إيستارا، آيراغسيكوناس، قوليها بروية، وهنا استرجعت إيستارا الشعور بالغرور وقالت: هه، اسم بسيط جدا، إنها تدعى آيرا كوريلاس!.

ضحك جورفين وقال: حسنا، هناك شيء عليك أن تعرفيه يا ريتومي وهوأننا سنذهب بعد أيام قليلة لزيارة عمك إن شاء الله وربما نمكث هناك أكثر من شهرين، ونظر إلى إيستارا قائلا: قلت سنذهب ولم أقل أننا سنرحل يا إيستارا، لذلك لن تضطري لتحمل غياب ريتومي سوى عدة أشهر على الأكثر وكذلك بالنسبة لريتومي. قالت إيستارا: شكرا لك يا عم، لقد أرحت قلبي. بعدها أمضت إيستارا

الليل مع ريتومي وهي تحاول نطق اسم القرية حتى نجحت وقالت في الأخير: أنت تعلمين يا ريتومي أن العباقرة يعجزون عند أبسط الأشياء!

ولأن الأيام تنقضي بسرعة، ذهب جورفين وعائلته إلى القرية التي يقطنها أخوه بعد أن ودعوا سكان قرية " هاسماي "، وفي ليلة اليوم الذي ذهبوا فيه كانت إيستارا جالسة مع أمها بعد العشاء لارتشاف الشاي كالعادة، واستفتحت إيمي الكلام قائلة: هل تعلمين يا ابنتي أن لكل إنسان في هاته الحياة أمنيات يريد تحقيقها بشدة دون شيء سواها مهما كان جميلا؟

– أجل، أعلم يا أمي ولكن حتى الأغبياء لهم أمنيات فكيف نفرق بين من هوغبي ومن هوليس بغبي فأظن أن أمنياتي أمنيات غبية؟.

– لا تقولي أغبياء، فالذي نظنه غباء لا يعدوكونه تعاليا منا على القدرات المتواضعة للآخرين، والآن ما هي أمنيات ابنتي الغالية التي تريد تحقيقها؟

– قبل أن أجيبك يا أمي عن أمنياتي، يجب أن تقتنعي أن الأغبياء موجودين، سواء رضيت أم لم ترضي، الأغبياء موجودون، فكما يوجد الأذكياء، يوجد الأغبياء. عانقت إيمي ابنتها ثم قالت: حسنا، معك حق ولكن بالحديث عن الأمنيات، هل من أشياء تريدين أن أحققها لك قبل أن أموت، تكلمي ولا تشعري بالخجل.

– ماذا أقول يا أمي؟ أمنياتي، منها التي ممكن أن تتحقق ومنها التي يستحيل تحقّقها، وسوف أبدأ بالتي يمكن أن تتحقق وهي جدّ بسيطة لأني أتمنى أن أجعل الذي يقترب من الموت يعود إلى الحياة ولا شك أن هذا ما يريده الجميع يا أمي، أليس كذلك؟

– معك حق يا ابنتي، فما من شيء في هذه الحياة أسمى من تقديم المساعدة لمن يحتاجها ولا شك أن من يقترب من الموت يريد يدا حتى تساعده على العودة لهذه الحياة إن كان القدر موافقا لتلك الرغبة، الآن ما هي أمنياتك المستحيلة؟

– أمنياتي المستحيلة لا تخطر على بال، إنها كثيرة جدا يا أمي، لكن سأخبرك بعضا منها، قالت إيستارا: أتمنى أن أتمكن يا أمي من التزحلق فوق قوس المطر، أريد مرافقة الطيور المهاجرة، وكذلك أتمنى أن أمسك أول ورقة تسقط في فصل الخريف وأضعها في غرفتي بعدما أكتب عليها الناجية من الوقوع على أديم الأرض، وانتظار أول وردة تتفتح في الربيع لكي أغلقها وأقول: " تابعي نومك يا صغيرة فلا يزال الوقت مبكرا فأنا أعلم أنك تريدين أن تكملي نومك ".

بدأت إيمي بالضحك وقالت: فتاة مجنونة، تابعي كلامك. قالت: كذلك يا أمي أريد أن أسقي وردة بدموع الألم، وأسقي وردة أخرى بدموع الفرح،

هل سيكون لهما نفس الشذى الفواح؟ أتمنى معرفة الإجابة لا غير، وأتمنى أن أعرف ما إذا كانت الزهور تعطس إذا حطت عليها حشرة مؤذية، لدي الكثير من الأسئلة، قد تظنين أنها أسئلة غبية ولكن ماذا سأفعل؟ هذه أمنياتي ولا تزال هناك أمنيات كثيرة جدا لا تنتهي، لكن صارت لديك فكرة عنها.

بقيت إيمي صامتة حتى قالت لها إيستارا: تكلمي يا أمي ماذا هناك؟. ابتسمت إيمي ثم عانقت إيستارا بشدة وقالت: أتعلمين يا ابنتي أنك أدهشتني بأمنياتك، وفي نفس الوقت ذكرتني بأبيك نومداكي عندما أفصحتِ لي عن أمنياتك هاته.

قالت إيستارا: لم أفهم، فهلا أوضحت؟. أجابتها إيمي قائلة: ذكرتني بأبيك لأنه قال لي يوما أنه من الرائع أن يكون كل على حاله ولكن أريد أن أكون امرأة للحظات قصيرة فقط لكي أعلم طبيعة العلاقة بين الأم وأطفالها، ثم قالت: أخبرني أنها مستحيلة، لكنها رائعة ولذلك ذكرتني به فأمنياتك تشبه أمنيته بطريقة ما!.

- أرجوك، دون أن تجدي عذرا، هلا حكيت لي عن أبي؟ أخبرتني أنه اختفى ولم يعثر له على أثر بعد ذلك، هلا حكيت لي رجاء؟

أخذت إيمي نفسا ثم قالت: ماذا أقول يا ابنتي، بكل بساطة، في أحد الأيام حدث معنا مشكل كما يحدث لجميع الأزواج ولم نستطع التوصل إلى حل وسط فخرج من القصر غاضبا ولم يعد، بحثنا عنه طويلا دون أن نجد له أثرا للأسف، لذلك نعتقد أنه توفي، فقد مر زمن طويل على غيابه.

- حسنا، لن أسأل مرة أخرى ولكن عن أي قصر تتكلمين؟

- إنه قصر جدك كيجابير، وأرجوأن لا تسأليني لم هوليس معنا الآن.

قالت إيستارا: لا، لن أسألك، بديهي أنه كان قاسيا جدا.

- لا يا ابنتي لم يكن جدك قاسيا أبدا، بل كان حنونا جدا، وكان يخاف علينا كثيرا ويعطف علينا، ولكن لست أعلم لماذا لا نتنازل ولوقليلا في المشاكل بيننا ونظن دوما أننا على حق وأن الغير هوالمخطئ.

- شوقتني أكثر حتى أعرف ما الذي جرى بين جدتي ياريكا وجدي كيجابير فصرنا بعيدين جدا، هلا حكيت لي أكثر يا أمي، أرجوك.

نهضت إيمي من مكانها وقالت: حصلت على جواب دون أن تسألي، لكن لا بأس، أما الآن فالوقت أصبح متأخرا ويجب عليك الذهاب للنوم؟. لكن إيستارا كانت عنيدة وقالت: لكن قولي ما الذي جرى يا أمي بينهما وبعدها سأذهب لأنام، لا تتركيني هكذا متشوقة.

- لا، لا يا إيستارا، اذهبي إلى الفراش وستعلمين ماذا حصل في الوقت المناسب إن شاء الله، أنت لا تزالين صغيرة والآن قبليني واذهبي لكي تنامي، فقالت إيستارا: سأذهب وأنام لأني فتاة مطيعة وأنت تعلمين هذا.

الفصل الثالث: الزيارة المتوقعة

" اغرس زهرة على الأرض وسوف تحرّك أبعد نجم "

بول ديراك

نامت إيستارا وبعد حوالي ساعة من نومها نامت أمها إيمي، ومضت ساعات الليل سريعا. أشرقت الشمس وكانت إيستارا جالسة في الحديقة تداعب الأزهار وعلامات السرور تكاد تكون غائبة عن محياها البديع، فهي لم تعتد العيش بعيدا عن صديقتها ريتومي، وفجأة ضربت على جبينها براحة يدها وقالت: مرت كل تلك الأيام ونسيت أن أري تلك القصيدة التي كتبتها لريتومي، أين كان تفكيري؟ لكن لا بأس.

لحظات فقط قبل أن تسمع أمها تنادي عليها فهرعت تجري لتنظر ما تريده منها، وعندما وصلت إليها وجدت أمها حاملة مقصا، وما إن نظرت إيستارا إلى أمها ورأت المقص يقلب بين أصابع أمها الرقيقة التي كانت تبادلها النظرات بابتسامة خفيفة تعلو محياها حتى رفعت إيستارا إحدى يديها وبدأت تلوح بها كأنها تريد أن تقول لأمها " لا يا أمي لن تقصي شعري " وبدأت ترجع في خطواتها إلى الوراء وإيمي تقول: تعالي يا ابنتي فإن شعرك طويل جدا ولا بد من أن نقصه بعض الشيء.

- لا، أرجوك يا أمي لا تفعلي بي هذا فأنا ابنتك، والأم لا تفعل هذا بابنتها، دعينا يا أمي من شعري ولنذهب لنطعم الدجاجات والأرانب، لا

شك أنهم جياع، هيا ضعي المقص من يدك رجاء.

– لا يا إيستارا لقد اعتنيت بالحيوانات في الصباح الباكر والآن تعالي دون أن تجادلي، تعالي ولا تتركيني أمسكك فأقصه أكثر مما ينبغي وتقولي بعد ذلك لوأني سمعت كلام أمي وأطعتها لما اضطرت لقصه كل هذا الحد.

بدأت إيستارا تتجه نحوأمها ببطء وهي تتمنى أن يحدث شيء ما يجعل أمها تعدل عن فكرة قص الشعر هذه، لكن لم يتغير شيء.

جلست إيستارا على كرسي صغير وملامحها لا تدل على الرضى من فكرة قص شعرها، كانت أمها واقفة خلفها، وهمت بقصّ خصلة من شعر ابنتها، ولكن ما إن لامست أياديها نعومة شعر إيستارا الذي لم يكن له مثيل حتى قالت: لا لن أقصه، أنا أعلم، لوقصصته قليلا سيسوء. وضعت المقص من يديها واستدارت إيستارا بقوة وعانقت أمها وقالت: شكرا، شكرا يا أمي، كنت أعلم أنّك لن تفعلي هذا بي.

ولكن بسبب استدارتها القوية تلك، جعلت خصلات شعرها تلامس وجنتي أمها التي قالت: لهذا السبب أريد قصه اجلسي، اجلسي.

لم تفهم إيستارا أي شيء وقالت في نفسها: أيعقل أنها استاءت من خصلات شعري التي لامست وجهها، كان من المفترض أن تفرح ولا تقص شعري لأني عانقتها وعبرت لها عن حبي، ماذا دهاها؟ أفكرة قص شعري جعلتها تنسى السعادة التي تحس بها قربي؟.

أما إيمي فقد قالت: شعرك جميل يا ابنتي ولأنك فرحت فرحة شديدة عندما وضعتُ المقص سأقوم بضفره ضفيرتين دون أن أقص منه شعرة واحدة، هل يسعدك هذا الآن يا حلوتي الصغيرة ويا دميتي الوديعة... يا

نيهايسولة لونفيروالصغيرة!.

لم تقم إيستارا بأية ردة فعل قوية، وبقيت هادئة. قالت بنبرة صوت فيها الكثير من السكينة: طبعا يا أمي يسعدني كثيرا وبدأت إيمي بضفره وسرعان ما انتهت منه. عندما قامت إيستارا قالت إيمي: من يرى شعرك وهومضفور لا يتصور كثافته عندما يكون مسدولا، حسنا والآن هيا اذهبي إلى الحديقة وتابعي اللعب أوالعبي مع الآخرين.

لم تشأ إيستارا الذهاب واللعب مع الآخرين وصديقتها المفضلة ليست معها، فبقيت في الحديقة تقطف زهرة من هنا وهناك قبل أن تغير رأيها وقطفت زهورا كثيرة ثم أحضرت خيطا رقيقا وجعلت تصنع عقدا من الورود لتهديه إلى أمها.

كانت إيمي في المطبخ تحضر في الغداء، قبل أن تراودها فكرة النظر إلى ما تفعله ابنتها في الحديقة، خصوصا بعد أن ذهبت صديقتها، فأطلت من نافذة المطبخ لتبصر ابنتها تدخل البراعم في الخيط وهي تقول: سأهدي هذا العقد الجميل لأمي، لا بد أنها ستفرح كثيرا، ثم مسكته بكلتا يديها وأخذت تنظر إليه وقالت: ستفرح كثيرا، أكثر من فرحتي عندما وضعَت المقص من يدها.

كانت إيستارا تتكلم مع نفسها أما إيمي فقد علت وجهها ابتسامة عريضة جعلت أسنانها البيضاء المتراكبة تظهر وقالت بصوت جدّ منخفض: ليباركك الله يا ابنتي، ثم عادت لتكمل طهوالطعام ومشاعرها تتراقص فوق صفحات قلبها بسماع تلك الكلمات التي كانت تجري بين شفاه ابنتها لتدغدغ أحاسيسها، بقيت تنتظر فقط متى تُحضر ابنتها العقد، وليس الوقت الذي يكون فيه الطعام قد نضج.

ما إن انتهت إيستارا من إدخال البراعم في الخيط حتى حانت المرحلة

الأخيرة وهي أن تعقد طرفيه، فجأة سمعت صوت فتاة تقول: هاي، أنت، ماذا تفعلين عندك أيتها الفتاة التي لوكان لك توأم حقيقي لكنت الأجمل؟

رفعت إيستارا بصرها لأنها لم تُصدق ما سمعته أذناها قبل لحظات، لكن ما إن وقع بصرها على المتكلمة حتى طارت مشاعرها فرحا وابتهاجا، فقد كانت المتكلمة هي ابنة خالتها "جوساي"، ومعها أمها كوريسي ووالدها الذي يدعى مالفي.

كانت جوساي في عمر إيستارا تقريبا، أوتفوقها بأشهر ذات بشرة بيضاء وشعر أسود مجعد طويل، ولعل أكثر شيء يشدك لونظرت إليها، هوطولها الذي لا يوحي بأنها فتاة في السادسة عشر، ذات عينين سوداوتين، جميلة الوجه، تضيعُ في وجهها قبل أن تضيع في طولها.

أما أمها كوريسي فكانت امرأة بهية المنظر ذات بشرة بيضاء وشعر حريري ذولون كستنائي ليس بالطويل ولا بالقصير، ولم تكن تشبه أختها إيمي كثيرا، أما مالفي فما إن تقع عيناك عليه حتى تدرك أن طول جوساي لم يكن إلا بسبب طول أبيها، فقد كان طويل القامة نسبيا معتدل الجسم ذوبشرة سمراء، ذا شعر أسود، ومن المستحيل أن تنظر إلى محياه دون أن تبدأ بالابتسام فقد كانت أساريره البشوشة تلك تدفع أي شخص للابتسام. يرتدي سروالا وقميصا يصل حد الركبة، أما كوريسي وجوساي فترتديان لباسا يشبه لباس إيمي أبيض اللون يتخلل طرف كميه لون ذهبي.

ما إن همّت إيستارا بالركض حتى سقطت على الأرض، لكن سرعان ما نهضت لتبدأ بالركض نحوهم من جديد وهي تنادي بصوتها العذب الصاخب: أمي... أمي، تعالي لتري من أتى يزورنا، وتركت العقد الذي كانت تصنعه من يديها دون أن تشعر.

فتحت كوريسي ذراعيها واضعة إحدى ركبتيها على الأرض لتعانق ابنة أختها، التي ما إن كادت تصل وتعانق خالتها حتى وجدت نفسها بين السماء والأرض، فقد سبقت ذراعا مالفي ذراعي زوجته ليمسك إيستارا ويرفعها عاليا ثم قال: ألست مبدعا؟

أنزل مالفي إيستارا وجعل قدماها تلامس الأرض وقبلت خالتها وعانقتها بشدة وقبلت جوساي وعانقتها هي الأخرى كذلك ثم قالت لمالفي: لا أحد يشكّ في إبداعك، لكن أين جدتي؟ لا تقل أنكم أتيتم ثلاثتكم ولم تأتي جدتي معكم وبقيت في المنزل لوحدها؟

ابتسمت كوريسي وقالت: لا شيء من هذا يا ابنتي، لقد أتت معنا، لكنك تعلمين أن العجائز يُفضلن الجلوس وسط الطبيعة الخلابة ويتأملن في المناظر هنا وهناك، وكذلك يتعبن من المسير ثم استدارت إلى جهة الدرب الذي سلكوه وأشارت إلى أمها ياريكا قائلة: ها هي جدتك يا إيستارا، ألن تذهبي لتلقي عليها التحية وتقبليها؟. لكن إيستارا كانت قد ذهبت قبل أن تكمل خالتها الكلام.

قبلت إيستارا جدتها ياريكا، واتجهتا نحوالبيت، كانت ياريكا عجوزا، ولكن لا تحتاج إلى عكاز، فكانت ترى أنها لا تزال صغيرة في السن، كانت ذات بشرة بيضاء تملأ تجاعيد الكبر وجهها، وترتدي لباسا يميل للصفرة، تضع وشاحا أبيضا تغطي به رأسها.

أما إيمي التي كانت في المطبخ، فما إن سمعت إيستارا تنادي عليها قائلة " أمي تعالي لتري من أتى لزيارتنا "، حتى أطلت من النافذة ورأت ابنتها تسقط العقد من يديها وهي تتجه نحوالضيوف لترحب بهم فقالت إيمي في نفسها: يا لها من فتاة، نسيت أمر العقد تماما ثم أتبعت: لكن الأهم هوأنها لم

تنسني ونادتني، ثم خرجت لترحب بأختها وجوساي وكذلك مالفي لتصل إيستارا أخيرا مع جدتها ياريكا وهما تمسكان يدا بعضهما البعض وقالت ياريكا لإيمي التي أقبلت تسلم عليها وتعانقها: قولي لي يا ابنتي، ألا تتعب هذه المشاكسة من الركض والجري هنا وهناك؟. وهي تقصد بكلامها إيستارا فابتسمت إيمي قائلة: إنهم الصغار يا أمي، إذا لم يجروا ويمرحوا فماذا لديهم ليفعلوا؟. صحيح أنها في السادسة عشر لكنها لا تزال صغيرة في عيني، تماما كما كانت عندما أتيت بها لهذه الحياة.

قالت ياريكا مخاطبة حفيدتها: حسنا، اركضي كالمجنونة، لكن حاذري أن تسقطي، فإن لونفيرولن يسامحنا إن حدث لك مكروه!!

قالت إيستارا: لا تقلقي يا جدتي، لن أسقط مجددا، وإذا سقطت، سيكون بجانبي ليساعد نيمايسولته الصغيرة على النهوض!. ابتسم الجميع من قولها ثم اتجهوا إلى الداخل تتقدمهم الجدة وإيمي.

دخلت الجدة ياريكا أولا، ثم إيمي وأختها كوريسي مع زوجها، ثم دخلت جوساي وإيستارا وراءها التي تعثرت وسقطت على الأرض مرة أخرى، استدار الجميع ليروها على الأرض، فقامت جوساي بمساعدتها على النهوض. قالت جوساي: لونفيروطلب أن أساعدك!.

وسرعان ما بدأ الجميع بالضحك.

قالت ياريكا مازحة: لا تقلقي يا جدتي لن أسقط مجددا، أليس كذلك!

نظرت إيستارا إلى جدتها وقالت: كان قصدي أنني لن أسقط إذا هممت بالركض يا جدتي، فبادلتها جدتها نظرات مودة وعطف ثم قالت: أجل!

جلس الجميع في غرفة الاستقبال الواسعة، إلا كوريسي التي لم تستطع

الجلوس وترك أختها إيمي تحضر الغداء لوحدها وذهبت لتساعدها وخصوصا أن وقت الغداء كان قريبا جدا، لكنها تفاجأت أن أختها إيمي ليست في المطبخ، لحظات فقط قبل أن تنضم إيمي إليها وقالت: آسفة يا كوريسي. أما كوريسي فقالت: خلت أنك بالمطبخ فأين كنت يا ذكية؟. ردت إيمي: لا يهمّ هذا الآن، المهم هوأن الطعام سوف ينضج قريبا. سرعان ما أنهتا إعداد مائدة الطعام وبدأتا بوضع الصحون والكؤوس على المائدة، وكان ذلك الغداء سريعا جدا أوِ أن الوقت أسرع جدا.

بعد الانتهاء من تناول طعام الغداء قالت إيمي: لا بد أنكم متعبون من طول المسير، لذلك ما رأيكم أن تذهبوا لتناموا قليلا وتنالوا بذلك قسطا من الراحة.

رد مالفي بصوت خفيف وكان النعاس يداعب أجفانه: أنا سأذهب لأنام يا إيمي أما أنتم فانظرن ما تفعلن، سواء أردتن تبادل أطراف الحديث أوالنوم.

قالت ياريكا: أرى أن الكل سوف يذهب للنوم وكذلك أنت يا جوساي، وقبل أن تنطق جوساي بكلمة قالت إيستارا: لا، أنتم ناموا أما أنا وجوساي فسوف نلعب، لا شك أنك تعلمين أنني أشتاق إليها كثيرا وكذلك هي جد مشتاقة إلي لذلك سوف نلعب سوية.

– حسنا يا ابنتي، انظري مع جوساي إذن، لكن إن لعبتما لا تتسببا بالصراخ فنستيقظ وكأننا لم نزد غير التعب.

نظرت جوساي إلى إيستارا وقالت: دعينا يا إيستارا ننام وبعدها نلعب رجاء، صدقيني لقد استيقظنا باكرا جدا لنصل في هذا الوقت.

– حسنا سنذهب كلنا لننام بما أن الكل متعب ثم قالت: حتى كأنني أشعر بالتعب، سأنام أنا كذلك، سيكون هذا جيدا فالقيلولة كما يقولون مفيدة على الرغم من أني لا آخذ القيلولة إلا نادرا.

وهكذا نام الجميع والسكينة والهدوء يملئان أرجاء البيت المنعزل نسبيا عن المنازل الأخرى وبذلك يتجنبون سماع أي ضجيج.

ولكن بعد حوالي ساعة، ذهبت إيستارا وأيقظت مالفي، فتح عينيه ونظر إلى إيستارا وقال: هل من شيء مجنون سوف نقوم بفعله هذه المرة يا إيستارا؟

ارتسمت على وجه إيستارا ابتسامة تجعل المجنون يعقل وتجعل العاقل يُجنّ وقالت لمالفي: اقترب مني قليلا. وما إن اقترب مالفي منها حتى همست في أذنه قائلة: كسر الكأس ومسك شوك الصبار، هل أنت موافق؟

رد مالفي بصوت منخفض: أنت تلمحين إلى أن أكسر بيدي كأسا زجاجيا، وأنت تمسكي بيديك الصبار، هل أنت مجنونة؟

ردت إيستارا: في كل مرة كنا نفعل شيئا معقولا، لذلك رأيت أن نرتقي للجنون نوعا ما، على كل حال من الأحوال، الألم سوف يزول والجراح تضمد وتلتئم والشلل مستبعد لكنه وارد، ماذا قلت، موافق، أم لا؟

– موافق أيتها المجنونة، وهكذا اتجها الاثنان بسرعة إلى المطبخ وقالت إيستارا: اختر أي كأس، أما أنا فها هي شوكة الصبار، سأمسكها بيدي، وقبل أن يبدأ التحدي قال مالفي: انتظري، انتظري، يجب أن نذهب إلى الخارج، فكسر الكأس هنا يعني مشكلة مع إيمي.

خرج الاثنان إلى الحديقة وقال مالفي: واحد، اثنان، ثلاثة، ليضغط مالفي على الكأس بيده ويكسره أجزاء صغيرة وبدأت يده تنزف وفي نفس

الوقت الذي بدأ مالفي فيه بالضغط على الكأس كانت إيستارا تضغط على الصبار بيديها الناعمتين. وبدل أن يصرخ مالفي مالفي عند كسره الكأس، وبدل أن تصرخ إيستارا عند إمساكها الصبار، كان كل منهما يتباهى بجنونه وينظر للأخر بابتسامة.

كانت يدا الاثنان تنزفان، لحظة فقط قبل أن يضرب مالفي بيده الخارجية أذن إيستارا وكأنه يطرد شيئا ما، وقال: لقد كانت مجرد نحلة.

قالت إيستارا: أظن أن الجوهرة التي ترصعه صار لونها لون الدم، أليس كذلك؟. قال مالفي: إذن هيا بنا نغسل أيدينا، أنا أنزع أجزاء الزجاج وأنت تنزعين الأشواك، بعدها نضمد يدينا، ثم ننظف القرط وجوهرته.

بعد تضميد يديهما وتنظيف القرط، قال مالفي: من يا ترى كان الأكثر جنونا، إمساك الصبار، أم كسر الكأس؟. لتقول إيستارا: ماذا نقول لأمي حين تسألنا لما يدانا مضمدتين؟. قال مالفي: لا أدري، لكن من المحتمل أن تقول لي: أيها المعتوه، أنت في الثلاثين وتريد أن تصيب يد ابنتي بالشلل، بدل أن تنصحها توافق على مطالبها، إن كانت مجنونة، هل ستكون مجنونا؟. في هذه اللحظات كانت إيمي قد استيقظت للتومن القيلولة، وما إن رأت مالفي وإيستارا بيدين مضمدتين حتى أسرعت نحوهما وقالت:ماذا جرى لكما؟. فجأة ضرب مالفي جبهته، وقال لإيستارا: تركنا الكأس المكسور والصبار على الأرض، وقبل أن يضيف أي كلمة أخرى اتجهت إيمي خارجا وتبعها الاثنان. اتجهت إيمي نحوزجاج الكأس والصبار لتطأ برجلها اليمنى على الزجاج، وبرجلها اليسرى على الصبار، كل هذا أمام شخوص بصر كل من مالفي وإيستارا وكأنهما غير مصدقين ما تفعله إيمي، وقال مالفي بصوت جدّ منخفض: هل يعقل أن إيمي مجنونة حقا!.

قالت إيستارا: أمي ماذا تفعلين؟. فردت إيمي: إني أريكم ضعف الجنون، هذا كل شيء، ثم قالت: أسرعا ونظفا هذا، ريثما أضمد جراح قدمي وقال مالفي في نفسه ناسيا ما فعله: هل يعقل أن إيمي مجنونة حقا ولهذا تركها نومداكي؟ لا، لا، هذا مستحيل!.

حمل مالفي أجزاء الكأس المكسور ودفنه تحت الأرض وحملت إيستارا الصبار وتركته في موضع تستمتع به أشعة الشمس ريثما يصبح يابسا. عاد الاثنان إلى الداخل، وقال مالفي لإيستارا: كيف ستمشي إيمي يا ترى، وقد آذت قدميها كثيرا؟

ردت إيستارا قائلة: لا تقلق عليها أبدا، المجانين لديهم آلام في رؤوسهم فقط، على الأقل هذا ما أظنه!

قبل العصر بقليل كان الجميع مستيقظين وقد استعادوا نشاطهم، خرجت الفتاتان للعب أما مالفي فحمل أحد الكتب وبدأ يقرأ خصوصا أنه كان من المتعطشين للقراءة، وكأس القهوة أمامه يرتشف منه بين الفينة والأخرى، وكثيرا ما كان يتحسس المذاق الرائع للقهوة، أما النسوة فكن يتبادلن أطراف الحديث وهنّ يرتشفن القهوة كذلك. سُئل مالفي عما جرى له، وسُئلت إيمي، واتفق الاثنان على أن ما حدث قد حدث دون أن يعطوا أي تبرير.

لم يطل الوقت كثيرا حتى غابت الشمس من محيا السماء الأزرق وأسدل الليل ستاره الأسود العجيب، وتربع على تلك الأرجاء وبدأ يتبادل أطراف الحديث مع النجوم والقمر.

كانت جوساي وإيستارا تتبادلان الحديث مع مالفي، والجدة ياريكا تستمع وترسم ابتسامة عريضة، أما الأختان فلم يكن لهما بد من إعداد عشاء شهي يجعل الجميع يريد المزيد منه، وكوريسي تقول لإيمي: اجلسي، دعيني

أحضر العشاء، وإيمي تقول: أختي، لا تعامليني كأني لا أستطيع المشي، أخبريني، هل يعاملك مالفي بود أم لا، ألا يزال يلقي أبياته ويتباهى بقدرته أمامك فكلنا يعرف أن لا أحد يجاريه في غزله؟. قالت كوريسي: آه منه إذا أخذ نفسا عميقا وقال لي: أسدلتُ أجفان الشمس حتى لا تراك وحلقت عصافير روحي ملأ دنياك، دعينا منه رجاء، دائما أعترف أنه أفضل مني رغم أني أحاول استرضائه بما أملكه من موهبة!.

تحت ضوء الشموع أنهوا العشاء في هدوء، بعدها اتجهوا مباشرة إلى الغرفة الرئيسية لتبادل أطراف الحديث وارتشاف الشاي.

قالت إيستارا: من الجيد أنكم أتيتم وأرجوأن تطيلوا البقاء لكي أتمكن من قضاء الكثير من الوقت في اللعب مع جوساي فرد عليها مالفي: إذن، نحن لا يهمّك بقائنا إلا لأجل اللعب والمرح مع جوساي، أليس كذلك؟

تبسمت إيستارا وقالت: استنتاجك ليس في محله، أنتم تبقون هنا وتكونون قرب أمي، أما أنا فأكون مع جوساي، هذا كل شيء.

– على كل حال أنا وكوريسي لن نطيل البقاء هنا، وأظن أنه علينا العودة في الغد إن شاء الله لبيتنا الجديد فلا بد من العودة يا ابنتي.

قالت إيمي: لكن لماذا يا مالفي؟ فجوساي في عطلة، هل لك إذن أن تخبرني لماذا يجب عليكم العودة بعد مدة قصيرة، هل هناك من خطب ما؟.

– ليس بالأمر الجلل، لكن كما تعلمين فإن المرض الجلدي الذي أصاب يدي تفاقم كثيرا وصرت أجرح يدي إذا قمت بالحك لا سيما ليلا، ولأني سمعت عن حكيم في إحدى القرى المجاورة تردد حوله الكلام أنه بارع أردت قصده هذا كل ما في الأمر.

– حسنا، ها قد فهمت إذن، أتمنى أن تشفى في أسرع وقت من مرضك هذا وأن تذهبا دون أن تصادفكما أية مشاكل وتعودا بسلام.

قالت إيستارا: لكن هل تعلمون اسمه وأين يقطن؟ أم أنكم ذاهبون وعند وصولكم إلى القرية التي يقيم فيها تسألون عنه؟. فردت كوريسي: إن اسمه " جايري واير"، وقيل أنه يقطن في إحدى القرى المجاورة لنا لذلك سنذهب للقرية ونسال عنه وهذا لن يكون بالأمر الصعب. قالت إيمي: أتمنى أن تكون الأمور ميسرة لكما.

قالت إيستارا: أخبرتني أمي أنكم اشتريتم منزلا جديدا، هل هذا صحيح يا عم مالفي؟. فرد مالفي بنبرة صوت متحسرة: تُكذبين أمك أم تكذبيني أنا؟

– أريد أن أسألك سؤالا آخر، لكن أظن أني سأكون متطفلة لذلك لن أسأل، ولا تسألني عن السؤال هذا لأني لن أجيب، قال مالفي: كما يحلولك، أتمنى فقط أن لا تندمي على عدم طرح سؤالك في يوم من الأيام يا إيستارا.

نام الجميع، وعند الصباح استيقظوا جميعا إلا جوساي التي كانت لا تزال تغط في نوم عميق. بعد أن تناولوا فطور الصباح قرّر مالفي وكوريسي الذهاب، كانت الشمس المشرقة تغريك بأشعتها الدافئة وقالت إيمي: انتظروا قليلا ريثما تستيقظ جوساي وبعدها اذهبوا، سيكون هذا أفضل من الذهاب دون أن تروها، ما تقول يا مالفي؟

قال مالفي: إيمي، أنت تعلمين أن الطريق أمامنا طويلة نوعا ما، لذلك فمن الأفضل أن نذهب الآن وكذلك لنأخذ ما يلزم من زاد في هذه الرحلة، لذلك أرجوأن تسامحينا وأخبري جوساي أنه لم يكن أمامنا خيار غير الذهاب في هذا الوقت.

- حسنا، صدقت قولا يا مالفي، لم يتبقى سوى أن أقول رافقتكما السلامة، وقبل أن أنسى، لدي شيء أخير أقوله لك يا مالفي.

ابتسم مالفي قائلا: ألا تريدين منا الذهاب؟ في كل لحظة تقولين أريد أن أقول شيئا، هات ما عندك وأريحي صدورنا من كلامك.

تبسمت إيمي وقالت: اعتني بأختي جيدا فكما تعلم لي أخت واحدة، وأنت تعلم أني أخاف عليها كثيرا، أكثر منك حتى.

ابتسمت كوريسي وكذلك ياريكا في حين قال مالفي: سأعتني بها ولكن من سيعتني بي؟ للأسف ليس هناك من يفكر فيّ بتاتا لكن لا بأس بهذا، وما إن أتم كلامه حتى قالت كوريسي: لقد جرحته بكلامك الذي راقني يا إيمي والآن وداعا.

- رافقتكما السلامة.

سار مالفي وزوجته، أما إيمي وياريكا فكانتا لا تزالان واقفتين وهما تنتظران أن يتوارى الاثنان عن الأنظار، فجأة استدار مالفي وكوريسي من جديد وخالت إيمي وأمها أنهما يريدان التحية، فرفعتا يديهما وقامتا بالتلويح لهما، لكن مالفي وكوريسي كانا عائدين نحوهما، فأقبلت إيمي نحوهما هي الأخرى وما إن صارت في مواجهتهما حتى قالت: خلت أنكما تريدان إلقاء التحية لا غير، فما هذا الذي جعلكم تعودان يا ترى؟

قالت كوريسي: لقد نسينا أن نترك لك النسخة الثانية من مفاتيح المنزل فربما أطلنا الرحلة وأردتم تغيير الجو رغم أن هذا الجولا يوجد ما هوأحسن منه، ولكن من يدري، ربما تحتاجونها ونكون لم نرجع بعد من الرحلة؟

مسكت إيمي المفاتيح وقالت شكرا جزيلا لكما، وتابعت كوريسي

وزوجها الطريق للوصول إلى منزلهم ومباشرة الرحلة إلى الحكيم جايري واير، أما إيمي فقد أعطت المفاتيح إلى أمها ياريكا التي كانت قد جلست على كرسي مدولب في حديقة المنزل.

الفصل الرابع: البير الأبيض والوردة البرتقالية

" سوف يكون ممكنا عدم تحويل الظلام إلى نور، والسكون إلى حركة دون عاطفة "

كارل غوستاف يونغ

بعد أن عاد والدا جوساي إلى المنزل وهذا لأخذ ما يلزمهم في رحلتهم قالت إيستارا لأمها أنها ستذهب مع جوساي في نزهة حتى تريها روعة الأجواء، فلم تمانع أمها بشرط ألا تبتعدا كثيرا وعدم التفكير في دخول الغابة أوحتى الاقتراب منها، فوافقت إيستارا على كلام أمها وذهبت مع جوساي إلى حديقة المنزل لتقبلا جدتهما التي كانت جالسة على الكرسي المدولب، ولكن هذه المرة كانت تغزل في بعض الثياب، فقبلتاها وقالتا: إلى اللقاء يا جدتي فردت الجدة قائلة: رافقتكما السلامة يا ابنتاي وإيّاكما أن تطيلا الغياب.

وانطلقت إيستارا وجوساي تتبادلان أطراف الحديث وتستمتعان بقطف الأزهار ومطاردة الفراشات وفي جوذلك الحديث الممتع نسيت الفتاتان أنهما قد سارتا طويلا وفجأة وجدتا نفسيهما أمام سياج الغابة ففرحت إيستارا فرحة عارمة أما جوساي فقالت: علينا العودة يا إيستارا، فقد ابتعدنا كثيرا. نظرت إيستارا إلى جوساي وهي تبتسم ابتسامة لا توحي بأي رغبة في العودة وأردفت تقول لجوساي: ما بك يا جوساي، هل أنت خائفة وضربات قلبك تتسارع؟ لا زلنا أمام السياج فقط، لا تخافي سنمشي بمحاذاته فقط؟

تابعتا المشي بمحاذاة السياج، وفجأة لمحت إيستارا منفذا في السياج، فأسرعت نحوه تجري وتبعتها جوساي قائلة: انتظريني يا إيستارا، فهي لم تكن تعلم بما لمحته عيون إيستارا، أما هذه الأخيرة فكانت تقول في نفسها: الآن يا إيستارا تبدأ الحياة الحقيقية.

توقفت إيستارا، وما إن وصلت جوساي ورأت ذلك المنفذ في السياج حتى بدأت خطواتها تتراجع إلى الخلف وهي تقول: ماذا يا إيستارا؟ ماذا تنتظرين يا إيستارا؟ نحن على مشارف الغابة، هيا لنعد أدراجنا فأنا جد خائفة.

قالت إيستارا: الغابة تخيفنا والوحوش تريدنا والفضول يسوقنا فماذا سنفعل؟. وأضافت قائلة: أما بالنسبة لأمي، إن عرفت أني دخلت الغابة فهناك احتمالان واردان وهما: إن حاولت الهروب من أمامها فسأكون عرضة لعقابها، وإن حاولت الهروب من ورائها فسأكون عرضة لدعائها، وهنا قالت لجوساي: كم تخافين؟ قد أتجرأ وأقول أنك جبانة، ما بك؟ لم ندخل إلى الغابة بعد، وتراودني أفكار دخولها الآن فقط، وأنت ترتعشين خوفا، حافظي على توازنك قليلا.

– إيستارا، انسي تماما أمر الدخول فقد قلنا لخالتي أننا لن ندخل أبدا إلى الغابة، وهذا يعني أننا لن ندخلها، لذلك هيا بنا نعد أدراجنا.

– لم لستِ ذكية يا جوساي؟ قلنا لن نقترب لكننا لم نقطع لها وعدا بعدم الاقتراب، ثانيا عند قولنا أننا لن ندخلها كان المقصود أننا لا نستطيع تسلق السياج، أما الآن فقد وجدنا مدخلا سهلا، وقالت في سرها: أمي سأخرج قليلا عن طاعتك، لذلك سامحيني رجاء، إنها اللحظات الرائعة للحياة.

قالت جوساي: لا تحاولي أن تكوني ذكية يا إيستارا، قلنا أننا لن ندخل

وهذا يعني أننا لن ندخل وانتهى الأمر، هيا تعالي لنعد دون أن تجادلينني.

– جوساي، أنت تحرمين نفسك من لحظات الحياة الرائعة، أليست لديك روح المغامرة، الكبار يقولون لا تفعلوا ذلك لأنهم يعلمون أننا سنفعله، وليس تحذيرا، فالواجب أن يقنعونا وأمي لم تقنعنا بأنا هناك حيوانات مفترسة بهاته الغابة، لذلك الدخول ليس محرما أبدا.

– بلى، هناك خطر كبير، ماذا لودخلنا ووجدنا حيوانا مفترسا، ماذا سنفعل حينها؟ سوف نصبح طعاما له ولن يستطيع أي شخص إنقاذنا.

مسكت جوساي بيد إيستارا وقالت ستعودين معي إلى المنزل الآن شئت أم أبيت، لكن سرعان ما أفلتت إيستارا يدها وعادت تجري إلى ذلك المنفذ وأسرعت بالدخول وقالت لجوساي: حسنا، هل يمكنك أن تمنعيني الآن؟

– كما تشائين، سوف أعود إلى المنزل، وأخبر خالتي ولن أكون مسئولة عن أي شيء قد يحدث لك فأنت فتاة متهورة ليس إلا.

همّت جوساي بالعودة إلى المنزل لإخبار خالتها بما فعلته إيستارا، أما هاته الأخيرة فقد دخلت إلى الغابة التي نُهيت عن دخولها.

كانت الغابة مخيفة وموحشة، أشجارها غاية في الارتفاع وكل الطرق فيها متعرجة فكانت إيستارا تمشي وتضع علامة على كل شجرة تمر عليها بإحدى الأحجار التي التقطتها وهذا حتى لا تتيه في أدغال الغابة، ومسكت بضع أحجار صغيرة وبدأت ترمي فيها عشوائيا عندما توغلت في تلك الغابة، وبعد أن رمت آخر حصاة قالت: يا ويلي، من حسن حظي أني كنت أرمي في الأحجار

هاته وإلا لكان انتهى أمري. وبعد مدة قصيرة قررت العودة للحاق بابنة

خالتها.

عادت إيستارا وهي تركض بأقصى سرعة كي تلحق ابنة خالتها وتأسر قلبها بأوصاف الغابة، وقبل هذا لكي لا تخبر جوساي خالتها إيمي بما فعلته إيستارا وهو أنها دخلت للغابة التي حذرتها أمها من الدخول إليها.

ولحسن حظها فإنها لحقت بجوساي قبل أن تصل هذه الأخيرة إلى المنزل، وما إن رأتها حتى بدأت تنادي بأعلى صوتها وتقول: انتظري يا جوساي، انتظري أنا قادمة. استدارت جوساي ورأت إيستارا تلهث من شدة التعب واتجهت نحوها مباشرة لتطمئن على حالها وترى إن كانت على أحسن ما يرام، وقالت: ماذا جرى لك يا إيستارا؟ هل أنت بخير؟ أخبريني، هل حدث لك أي مكروه؟

– اصمتي قليلا، اصمتي قليلا رجاء ودعيني ألتقط أنفاسي لوللحظة، فكل ما جرى لي هوبسببك يا جوساي.

– بسببي، يا لك من ناكرة للجميل؟ الذنب ذنبي أني جئت أجري نحوك كي أطمئن على حالك بعد كل الذي فعلته وذاك العناد الذي أبديته.

نظرت إليها إيستارا وقد كانت عيناها تأسر الناظر إليهما فيسامحها وينسى كل شيء حتى وإن كانت هي المخطئة وقالت بصوت رقيق: هل غضبت يا جوساي؟ كنت أمزح معك ليس إلا.

– حسنا، لنعد إلى المنزل فلدي أشياء كثيرة أقولها لخالتي بشأنك كي تتعلمي أن تسمعي كلام من هم أكبر منك ولا تحاولي التذاكي.

– ماذا؟ أنت ابنة خالتي ويستحيل أن تفعلي هذا بي، أرجوك لا تخبري أمي فأنا أعلم أنها ستضربني وإن أشفقَت فسوف تشفق إن قالت جدتي:

دعيها يا إيمي هي لن تفعل هذا مجددا، لذلك لا تخبريها أي شيء، اتفقنا.

– لم نتفق بعد، أنا سأخبرها ولن تنطلي كلماتك علي، حاولي بطريقة أخرى.

– رائع، قلت أننا لم نتفق بعد، يعني أنه من الممكن أن نتفق، وقلت حاولي بطريقة أخرى، يعني أنه توجد طريقة لأقنعك بالصمت.

وبعد محاولات عديدة من إيستارا لإقناع جوساي بعدم الكلام لم تفلح أبدا، وبقيت جوساي متمسكة بقرارها وإخبار خالتها إيمي بما فعلته إيستارا وقالت جوساي في الأخير: أنا إنما سأخبرها من أجل سلامتك فقط فلا تقومي بالدخول مجددا إلى الغابة الموحشة.

قالت إيستارا: يا عيني، من أجل سلامتي، الآن ضقت ذرعا، حاولت معك بكل الطرق ولكن لدي طريقة أخرى ستجعلك تصمتين رغما عنك بل تتوسلين، وهنا ابتسمت جوساي ابتسامة عريضة أبانت عن جمالها وقالت: تحاولين إخافتي بكلامك؟ كلامك هذا يدفعني للضحك.

اقتربت إيستارا منها، وجعلت تدغدغها ولم تفلتها ولو للحظة، حتى بدأت جوساي تضحك وتقول: لن أخبرها، اتركيني أرجوك، وقالت إيستارا: لن تخدعيني، يجب أن تقولي لن أخبر خالتي ولن أخبر جدتي، وسأتركك إن وعدتني بأنك لن تنطقي بحرف واحد.

– حسنا، موافقة، أعدك أني لن أقول لهما شيئا. تركَتهَا إيستارا وهي تضحك وتقول: أرأيت كم كانت طريقتي رائعة لجعلتك تلتزمين الصمت يا ذكية؟. ردت جوساي: نجحت هذه المرة ولكن لن تنجحي في المرة القادمة. قالت إيستارا: سترين أني سأدخِلك إلى الغابة في الغد إن شاء الله، اصبري قليلا فقط.

عادت الفتاتان إلى المنزل، وما إن رأتا جدتهما تتمشى في أرجاء الحديقة، حتى أسرعتا نحوها فقبلتاها وقالت إيستارا: لقد اشتقنا إليك كثيرا جدتي.

– كذلك أنا اشتقت لحفيدتيّ، لكنكما أطلتما الغياب رغم أني قلت لكما أن تسرعا في العودة، لماذا تأخرتما إذن ولم تلقيا بالا لكلامي؟

قالت إيستارا: لا يا جدتي، لم نطل الغياب وتأخرنا قليلا، قليلا فقط.

– لا زلت على عادتك تركزين في تفاصيل الكلمات وتدققين فيها، يا لك من فتاة؟. ردت إيستارا: يجب أن تفخري بحفيدتك لأنها على هذا القدر من الذكاء والفطنة، أما جوساي فنظرت إلى إيستارا وكأنها تتوعدها، وقالت الجدة ياريكا: اسمعيني يا إيستارا، جميل منك هذا، ولكن في بعض الأحيان يجب علينا حمل المعنى من الكلام وليس التدقيق في كل كلمة نسمعها، والآن، هيا تعاليا معي لتناول الغداء فقد اضطررت لانتظاركما حتى حين عودتكما فردت الفتاتان بصوت واحد: شكرا يا جدتي، أنت لطيفة.

دخلت الفتاتان مع جدتهما وبدأت إيستارا تنادي: أمي، أين أنت يا أمي؟ ها قد عدنا ثم التفتت إلى جدتها قائلة: جدتي أين أمي؟

– لا بد أنها تعتني بالأحصنة، فكما تعلمين، في العطلة لا شيء يملأ وقتها ويشعرها بالمتعة كالاعتناء بحيواناتها الأليفة، وما إن تناولوا طعام الغداء، حتى دخلت ايمي وقالت لأمها ياريكا: أخيرا، متى عادت المشاكستان يا أمي؟

ابتسمت ياريكا وقالت: آه يا ابنتي، لقد عادتا منذ وقت طويل ونظرت إلى إيستارا وجوساي قائلة: أليس كذلك يا حفيدتيّ أم أنا مخطئة؟. أخفضت الاثنتين رأسيهما، وقالت إيمي: كنت أعلم أنهما مشاكستان، لكن لا بأس

هذه المرة.

جلست إيمي وأمها ياريكا في غرفة الاستقبال تتبادلان أطراف الحديث، أما الفتاتان فقد جلستا تلعبان في حديقة المنزل حتى غربت الشمس فدخلتا إلى المنزل وبدأت إيمي والجدة بإعداد العشاء، بعد أن أنهى الجميع عشاءه قالت ايمي: إيستارا، جوساي، هيا اذهبا إلى الغرفة وناما فقد تعبتما كثيرا. لكن إيستارا لم تكن لتقبل بهذا وقالت: أرجوك يا أمي سنرتشف الشاي سوية بعدها سنخلد للنوم مباشرة وأرى أنه من الجيد السهر هاته الليلة، أليس كذلك يا جدتي؟

– أجل معها حق يا إيمي، هنّ الآن في عطلة، هيا اذهبن وأنرن الغرفة ريثما آتي. لتبدأ إيستارا بالقفز كالمجنونة وهي تقول: مرحى، مرحى، توقفت عن القفز وهمست في أذن جوساي: باستطاعتي إقناع أي كان، ما رأيك؟. ردّت عليها جوساي قائلة: هذا أجمل شيء فعلته حتى اليوم يا إيستارا.

بعد تبادل أطراف حديث ممل لوقت طويل قالت إيستارا في نفسها: يجب أن أفضي لمسة أكثر جدية وقالت: جدتي أريد أن أسألك سؤالا يراود فكري ولم أجد له أي جواب لحد الآن، وأرجوأن تجيبي عليه.

– ما هذا السؤال الذي يزعج حفيدتي ولا يفارق ذهنها؟.

– أريد أن أعلم ماذا جرى بينك وبين جدي كيجابير حتى انفصلتما عن بعضكما، هذا فقط، لم أجد له أي جواب وسألت أمي ولكن جُل ما أخبرتني به هوأن هذا الوقت ليس الوقت المناسب لكي أعرف.

وضعت إيمي فنجان الشاي وصرخت في وجه إيستارا قائلة: كم مرة علي أن أقول لك أن لا تطرحي هذا السؤال وأنك ستعرفين في الوقت

المناسب، ولكنك دائما عنيدة ولا تسمعين الكلام، هيا اذهبي إلى غرفتك ونامي، فتاة مزعجة. بنبرة صوت تكسر القلب قالت إيستارا: أرجوك، لا تصرخي يا أمي، جل ما فعلته هومحاولة استحضار الوقت المناسب، وإن أزعجك الأمر، فسوف أذهب إلى غرفتي لكن بعد أن تقولي بودّ: سامحتك يا دميتي البديعة، ولا تنسي أنني نيمايسولة لونفيروالصغيرة!.

أما ياريكا فقالت لإيمي: لا عليك يا ايمي، دعيها تسأل فهي لا زالت صغيرة ولا يجدر بك الصراخ في وجهها هكذا ومن حقها أن تعرف على الأقل من كان المخطئ في قصة انفصالنا. هدأت إيمي وقالت: حسنا لك ذلك يا أمي، آسفة على ردة فعلي يا ابنتي.

قالت جوساي: جيد أنا كذلك كلي آذان صاغية فحتى أمي كانت تقول أن لا أسألها هذا السؤال وأني سأعرف يوما ما. قالت ايمي: حتى أنت يا جوساي، ما كل هذا الفضول؟ اسمعن القصة إذن.

قالت ياريكا: لا يا إيمي، قلت أنهما ستعرفان من المخطأ فقط وغير ذلك فلن تسمعا حرفا عن القصة. قالت جوساي: حسنا، أنا سأذهب للنوم وفي

الغد إن شاء الله أخبريني يا إيستارا من كان المخطأ فقد استسلمت للنعاس، لكن إيستارا كانت قد نامت في حضن جدتها دون أن يعلم أحد أنها نامت، فابتسمن ومشت جوساي باتجاه الغرفة، أما إيستارا فقد كانت تحملها الجدة ياريكا بين ذراعيها، لتسرع إيمي نحوجوساي وتحملها بين ذراعيها وقالت: لستِ نائمة ولكنك ستسقطين، فابتسمت جوساي وقالت: شكرا يا خالتي.

- هل الخالة تُشكر كذلك؟ لم أكن أعلم هذا؟

برفق، وضعت الجدة ياريكا إيستارا في فراشها، ووضعت ايمي ابنة أختها جوساي في فراشها، وغطت الجدة حفيدتيها ثم أطفأت إيمي كلّ الشموع وما إن همت ياريكا بأن تغلق الباب حتى سمعت إيستارا تقول: جدتي هي المخطئة وليس جدي، وسمعتها إيمي كذلك فعادت إيمي وأشعلت إحدى الشموع واتجهت نحوإيستارا فقد ظنت أنها استيقظت، لكن إيستارا كانت تتحدث وهي نائمة.

خرجت كل من إيمي وياريكا من الغرفة، وأغلقتا الباب وقالت ياريكا: حتى وهي نائمة فقد كانت على حق في قولها، لذلك أرجوأن تعود الأجواء إلى حالها عن قريب.

قالت إيمي: أتمنى هذا من كل قلبي، ثم نام الجميع في سكينة وهدوء في دفء المنزل.

استيقظ الكل فجرا وكذلك جوساي دون أن يؤثر عليهم السهر، وقالت إيستارا في نفسها: متى ستشرقين أيتها الشمس البديعة؟ أنشد الذهاب للغابة بشدة. كان الجميع نشطين ولكن بعد تناول فطور الصباح عادت جوساي لتواصل النوم.

أشرقت الشمس واتجهت إيستارا لغرفتها حتى توقظ جوساي، أخذت ترجها يمينا وشمالا حتى تستيقظ فقامت جوساي وهي في قمة الغضب ودفعت إيستارا إلى فراشها قائلة: دعيني أنام وتوقفي عن إزعاجي، وأردفت تقول: فتاة مزعجة.

– كم أنت مخيفة؟ أتعلمين أن تعابير وجهك تبدورائعة إن كنت غاضبة؟ حتى إنها تدفعني للضحك بدل الخوف، لكن حسنا سأدعك تنامين فلدينا اليوم رحلة جميلة وطويلة لتناول البندق. هنا قامت جوساي وقالت: أحقا

ما تقولين؟ أين وجدته؟ لنذهب الآن.

– كنت أعلم أن البندق نقطة ضعفك فمنذ الصغر وأنت مولعة بتناول البندق، توجد شجرة كبيرة في الغابة التي دخلتها البارحة.

– أنت تكذبين؟ تقولين هذا فقط لكي آتي معك، لكن انسي هذا الأمر فلن نذهب أبدا إلى هناك وإن أصريت، فسوف أخبر خالتي.

رفعت إيستارا الوسادة وأخرجت خمس حبات من البندق، وقالت: أنا أكذب أليس كذلك؟ تفضلي إذن هاته الحبات الخمس.

اتجهت جوساي نحوإيستارا مباشرة، ونزعت حبات البندق من يدها، وجعلت تقول: هيا لنذهب الآن يا إيستارا حتى نعود بكمية كبيرة من البندق. قالت إيستارا: نسيت أمر النوم تماما، أليس كذلك؟ على أية حال، أظنك لم تسمعي كلامي جيدا يا جوساي لذا سأذكرك أن الشجرة داخل الغابة، وهذا يعني أننا قد نجد حيوانات مفترسة، أنسيت هذا؟ وقبل ذلك لقد قلنا لأمي البارحة أننا لن ندخل إلى الغابة، ماذا دهاك حتى نسيت كل شيء؟

– دعينا من هذا الآن، وهيا لنتناول شيئا ما ثم نذهب دون تضييع الوقت في هذا الكلام، فأنت تريدين الذهاب على كل حال وإلا لما قلت لي أنه توجد شجرة بندق هناك، فردت إيستارا: الآن بدأت تتحدثين بذكاء، وتستحقين سلالا مملوءة بالبندق.

قامت جوساي وغسلت وجهها ثانية ثم اتجهت مع ابنة خالتها إلى المطبخ لتناول بعض الفطائر. تناولت جوساي فطيرتين بشراهة على مرأى من جدّتها ياريكا التي قالت: هل هناك أشجار بندق لا أراها يا جوساي!

– لا يا جدتي، إنما أنا وإيستارا متحمستان للعب كثيرا في هاته المروج الجميلة والطبيعة الخلابة، آه كدت أنسى شيئا مهما، سآتي عن قريب. ذهبت جوساي إلى غرفة النوم، وعادت بعد لحظات وكأن شيئا لم يحدث، وقالت: كما كنت أقول لك يا جدتي، نريد أن نلعب وهذا كل ما في الأمر، ثم نظرت إلى إيستارا وقالت: أليس كذلك يا إيستارا؟

– نعم، بكل تأكيد. قالت إيمي: لا تبتعدا كثيرا وعودا قبل أن ينتصف النهار، لا تطيلا الغياب مثلما فعلتما البارحة وإياكن ونسيان هذا الكلام أونبذه وراء ظهوركن.

قالت جوساي: هيا بنا يا إيستارا الآن فيجب أن نعود قبل منتصف النهار كي لا نخالف كلام خالتي، يجب علينا طاعتها في كل أمر، همست إيستارا لجوساي: اسحبي كلامك الأخير فبقاءه قائما يعني أنه لا يجدر بنا الذهاب بتاتا إلى الغابة وإحضار البندق.

وبعد أن مشتا خطوات قليلة قالت إيستارا: انتظري يا جوساي لقد نسينا إحضار سلة معنا لنضع فيها البندق فجيوبنا لا تتسع لحمل ما يكفي، فردت جوساي: لكن بهذا ستشك خالتي بالأمر حتما وتمنعنا من الذهاب، أليس كذلك؟

– لدي فكرة رائعة، تعالي معي فقط ولكن لا تنطقي بأي كلمة ودعيني أتولى الأمر. وهكذا عادتا ركضا إلى المنزل وما إن دخلتا حتى بدأت إيستارا تنادي: أمي، أمي أعطني سلة لنقطف الورود لك ولجدتي.

خرجت إيمي بعد سماع نداء إيستارا، وقالت: هذا لطف منكما لذلك سأعطي واحدة لك وأخرى لجوساي، سيكون هذا أفضل.

قالت إيستارا: أمي رائعة جدا، أهديها قطرة حب فتمطرني!.

وهكذا اتجهت الفتاتان إلى الغابة وقالت إيستارا: يجب أن نسلك الطريق الآخر حتى لا يرانا الأطفال الآخرون فيتبعونا أويخبروا أمي أنهم رأونا نسلك اتجاه الغابة، هيا بنا يا جوساي.

كانتا تمشيان وتقطفان الأزهار وسط تلك الطبيعة الخلابة والأجواء الرائعة، وبعد مسير طويل وصلتا إلى المدخل، فدخلتا ببط شديد وحذر وما إن صارتا داخل الغابة حتى ضمت جوساي ذراعيها وأفلتت السلة من يدها من شدة الخوف فقد كانت تلك الغابة موحشة للغاية تبعث في النفس الشعور بالفزع، كأن عيونا تراقبك في كل لحظة من كل الجهات ولكن إيستارا شجّعت جوساي وقالت: هيّا، استجمعي قواك ولا تنسي أن وجهتك شجرة البندق ووجهتي سعادتك.

- شكرا لكلامك العذب ولكن قبل أن نبدأ في المسير سأربط طرفا لهذا الخيط الطويل الذي أحضرته معي في إحدى الأشجار القريبة من المدخل، والطرف الآخر سوف أبقيه في يدي حتى لا نضيع وسط الغابة، أما أنت فخذي حصاة محدبة وعلّمي كل شجرة نمرّ عليها كحلّ ثان إن انقطع الخيط. ردت إيستارا: لقد علمت الأشجار يوم البارحة عندما دخلت يا ذكية. وقالت جوساي: جيد إذن، هذا يعني أن كل ما علي فعله الآن هوإبقاء هذا الطرف معي دون إفلاته وإن أفلت فلن تكون مشكلة كبيرة، وأضافت: ألست ذكية جدا

عندما ذهبت إلى الغرفة وجلبت الخيط معي؟. فنظرت إيستارا إليها وقالت: بديهي أن تكوني ذكية، فأنت ابنة خالتي.

توغلت الاثنتان في الغابة، وانتاب الشعور بالخوف هاته المرة كلا من

قلب جوساي وإيستارا، ولكن الخوف كان تلاشى من قلب إيستارا ما إن رأى وجه إيستارا البديع، وأكملت الفتاتان مسيرهما، حتى وصلتا إلى شجرة البندق.

أما الغابة، فرغم الخوف الذي كان ينتاب نفس الناظر إليها إلا أنها كانت تجسد كل معنى للسعادة في داخلها، فما إن تمشي قليلا حتى تحس كأنك لست في هذا العالم، وكأنك بصدد ولوج عالم آخر لا تعلم صفاته، كانت الأعشاب المفروشة داخلها كأنها بساط حريري أخضر، تجد أنك سوف تستسلم لجماله الأخاذ قريبا لا محالة، فتريد النوم فوقه طيلة حياتك أوالبقاء والتقلب فوقه، واحذر فقط أن تصطدم بجذوع إحدى الأشجار فتتأذى من قسوة الضربة التي ستنساها بمجرد أن يمتزج خرير المياه مع صوت الأطيار ويرسم النسيم الهادئ فوق صفحات مشاعرك ألوان الحياة فلا تبصر غير لون السعادة لونا وتحتار في ذاك التناغم بين حفيف الأوراق ورقصات الأزهار فتتحرك عواطفك حتى كأنك تريد أن تترك روحك تحلق في جوانبها.

وفي كل لحظة أوفي كل نصف لحظة، تجد أيادي المشاهد تلك تحضنك وتعانقك دون أن تضيق أنفاسك وتلقي نفسك إليها راضيا مطمئنا.

مشت الفتاتان بحذر وقالت إيستارا: جوساي، ابقي ممسكة يدي وإياك أن تحاولي سبقي فرغم هاته المناظر الجميلة إلا أنها قد تسرق منك الحياة في أي لحظة. قالت جوساي: حاضر يا إيستارا، لا تقلقي، سأفعل ما تقولينه، وتابعت تقول: تقولين هذا وكأنك تستطيعين إنقاذ نفسك من وحش!

بعد السير ببطء وحذر شديدين لمدة ليست بالطويلة جدا لمحت جوساي أشجارا للبندق، فلم تصدق ما تراه عيناها، ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فتركت يد إيستارا وانطلقت نحوالأشجار مباشرة لتسقط وتبدأ بالتدحرج

على منحدر يكسوه العشب، وانفلت الخيط من من يدها، أما إيستارا فقد بدأت تصرخ وتقول: تمسكي بالأعشاب، تمسكي بها... وسرعان ما نفذت جوساي كلام إيستارا وتوقفت عن التدحرج، وتنفست إيستارا الصعداء، وقالت: حمدا لله أن جذور هذه الأعشاب قوية، وإلا لكان أمرك انتهى. أما جوساي فقد قالت: ماذا دهاك يا إيستارا؟ كان العشب ناعما، لم أتأذى ولم تكن توجد أية شجرة في طريقي.

مسكتها إيستارا وقالت: أتري هذا البساط الأخضر الناعم والجميل، إنه بساط كاذب، ولولم تتمسكي بالأعشاب القوية هاته لكنت متِّ، وحملت إيستارا بعض الحصى بيدها وبدأت ترمي بها بجوار ذلك المكان وصدر صوت سقوط الحصى في الماء. اقتربت الاثنتان من ذلك الموقع وقالت إيستارا: هاته ليست مجرد مياه متجمعة هنا، إنه بئر شديد العمق ويمكن أن تري أن مستوى المياه بعيد عن فوهة البئر وهذا ما يعني أنك لوكنت سقطت ولم يكن هناك أحد لإنقاذك فسوف تموتين حتى وإن كنت تحسنين السباحة، وقالت جوساي: وكيف عرفت أنه بئر شديد العمق؟

- أين ذكائك الذي كنت تتباهين به؟ انظري إلى طول الخيزران حولنا، قطعة خيزران ادفعيها داخل هاته المياه تجدي أن البئر عميق.

ارتعبت جوساي كثيرا وقالت: كدت أن أغرق فيه، ولكن كيف عرفتِ أنه موجود هنا؟ كذلك لم لَمْ تقولي لي عندما دخلنا إلى هنا؟

- عندما دخلت البارحة كنت أمشي وأرمي الحصى عشوائيا، وأصدرت واحدة صوت سقوط في الماء، فبدأت أرمي بحذر شديد حتى عرفت موقع المياه، ولوأنك راقبت العشب لوجدت أن العشب في هذا المكان يبين كأنه أزيح وأعيد إلى مكانه، وهذا جواب كيف عرفت، أما جواب سؤالك الثاني

فلم أرد إخافتك أكثر، لأنك كنت خائفة ما إن دخلنا فلم أرد أن أضاعف خوفك وربما قلت لي أنه من الممكن وجود آبار أخرى، بذلك لن تأتي معي أبدا، أنتِ لست مجنونة مثلي حتى ترفضي التراجع، أما أنا فالفضول يسوقني.

قالت جوساي: ولكن ما الدليل على أنه لا توجد آبار أخرى في هاته الغابة؟. فردت إيستارا: لا دليل، لكن رأيت العصافير تحوم في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر، فقلت لا بد أنه الوحيد.

- حسنا سمعت الكثير، دعينا نأخذ ما أتينا لأجله ولنعد أدراجنا، لترد إيستارا: حسنا املئي السلتين ريثما أعود إليك، أريد التجول.

- مستحيل، يجب أن تبقي أمامي دون أن تبتعدي عني، وإذا أردت الذهاب إلى أي مكان فسوف آتي معك ولا يمكنني تركك تذهبين وحدك فالمكان موحش جدا.

- إذن، اتركي السلّتين وتعالي معي، لكن ببطء، واحذري أن تنزلق رجلك فسوف ترين شيئا لم تريه من قبل في حياتك ولولمرة.

قالت جوساي: إنني أتساءل في نفسي عن هذا الشيء الذي سأراه، لا تقولي فقط أنه جبل ضخم من البندق؟

- اصمتي يا جوساي فنحن في وسط الغابة، خطأ صغير قد يجعل حيوانا ضاريا يفتك بنا في لمح البصر، فاصمتي أرجوك واتبعيني فقط. وهكذا بقيت إيستارا تتقدم ببطء، وخلفها تمشي جوساي في حذر شديد، وما هي إلا لحظات حتى رأتا مكانا تكاد لا تراه العين وحيوانا جميلا كان نائما، وقالت جوساي لإيستارا: هل ذاك نمر؟. ردّت إيستارا: إنه يشبهه، إذ أنه مخطط بخطوط سوداء ولكن لونه الأبيض هوما يحيرني، حقا إنه بديع المنظر، أما

الآن فدعينا منه ودعينا نجمع البندق الذي أتينا من أجله ونعد أدراجنا فقد مللتُ هذه الغابة. قالت جوساي: أتعني يا إيستارا أننا لن نعود أبدا لجني البندق؟ لا، لا أتفق معك في هذا.

– ما بك يا جوساي أنسيت أنه توجد وحوش ضارية؟ من حسن حظنا أننا لم نلتقي بأي مفترس وإلا لأصبحنا طعاما له ولصغاره.

– إذن ساعديني في جمع البندق وبعد هذا سنغادر مباشرة، فمعك حق في كل كلمة قلتها للتو.

بعد أن ملئتا السلتين، قطفتا بعض الزهور الجميلة والعطرة من تلك الغابة، حتى توهما إيمي أنهما ذهبتا حقا لقطف الزهور وإهدائها لها وللجدة ياريكا. قالت جوساي بنبرة صوت يملئها الفزع: إيستارا، أين الخيط الذي كنت أمسك بإحدى طرفيه؟

– إنه عند البئر الذي كدت أن تسقطي فيه، هيا، فبعد قليل سنصل إليه، لا تخافي كثيرا يا جوساي، قد علّمتُ الأشجار التي مررنا بها، ألا تذكرين ذلك؟. لم يمضي وقت طويل حتى وصلتا إلى البئر الذي كادت تسقط فيه جوساي، وهنا فزعت جوساي فزعا شديدا، فلم ترى أي أثر للخيط، وقالت: إيستارا، هيا نركض ونسرع في الخروج من هاته الغابة أنا جد خائفة.

– لا تكوني جبانة هكذا بسبب أنك لم تجدي خيطا كان معك، انظري ها هوذا، قد وجدناه لا تقلقي، واستريحي من خوفك، فردت جوساي: صدقيني، ظننت أن شيئا ما يحدث معنا، وقلت في نفسي أننا لن نعود إلى المنزل.

قالت إيستارا: هيا نتابع المسير الآن حتى نخرج من هاته الغابة، فكما قلت

لك إني سئمتها حقا.

عاد الاطمئنان إلى قلب جوساي بعد الخوف الذي انتابها، وواصلتا المسير حتى وصلتا إلى المخرج، وهوذلك المنفذ الموجود في السياج الذي دخلتا منه، وفي هاته اللحظات وضعت جوساي السلة من يدها وأحنت ظهرها واضعة يديها على ركبتيها كي تطرد كل ذلك الخوف قبل أن تصرخ إيستارا بأعلى صوتها: جوساي اركضي، وانطلقت هاته الأخيرة بأقصى سرعة حتى انتبهت أن إيستارا تضحك من شدة الخوف الذي تملكها، فعادت إليها ودفعتها بقوة لتسقطها أرضا قائلة: ما هذا المزاح يا إيستارا، لقد كاد يتوقف قلبي عن النبض، ألم أقل لك دعك من هاته الأفعال؟

وبينما كانت إيستارا على الأرض حتى قالت وهي باسمة: أليست لديك ذرة من الشجاعة يا ابنة خالتي؟ كل ما تعرفين هوالخوف والركض، إني أحاول فقط أن أجعلك شجاعة، فمن لا يملك الشجاعة لن يُرضي فضوله. مدت جوساي يدها إلى إيستارا قائلة: هيّا بنا نعد فقد تأخرنا كثيرا بسبب مزاحك السيئ.

حملت الفتاتان السلتين وعادتا إلى المنزل وقبل الدخول قالت إيستارا: اذهبي وخبئيه، حتى لا تعلم أمي فنتعرض للضرب.

– حسنا، انتظريني قليلا، ريثما أذهب وأخبئه في مكان آمن. وبعد أن خبأت جوساي البندق عادت، وقامت هي وإيستارا بوضع الزهور في كلتا السلتين ودخلتا.

وجدتا إيمي تتبادل أطراف الحديث كالعادة مع أمها، فقبلتاهما وأهدين الزهور لهما وكانت الفرحة غامرة قلوب الجميع فالتفاتة صغيرة من طرف، قد تجعل الآخر طيرا محلقا في السماء، مرفرفا بأجنحة المودة.

انتهى اليوم كالعادة، وقبل النوم تذكرت الفتاتان أنهما تركتا البندق خارجا، فذبل وجه جوساي وهي التي كانت تنتظر في لحظة الجلوس وأكل البندق بفارغ الصبر، لكنها لم تكن لترضى بقاءها بعيدة عن البندق، فقالت: إيستارا، هيا لنحمل شمعة معنا ونخرج سوية لإحضاره فطول النهار وأنا أنتظر أن آكل ولوقليلا، هيا لنحضره.

– هناك مشكلة كبيرة يا جوساي وهي في كيفية الخروج، فليس بإمكاننا الخروج لأن أمي تغلق الباب بالمفتاح وتخبأه في مكان أجهله.

– منذ متى وهي تخبأ المفتاح؟ فحسب ما أذكر لم تكن تخبأه العام الماضي عندما أتينا لقضاء العطلة معكم. أجابت إيستارا: نعم، لأنها لم تكن تعلم آنذاك أني أسير ليلا دون أن أدرك. ضحكت جوساي من كلام إيستارا وقالت: ماذا؟ ابنة خالتي تسير ليلا، هذا لا يصدق، إن هذه أجمل طرفة سمعتها في حياتي، ابنة خالتي تسير ليلا!

– اصمتي ودعيك من الضحك، فلا أرى ما يضحك، هيا ننام.

– لكن البندق، يجب أن آكل ولوقليلا، أي حظ هذا؟ عندما ظننت أني من أسعد الناس، وجدت أني أتعس الناس، واحسرتاه؟. قالت إيستارا: إليك هاته الحبات التي كانت في جيب تنّورتي، كليها ثم اخلدي للنوم.

– شكرا لك، أنا أعلم أنك تحبيني، وأنك ذكية جدا، أعطني كل البندق الذي جنيناه، أعدك أني سأنهيه هاته الليلة. ردت إيستارا: أنت صماء، كأنك لم تسمعي ما قلته للتو، قلت لك حبات كانت في جيب تنّورتي، ولكن جوساي لم تسمع هذه الكلمات الأخيرة بتاتا.

بعدما أكلت جوساي تلك الحبات واستمتعت بطعمها الذي لم تذق

مثله في حياتها، قالت: اسمعيني، سأخرج لأجلب كل البندق مهما كلف الثمن، ولوأني اضطررت للخروج من النافذة، فلم أعد أحتمل، البندق هنا وهوبعيد.

– لن تستطيعي الخروج من النافذة أيضا، فأمي تغلقها من الخارج، أسمعت؟ تغلقها من الخارج لأني أسير ليلا، وكما تعلمين تخاف علي كثيرا فأنا في الأخير أكون ابنتها الوحيدة. قالت إيستارا بفتور: أرجوك اخلدي للنوم، سوف تأكلينه في الغد إن شاء الله، طبعا إن كان مقدرا لك أن تأكليه، هيا نامي، وكان الرد جميلا هذه المرة، فقد قالت جوساي: حسنا سأنام، تصبحين على خير.

بعد أن غرقت إيستارا في أمواج متلاطمة من النعاس، نهضت جوساي لتحاول الخروج، لكن سرعان ما شعرت بيد تمسكها، قالت إيستارا: إلى أين تريدين الخروج يا حبة البندق؟ لن تخرجي، سوف تأكلك جوساي، إنها لطيفة، لكن إن تعلق الأمر بك فإنها شريرة، نامي. همّت جوساي بالخروج ومجددا سمعت: حبة البندق عودي ونامي ولا تحاولي التذاكي، هيا.

قالت جوساي: ما هذه المجنونة، هل تتكلم أثناء نومها كذلك أم هي مستيقظة؟ على أية حال سأعود وأنام حتى لا توقعني في مشكلة.

عادت جوساي إلى فراشها، لتقول إيستارا: حبة بندق مطيعة، نامي قبل أن يأتيك شبح جوساي يقول يامي... يامي، ويأكلك، ثم نزعت إيستارا الغطاء عن وجهها وقالت: آسفة، كنت أمزح معك، والآن نامي، أنا أتكلم بجد، ونامت الاثنتان.

في الصباح، استيقظت جوساي في الوقت الذي استيقظت فيه خالتها ايمي، ولم تفهم إيمي ماذا جرى لجوساي حتى ظنت إيمي أنها قد أحدثت

جلبة جعلت جوساي تستيقظ فقالت: جوساي عزيزتي، هل أيقظتك عندما فتحت الباب، آسفة؟

- لا يا خالتي، لا شيء من هذا، فقد استيقظت من النوم ولم تعد لي رغبة فيه، أشعر أني قد نلت قسطا كافيا من الراحة.

- حسنا، اغسلي وجهك إذن، وسأحضر لك الفطور، ستجدينه في المطبخ.

أعدت إيمي فطور الصباح لجوساي، أما جوساي فذهبت مباشرة ودون أن تبدأ بتناول فطورها للمكان الذي خبأت فيه البندق، لكنها لم تجد أي حبة، وكادت لتصرخ قائلة: أين بندقي، أين بندقي؟ ولكنها اكتفت بقول: ما هذا الحظ التعيس؟ كل البندق قد اختفى، أنا واثقة أني وضعته هنا قبل أن ندخل إلى المنزل ومعنا الأزهار، سأذهب وأسأل إيستارا، فربما خبأته في مكان آخر.

اتجهت مسرعة إلى الغرفة، وكانت إيستارا قد استيقظت لتوها، فقالت جوساي: جيد أنك استيقظت، لقد ذهبت لأحضر البندق ولكن لم أجد منه حبة واحدة، هل خبّأته في مكان آخر؟. ردت إيستارا بنبرة صوت هادئة جدا: كيف أغير مكانه، وأنت من خبأته؟. مررت جوساي يدها على شعرها وقالت: هل يعقل أن خالتي رأته فأخذته ونسيت أن تعطيه لنا؟.

قالت إيستارا: أين خبأته البارحة؟

ردّت جوساي: بالقرب من إحدى الأشجار القريبة من المنزل.

قالت إيستارا: أممم، أظن أني عرفت من كان السبب، أولا: غبائك، وثانيا السنجاب، لا شك أن هناك سنجابا ما، ما أغباك، كيف خبأته قرب

الشجرة؟ ألا تعلمين بوجود السناجب التواقة لأكل البندق، ولم تمسك إيستارا نفسها من شدة الضحك جراء ما جرى.

– يا لحظي التعيس، سأذهب لتناول فطور الصباح، أما أنت، فاذهبي لغسل وجهك، سنذهب مجددا إلى الغابة لجني البندق.

– اذهبي وحدك، لقد سبق وقلت لك البارحة أني مللتها ولن أعود إليها. قالت جوساي: حسنا، سأذهب وحدي، لست خائفة من أي شيء، سأجمع البندق ولن تأكلي معي ولوحبة.

ذهبت إيستارا لغسل وجهها، وبينما هي تقوم بتنشيف معالم الجمال المتجسد في محياها البديع، حتى رأت جوساي تقابل المرآة وهي تصفف في شعرها بأناملها الرقيقة. قالت لإيستارا: ألن تنظري للمرآة؟. ردّت إيستارا: من لديهم شك في جمالهم ينظرون إليها، أما أنا فالمرآة تتمنى لوتستطيع أن تسترق النظر مرة واحدة لتنظر إلى جمالي. قالت جوساي: أنت مغرورة فقط، والجميع يعلم أنه ينقصك شعر مثل شعري لكن لن تحلمي به حتى!.

قالت إيستارا: حسنا سأريك تواضعي، وقالت: إن عشت سوف أكبر وسوف يتلاشى جمالي لذلك ما الفائدة من الجمال الدنيوي.

ردّت جوساي: هه، كأن هذه ابنة خالتي الحكيمة!

كانت الشمس قد أشرقت، وفعلا أخذت جوساي السلتين وهي عازمة على اقتحام الغابة من جديد وجمع البندق وما إن وصلت إلى المنفذ، حتى سمعت إيستارا تقول بصوت عال: انتظري، انتظري، ألن تأخذيني معك؟. فابتسمت جوساي وركضت نحواً إيستارا تعانقها وقالت: كنت أعلم أنك لن تتركيني أذهب لوحدي، شكرا لك، ولكن لماذا جلبت هاته السلة الكبيرة؟

– جلبتها لنعيد البندق الذي كان مقدرا للسنجاب أن يأكله وبهذا نكون استرجعنا ما جنيناه بأيدينا ولم نأكل منه سوى بضع حبات، أقصد أنكِ أكلت منه بضع حبات.

دخلتا إلى الغابة، وبعد مدة من الوقت وصلتا إلى أشجار البندق المرجوة، فجمعتا البندق حتى امتلأت السلال الثلاث كلها، سلتين صغيرتين، وسلة كبيرة نسبيا، ولما همتا بالعودة قالت جوساي هل تسمعين ما أسمع يا إيستارا؟. ردت إيستارا: لا أسمع شيئا.

– أنصتي جيدا فهناك صوت أنين، لا بد أنه صوت حيوان جريح؟. لحظات قليلة فقط لتقول إيستارا: أجل لقد سمعته، لكن من أين هوقادم يا ترى؟. بقيت الاثنتان هادئتان، وتحاولان ترصد مكان الصوت، وقالت جوساي: اتبعيني يا إيستارا، أظنني عرفت.

وضعتا السلال، وبدأتا بتتبع مصدر ذلك الصوت بخطوات بطيئة، لحظات وصار الصوت أقرب جدا وقالت جوساي: هل يعقل أنه آت من خلف هاته العرائش المتراكمة هنا، ساعديني يا إيستارا برفعها لنرى ماذا يوجد خلفها؟

وبعدما رفعتا تلك العرائش تفاجأت الاثنتان بما قد رأته عيونهما، فللأسف كان ذلك الحيوان الجميل الذي أبصرَتاه بالأمس، كان جريحا، ولا يزال ينزف، قالت جوساي: من الجلي أن بعض الوحوش الضارية هاجمته أثناء غياب أمه يا إيستارا؟

– لم تنطق إيستارا بكلمة واحدة، وكانت تفكر كيف يمكن لها إنقاذه، وكأن تحقيق أمنيتها قربها ولا تستطيع تحقيقها. شُقّ قلب كل من إيستارا وجوساي لذلك المنظر، وكأنهما غير مصدقتين لما تراه عيونهما، وبدأت ترتجف

أيديهما فصفحات الحياة تقلب في لمح البصر، البارحة كان يجري ويمرح في أرجاء الغابة، واليوم يبين كأنه على مشارف الموت، يترنح بين الحياة والموت.

خافتا كثيرا لما رأين ذلك المنظر القاسي للحيوان الجريح ذاك وهوبين أنياب الموت. همتا بالعودة مباشرة ولكن قلب إيستارا الرقيق لم يطاوعها لتركه في تلك الحالة والعودة، وكما الحجر يكسر بقطرات الماء، كذلك القلب المتحجر يمكن أن يكسر في لحظات مأساوية.

قالت إيستارا: يجب أخذه إلى المنزل لمعالجته قبل أن يفقد المزيد من الدم ويفارق الحياة التي لم يأتي إليها إلا قبل أشهر قليلة.

– صحيح أنه ينزف وقد يموت، لكن لا يمكننا أخذه معنا فهوفي الأخير حيوان مفترس، يستحيل عليه التعايش معنا وقد نصبح فريسة له في يوم من الأيام، يجب تركه في الغابة، فهي موطنه، وهيا نعد أدراجنا متمنين له النجاة.

– كم أنت قاسية يا جوساي؟ المسكين ينزف وقد يغادر الحياة في أي لحظة وأنت تقولين هذا الكلام، كيف نجاته إذا تُرك هكذا؟

– اسمعي يا إيستارا، صحيح أنه جميل لكنه يشبه النمور أوالفهود، هذا يعني أنه مفترس، لذلك يجدر بنا الذهاب وعدم المخاطرة، ماذا لونجا فعلا بعد معالجته وهجم علينا، ألن تقولي حينها لوتركناه ذلك اليوم يموت لما وصل إلى حد مهاجمتنا؟

– ربما يكون حيوانا مفترسا، لكن من الخطأ توقع نتائج الأمور التي فعلها خير، حتى ولوهاجمنا لا يمكن لومه فذلك طبعه، كذلك نحن لن نتركه يعيش معنا، فما إن يتعافى حتى نعيده إلى موطنه في هاته الغابة، وأخيرا، هل هناك ما هوأجمل من إنقاذ حياة؟

قالت جوساي: لا أدري ماذا أقول، لكن كوني متأكدة أن خالتي إيمي لن تدعنا نعالجه، ستأمرنا بإرجاعه فورا من حيث أتينا به.

– لا عليك، إن لم تتفهم أمي سأقنعها بطريقتي. قالت جوساي: انتظري قليلا يا إيستارا، هل لديك أي فكرة كيف سنحمله إلى المنزل؟

– نحن لا نأخذ إلا ما هومقدر لنا أخذه، والبندق الذي في السلة الكبيرة ليس مقدرا لنا أخذه، أنت أسرعي وأفرغي السلة الكبيرة رجاء لنضعه داخلها.

ما إن حملت إيستارا الحيوان الجريح من ذلك المكان، حتى رأت بقعة شديدة السواد وعلى شكل دائرة ذات قطر صغير نسبيا.

قالت: الفضول، الفضول... لا، قد يموت بين يدي، يجب أن أسرع بأخذه إلى المنزل، صحيح أني فضولية، لكن حياته أهم الآن.

وضعت الاثنتان الحيوان الجريح في السلة الكبيرة وتلطخت يداهما بالدماء، لكنهما لم تباليا بتاتا، كان همّهما هوالإسراع للوصول إلى المنزل قبل أن يفوت الأوان ويموت الحيوان، تعاونتا على حمل السلة الكبيرة وكل واحدة منهما تحمل سلة صغيرة مليئة بالبندق بيدها الثانية.

قالت إيستارا لجوساي: ما إن نصل إلى المنزل، حتى آخذه إلى أمي، وأنت أسرعي وأدخلي البندق إلى غرفة نومنا اتفقنا.

ردت جوساي: حاولي فقط أن تقنعي خالتي بتركنا نعالجه وينجومن الموت. وهكذا تعاونت الاثنتان على حمل الحيوان الجريح إلى المنزل.

كانت إيمي والجدة في الحديقة، تنزعان النباتات الشائكة، وما إن رأتهما إيستارا حتى تكفلت بحمل السلة التي بداخلها الحيوان الجريح وطلبت من

جوساي أن تدخل البندق إلى داخل المنزل. بدأت تنادي بأعلى صوتها: تعالي يا أمي، أسرعي، أسرعي... في حين كانت جوساي تستعد لإدخال سلتي البندق بعد أن تلهي إيستارا أمها وجدتها فلا تنتبها لدخولها.

ما إن سمعت إيمي صوت ابنتها حتى تركت كل شيء، وأقبلت تجري نحوابنتها، أما ياريكا فمشت خلف ابنتها إيمي بخطوات بطيئة، قالت إيمي لابنتها: ما هذا الذي تحملينه يا ابنتي وما هاته الدماء التي تقطر من السلة؟. قالت إيستارا بنبرة صوت محتشمة: أمي، رجاء، لا تغضبي لأني أحمل حيوانا جريحا في هذه السلة وقد غطيته بهاته الأعشاب حتى لا ينتبه أي من الأطفال عليه، وقد نزف الكثير من الدماء، وإن لم نسرع بمعالجته فقد يموت، وأنا لا أريده أن يموت، وفجأة سالت الدموع على وجنتيها وهي تقول بنبرة صوت باكية: أمي لا أريد أن يموت، لا أريد أن يموت...

مسحت ياريكا دموع حفيدتها، أما إيمي فقالت: طبعا يا ابنتي سنعالجه بأقصى سرعة ولا تقلقي يا ابنتي، سوف ينجوبلا شك.

عانقت إيستارا أمها بشدة وهي تقبلها وتقول: شكرا، شكرا لك يا أمي لأنك وافقت على معالجة هذا المسكين، وأنا آسفة جدا.

- لا تشكريني يا ابنتي، لكن أين جوساي؟ لم هي ليست معك؟

بعد فترة قصيرة عادت جوساي وما إن لمحتها إيستارا حتى نادت عليها قائلة: تعالي يا جوساي، لقد وافقت أمي على علاجه، فأقبلت جوساي إليهن وقالت: أرى أنك يا خالتي قد وافقت على علاجه، شكرا لك.

- ما خطبكما؟ ألم تكونا تعلمان أني طيبة القلب ومرهفة الحس، حسنا اذهبا وارتاحا، فلديكما الكثير لتشرحانه، بعد أن أعالج هذا الحيوان، هيا ولا

تبقين أمامي حتى لا يتشتت انتباهي.

بدأت إيمي بتنظيف جراحه قبل كل شيء، وبعد أن انتهت من تنظيفها جيدا قامت بتضميدها وأخذته إلى الإسطبل، أين وضعته في مكان منعزل، كانت فرشته ببعض العشب الناعم ووضعت حاجزا من الأخشاب حتى لا تدوسه حوافر الأحصنة أوالأبقار.

لم تدري إيمي ماذا تعطيه كي يأكل، فقد كان لا يستطيع الحراك، ولا حتى تحريك فكيه، فأخذت تحاول جعله يشرب بعض الحليب، فعلت ذلك بصعوبة شديدة ثم تركته يتعافى. خرجت من الإسطبل ووجدت ابنتها وجوساي قد صنعتا لها باقة من الورود الجميلة، تركتاها قرب باب المنزل، تعبيرا عن امتنانهما لما فعلته بمعالجتها لذلك الحيوان الجريح، وما إن رأت إيمي الباقة حتى اتجهت إلى إيستارا التي كانت داخل المنزل وقالت: شكرا لكما على الباقة، لكن هذا لا يعني أني لن أسألكما عما قمتما به من اقتحام للغابة. قالت إيستارا وقد أخفضت رأسها: حسنا يا أمي، كذلك لم نهدي لك باقة الورود لنعقد صفقة بيننا، إنها مجرد تعبير عن شكرنا الذي لا يرقى ولوقليلا للعمل النبيل الذي قمت به للتو. ردت إيمي: لا يا ابنتي، العمل النبيل كان ما قمتما أنتما به عندما لم تتركاه يموت في الغابة.

كانت الجدة ياريكا قد أتمت طهوالغداء، واجتمع الجميع على المائدة، وبعد الانتهاء أخذوا قيلولة حتى يستعدوا نشاطهم ويكملوا اليوم بنشاط.

الكل أخذ قيلولة إلا جوساي التي كانت مهتمة بأكل البندق وكأنها كانت تحاول الانتقام من ليلة البارحة عندما لم تأكل سوى بضع حبات.

بعد القيلولة خرجت إيستارا من المنزل مسرعة، قبل أن تسمع جوساي تنادي عليها: إلى أين أنت ذاهبة يا إيستارا؟ انتظري، لآتي معك فقالت

إيستارا في نفسها: هل هذا الوقت المناسب لصراخك؟. توقفت في مكانها في انتظار وصول جوساي إليها التي قالت: إلى أين أنت ذاهبة، لقد كنا صباح اليوم داخل الغابة؟

قالت إيستارا: جوساي ابنة خالتي، أرجوك عودي إلى المنزل ريثما أعود، أعدك أني لن أطيل الغياب، فهناك شيء يحيرني وعلي معرفته. قالت جوساي: لكن احذري هذه المرة، فربما واجهتك الوحوش، ثم قالت: لا، لن تذهبي.

- دخلنا مرارا وتكرارا دون أن نصادف أي وحش، لذلك تمني أن لا أصادف أي وحش، وأعدك، هذه المرة ستكون المرة الأخيرة التي أدخل فيها هاته الغابة.

- لدي فكرة، سأجلب السلتين لكي نجني المزيد من البندق وأنت حاولي معرفة ما يحيرك، اتفقنا؟. لترد إيستارا: أسرعي إذن.

أحضرت جوساي السلتين، وهذا بعدما أفرغت ما تبقى فيهما داخل الغرفة، ودخلت الاثنتان مجددا إلى الغابة، وقالت جوساي لإيستارا: أليس غريبا أننا في غابة دخلنا مرارا وتكرارا دون أن نرى حيوانا مفترسا سوى ذلك الحيوان الذي وجدناه جريحا؟

- معك حق، لذلك أظن أن الوحوش المفترسة تستوطن نواح أخرى من نواحي هاته الغابة، والحيوان الذي وجدناه ربما حاول حيوان آخر افتراسه نظرا لحجمه الصغير نسبيا.

تركت إيستارا ابنة خالتها عند أشجار البندق، أما هي فاتجهت لتلك البقعة السوداء التي كانت بالقرب من الموضع الذي حملت منه الحيوان الجريح، وقالت في نفسها: لا بد أن أعرف، فالفضول يسوقني في هذه الحياة،

وما لبثت أن وصلت إلى المكان الذي حملت منه ذلك الحيوان، وقالت: سأبدأ بالحفر في هاته البقعة السوداء، فهل يعقل أن يوقد شخص ما النار وبعدها يدفن الرماد ويضعه في حفرة صغيرة كهذه. بدأت بالحفر، كان قطر الحفرة صغيرا نسبيا، وقالت: لا بد أنه اضطر للمبيت هنا في الغابة وأشعل النار لكي يخيف الحيوانات، لكن لماذا دفن الرماد في حفرة صغيرة، هذا الأمر محير جدا؟

وبينما هي تحفر، حتى أحست كأن يدها تلامس شيئا صلبا، فزادت رغبتها في معرفة الشيء ذاك، وحفرت حتى استخرجت وردة معدنية. نفضتها من الرماد جيدا ثم قالت: شكلها يشبه الوردة تماما، لكن لا تبدولي وردة ذهبية أبدا ولا وردة نحاسية حتى، ما هذه يا ترى؟. كان طولها حوالي ثلاثين سنتمترا، وببرعمتها عدة ثقوب جانبية. قالت إيستارا:سوف آخذها. ثم ترددت وقالت: لا، لا، يجب أن أعيد كل شيء كما كان وأعيدها هي الأخرى كذلك فهي ليست من حقي.

نظرت مجددا بتمعن إلى الوردة ولاحظت أن معدنها البرتقالي براق، قالت: لا يمكن إنكار أنها بديعة المنظر، إنها رائعة.

احتارت مجددا وقالت: سوف آخذها لأعَلمَّه أن يحفظ أشياءه جيدا ولا يكون غبيا، هذا إن كان هناك حقا من أوقد النار هنا ودفن الرماد، أما الوردة هذه، فسوف آخذها وأخبئها في مكان سري وإن ظهر صاحبها سأعيدها له، رغم أني كنت أريد إهدائها لأمي، ولكن ماذا سأفعل؟ ليست ملكي، لذلك لا يمكن أن تكون هدية، رغم أنها جميلة جدا ورائعة حقا. شارفت الشمس على المغيب وانتبهت إيستارا إلى أنه تجدر بها العودة.

ما إن نظرت إلى يديها حتى وجدتهما سوداوتين بالكامل فقالت: يا ويحي

ستقتلني أمي لو رأتني هكذا، يجب أن أذهب إلى أقرب نبع هنا وأغسلهما جيدا، وإلا سوف يحدث ما لا يحمد عقباه. تابعت: يا لسوء الحظ؟ حتى ثيابي اسودّت. اتجهت صوب نبع عذب المياه وقامت بغسل يديها جيدا وأطراف لباسها، ولكن بقت بقعة سوداء صغيرة على فستانها، فقالت: سأذهب، ضيعت الكثير من الوقت وإن انتظرت لأغسلك أنت أيضا سينتهي بي المطاف نائمة في هذه الغابة أوبين أنياب الوحوش الضارية.

انطلقت تركض بأقصى سرعة، وأثناء ركضها لمحت شيخا متكئا على جذع إحدى الأشجار وهويبكي ويقول: لقد ضاعت مني، لقد ضاعت مني... اقتربت منه وقالت: ما هذه التي ضاعت منك يا عمّاه؟ قل لي عسى أجدها معك. ولكن الشيخ ذاك لم ينطق بكلمة واحدة وبقي ينوح ويقول: ضاعت مني والآن أين أجدها؟... والمسكينة ليس لها سواي. فكررت إيستارا سؤاله برفق: ما هذه التي ضاعت منك فربما أمكنني أن أساعدك، هل هي عكازك؟ قبل أن ترى عكازه أمامه وتداركت أمرها وقالت: هل ضاع منك شيء غير العكاز؟

لم يتفوه الشيخ ذاك بكلمة واحدة وكان يبكي فقط، لحظات ثم انطلق إلى الجدول الذي نظفت إيستارا ثيابها بمياهه، وبدأ يرمي في النباتات والأحجار وأغصان الأشجار المكسورة، ويقول: لتأكل الحصى والنباتات، والأغصان، لتأكلها كلّها، حتى أن المياه بدأت تنساب بين الأطراف وكأنه سد مجرى الجدول، وأضاف كيسين ملأهما بالأعشاب والحجارة، سد بهما الجدول وعاد يبكي.

فجأة رأته إيستارا قد نهض وبدأ يجري على النحوالذي يستطيعه، وهويقول: ها أنا ذا، ها أنا ذا، وبقيت إيستارا تنظر إليه وهويركض بسرعة

إلى أن توارى عن أنظارها ولم تعد ترى سوى الأشجار. قالت في سرها: لا بد أنه مجنون وقد نجوت منه، سأعود للمنزل.

فجأة قالت: آه، أه، لقد نسيت أمر جوساي، من حسن الحظ أني قريبة جدا. عادت إلى أشجار البندق لتجد جوساي تجني في البندق وهي تشارف على ملأ السلتين، فاقتربت إيستارا وقالت: لِم لست سريعة، دعيني أعينك لنسرع بالذهاب.

ملأتا السلتين وعادتا للمنزل، دخلتا خلسة كي لا تراهما إيمي، وما إن فتحت إيستارا باب غرفتها حتى قالت: ما هذا الجنون يا جوساي؟. فقد رأت جبلين من البندق. قالت جوساي: أنتِ أطلت المدة وأنا اغتنمت الفرصة، فكنت أملأ السلتين، وأعود من جديد، ومن سوء الحظ أني لم أجد سلالا أخرى كبيرة في المطبخ وكل السلال كانت بحجم هاتين السلتين.

خبأت إيستارا تلك الوردة ذات اللون البرتقالي، وقالت لجوساي: كدت أن أنسى، لقد التقيت بشيخ مجنون في تلك الغابة، ولحسن الحظ أني استطعت الهرب، لترد جوساي قائلة: أظنه نفس الشيخ الذي التقيته، فقد التقيت شيخا وقد وضع رزما كبيرة من النباتات قربه، وأحضرت له أكياسا عندما عدت للبندق في المرة الثانية، تركته يجعلها داخل الأكياس ثم عدت لجني البندق، على أية حال، دعينا من التفكير فيه، لكنني لا أظنّ أنه مجنون يا إيستارا فقد شكرني على الأكياس.

وضعت الفتاتان سلّتي البندق، وخرجتا من الغرفة سريعا، بعدما سحبت جوساي الباب ورائها، وقالت جوساي لإيستارا: لا بد أنك عدت إلى المكان الذي حملنا منه الحيوان، فابتسمت إيستارا ابتسامة خفيفة. قالت جوساي: صدقيني، سأقول لخالتي إيمي حتى تعاقبك فأنت لا تسمعين الكلام أبدا،

قبل أن تسمعها إيمي وتقول: ماذا فعلتْ يا جوساي؟ قولي فقط، فردت إيستارا: لم أفعل شيئا يا أمي، لكن أظن أنها اشتاقت لتراني أعاقب، واشتقتِ كي تعاقبيني لأني في هذه الأيام فتاة مطيعة جدا ولا أفعل أي شيء يستحق العقاب.

فابتسمت إيمي وذهبت.

كانت كل واحدة تتناول طعام العشاء وهي صامتة حتى كسرت جوساي الصمت المطبق وقواعد الأكل وقالت: لقد تعبت كثيرا هذا اليوم، أكثر من أي يوم مضى، حتى كأني أنتظر فقط أن أنهي العشاء، وأخلد إلى النوم.

قالت إيمي: مؤكد أن تتعبي، فقد استيقظت باكرا رغم أننا سهرنا ليلة البارحة حتى وقت متأخر، ثانيا لم تستقيلي حتى، أليس كذلك؟

وقبل أن ترد جوساي، قالت الجدة ياريكا: ماذا كانت تفعل بما أنها لم تأخذ القيلولة؟. أجابت إيستارا: لا تستعجلي، فبعد قليل عندما نجلس لارتشاف الشاي وتجلسان لشرب القهوة ستسمعين القصة بكاملها يا جدتي ولا شك أن جوساي ستضطر لشرب فناجين حتى تتمكن من السهر معنا وتساعدني في سرد القصة على مسامعكم.

قالت: إيمي من الجيد أنك لم تنسي بأن عليكما شرح كل شيء. فردت إيستارا: طبعا يا أمي، بكل صدق، سنخبرك بكل شيء.

انتهى الجميع من عشائهم، وغسلت إيمي وأمها الصحون، ولم يمضي كثير من الوقت حتى طلبت إيمي من أمها أن تذهب لتستريح قليلا في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن فيها، بعدما أخبرتها أنها سوف تُحضِّر القهوة والشاي.

- لا يا ابنتي فهذا كثير عليك وحدك فقد تعبت هذا اليوم كثيرا، سنحضر كل شيء سوية، هكذا لن نشعر بالتعب. ابتسمت إيمي ثم عانقت أمها بشدة، وقالت: كم أنت لطيفة يا أمي، رغم أننا كبرنا، لا تزالي تساعدينا في كل الأمور.

كانت إيستارا وجوساي في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن فيها، وأتت إيمي وأمها بالقهوة والشاي، وجلسن لسماع القصة التي ستروبها إيستارا وجوساي، وقبل أن تبدأ إيستارا بالكلام قالت جوساي: انتظري، لا يزال هناك شيء ناقص سأحضره سريعا وإياك أن تتفوهي بكلمة قبل أن آتي.

عبرت جوساي الرواق باتجاه الغرفة وهذا لتحضر بعض البندق، وما لبثت أن عادت إليهم وقالت: بهذا ستكون السهرة أحلى، وتكون القصة أجمل.

قالت إيمي: بندق؟ من أين أحضرته يا جوساي؟. أجابت هذه الأخيرة: سأترك إيستارا يا خالتي تخبرك من أين أحضرناه، ثم التفتت إلى إيستارا وبإشارة من حاجبيها جعلت إيستارا تفهم أن عليها البدأ بسرد القصة.

قالت إيستارا: إنه أحد الفصول الرئيسية في القصة التي بدأت عندما ذهبنا لقطف بعض الأزهار، كنا نمشي بمحاذاة السياج الذي يحيط بالغابة ثم وجدنا مدخلا إليها، في المرة الأولى دخلت وحدي دون أن تدخل جوساي وكانت تريد إخبارك رغم كل كلمة قلتها لها، لقد كانت مصرة على إخبارك. هنا نظرت جوساي إلى خالتها وأشارت إلى نفسها وقالت: لتعلمي يا خالتي أني مطيعة لأوامرك، أما إيستارا فأكملت: لذلك لجأتُ إلى نقطة ضعفها، وقبل أن تكمل إيستارا الكلام، ضحكت الجدة ياريكا وقالت: الكل يعلم يا جوساي أن نقطة ضعفك الدغدغة والبندق، أليس كذلك يا إيستارا؟

– بلى يا جدتي، إنك على حق، فقد دغدغتها حتى قطعت لي وعدا أنها لن تقول أي شيء، لا لك ولا لأمي، وفي صباح الغد قلت لها أن هناك شجرة بندق في الغابة وحينها لم تتردد بالمجيء معي على الإطلاق، جنينا البندق وكنا رأينا ذاك الحيوان، نظرت إيستارا إلى جوساي وقالت: حان دورك لتكملي، هيا.

في اليوم الذي جنينا فيه البندق خبأته خارجا كي لا تريه لا أنت يا خالتي ولا أنت يا جدتي فتسألاننا من أين أتينا به ولكن للأسف، نسيته، وكنت قد أوصدتِ الباب يا خالتي ولم نستطع الخروج لذلك استيقظت اليوم باكرا لأحضره، للأسف، فالسنجاب أكله، لذلك عدت مع إيستارا التي لم تكن تريد أن تعود للغابة، جمعنا البندق ووجدنا ذلك الحيوان جريحا، فأتينا به وانتهت القصة.

قالت ايمي: إذن العقل المدبر كنت أنت يا إيستارا، لماذا دخلت إلى الغابة؟

– صدقيني يا أمي، دخلت إلى الغابة فقط من أجل المغامرة لا غير، ونسبة ضئيلة أني أردت أن أراها من الداخل، لأجل هذا فقط.

– اسمعاني الآن، أول خطأ هوأنكما لم تطيعا كلامي، ودخلتما الغابة التي كان من الممكن أن تنتهي حياتكما فيها، والخطأ الثاني هوالكذب، كم مرة قلت لكما أن تبتعدا عن هذا التصرف السيئ؟

طأطأت الفتاتان رأسيهما وقالت إيستارا: نحن نقر أننا أخطأنا، ويمكنك أن تعاقبينا كيفما شئت، ولكن الفضول يا أمي لا يتركني.

– انسيا أمر العقاب، هذه أول مرة لا تطيعان فيها كلامي، وكذلك أول مرة تلجآن إلى الكذب، لكن لا تعيدا فعل هذا مرة ثانية.

أقبلت الفتاتان نحو إيمي تقبلانها، وقالت إيستارا: أنا أعلم يا أمي لماذا لم تقومي بمعاقبتنا، هل أخبرك؟. قالت إيمي: أخبريني يا ذكية لماذا؟

– أولا كان الخطأ الأول، وثانيا حتى لا نكسر ثقتك، ونعيد الخطأ نفسه ثانية، ثالثا لأننا صغيرات، لهذا لم تعاقبينا هذا كل شيء.

– لقد أخطأت يا ابنتي.

قالت جوساي: يا ذكية إننا في وقت متأخر من الليل، لذلك تخلت عن معاقبتنا، أليس كذلك يا خالتي؟

عانقت إيمي جوساي بشدة، وضمتها إلى صدرها، وقالت: من أين تأتي بهذه الأفكار يا جوساي؟ طريقة تفكيرك تجعلني أبتسم.

قالت إيستارا: لماذا يا أمي لم تعاقبينا إذن؟ أرجوك تكلمي.

قالت الجدة ياريكا: أنصتا يا حفيدتي جيدا، لم تعاقبكما إيمي كي تتعلما أن لا شيء أسمى في هذه الحياة من التسامح والعفو، والآن اذهبا للنوم فقد تأخر الوقت كثيرا. قبلت جوساي كلا من خالتها وجدتها، وقالت: تصبحان على خير، أنا جد متعبة، إيستارا هيا دعينا نذهب كي ننام، قبلت إيستارا كلا من أمها وجدتها، وبدأت بالسير. لحظات ونادتها أمها قائلة: تعالي إلى هنا يا ابنتي.

استدارت إيستارا إلى أمها وقالت: حاضر يا أمي، هل من شيء تودين مني القيام به؟

– لا شيء، فقط لأرى إن كنت تعلمين لماذا عالجت الحيوان الجريح، رغم أنه حيوان مفترس؟. ردت إيستارا: لا بد أنك أشفقت عليه وهو في تلك الحالة كما أشفقتُ عليه أنا وجوساي وحتى جدتي، فابتسمت إيمي وقالت:

أردت أن أحقق أمنيتك الأولى وهي إنقاذ حياة من الموت، كان هذا هدفي الأول من معالجته. عانقت إيستارا أمها بشدة، ثم قالت: لم أكن أعلم أنك تهتمين لأمنياتي، تصبحين على خير يا من أضعت قلبي في تفاصيل حبها، وقالت: رمال الحب تنساب بين ثناياك الليليه، وريح الشوق تعبر من خلال تفاصيلك المسكيه، زهور العمر تسأل عن مياهك الطيفيه وأطيار قلبي تريد أن تبهج لياليك الصيفيه، وأحاسيسي المكسورة سوف تجتمع في لمسة من أيادي أحلامك الورديه، لتسبح في بحارك السحريه، سأذهب وأكتبها فورا في الدفتر الذي أهدته لي ريتومي، وبعدها سأنام مباشرة، وأرجوأن تكون كلماتي أرضتك يا شمس قلبي في ظلمة ليلي.

ابتسمت إيمي وقالت: رائعة، من حسن حظي أني أمك وأنك ابنتي، أما ياريكا فقالت: رائع يا ابنتي، أرى أنك على خطى أبيك تماما.

– لا تنسي يا أمي أن أبي كان على خطاك يا أمي.

وفجأة عادت إيستارا وقالت: أمي، نسيت أن أسألك شيئا، قالت: ذاك الحيوان ليس نمرا، وليس فهدا، رغم أنه يشبههما، فما اسمه؟

– إنه من فصيلة السنوريات ويدعى " الببر الأبيض "، هناك عدة انواع من الببور ولكنه الأجمل، بفروه الأبيض المخطط بالأسود وخاصة عيونه الزرقاء وأنفه الوردي، كل هذا يجعل منه حيوانا ذومظهر ساحر ومن أجمل الحيوانات، خُلق ذلك الحيوان ليعطي مفهوما للجمال، لكنه يعد مفترسا بالرغم من جماله وروعته، لذلك سنعيده للغابة ما إن يتعافى بشكل كامل، والآن إلى النوم.

الفصل الخامس: المكعبات الغريبة

" الحياة تقف أمامي، مثل ربيع أبدِي، بملابس جديدة ومتلألئة "

كارل فريديريك غاوس

كانت إيستارا كثيرا ما تتردد على بيت عمتها روزيلدا، ويمكن القول أنه ليس بيت عمتها، بل بيتها الثاني، فهي كانت تعد روزيلدا أما ثانية لها، خاصة بعد أن كانت روزيلدا مرضعة إيستارا لحول كامل، حتى أن إيستارا كانت تناديها أمي بدل عمتي.

كانت روزيلدا في طول إيمي، نحيفة وتفوق إيمي ببضع سنوات، بيضاء البشرة، ذات عينين خضراوتين، وشعر أسود مجعد ليس بالطويل، وينسدل تحت رقبتها بقليل.

كانت روزيلدا جالسة فوق كرسي خشبي صغير في فناء المنزل وهي تنظر نحوالسماء وكأنها تتأمل في عظمة السماء.

فجأة سمعت إيستارا تقول: هاي أمي، ماذا تفعلين؟ الناس تتأمل السماء ليلا حين تكون مرصعة بالنجوم المتلألئة والقمر الخلاب، أما أنت فتراقبينها نهارا حين لا تكون هناك أية نجوم، أليس عجيبا ما تفعليه؟

جذبت روزيلدا إيستارا إليها، وضمتها بين يديها وقالت: الناس في النهار مشغولون بأعمالهم، فلا ينظرون إلى السماء ولو لحظة حتى يتأملوا عظمتها، والناس ليلا مشغولون بالنوم فلا يراقبون السماء ليلا ولا نجومها، لذلك يا

إيستارا: كل يعمل على شاكلته، هل فهمت ما أرمي إليه؟

قالت إيستارا: فهمت شيئا واحدا وهوأني سأعمل تماما على شاكلتك وأنظر إلى السماء ثم أتبعت: هل تعلمين شيئا؟ سأبقى أحدق إليها.

تبادلتا أطراف الحديث لفترة ثم قالت روزيلدا: والآن يا ابنتي علي تحضير الغداء، لذلك اذهبي والعبي قليلا وعودي لتتناولي فطور الغداء وأحضري معك جوساي. قالت إيستارا: موافقة، لكن لا تنسي أن تطبخي طعام العشاء باكرا، أنت تعلمين أن قريتنا لن تنام الليلة. ردت روزيلدا: طبعا، طبعا يا ابنتي الحبيبة.

تناولت إيستارا وجوساي طعام الغداء عند روزيلدا وعادتا مباشرة للمنزل لأخذ القيلولة، وما إن عادتا حتى وجدتا إيمي وياريكا تتبادلن أطراف الحديث فقالت إيستارا: أمي، حري بكن أن تستقلن لأننا لن ننام الليل بطوله، واليوم لن نتناول العشاء كالعادة، وسوف نقدمه قليلا، فاليوم هوموعد إطلاق الأحجار المتقدة.

قالت إيمي: اذهبن أنتنّ ولا تقلقن بشأننا. سارت الفتاتان والتفتت جوساي إلى إيستارا قائلة: موعد إطلاق الأحجار المتقدة؟ لم أسمع بهذا في حياتي، فما هويا ترى؟

– اليوم وبعد العشاء مباشرة إن شاء الله، سوف تجتمع قريتنا الصغيرة لتشاهد أحجارا متقدة تتطاير في السماء، هذا كل شيء يا جوساي. قالت جوساي: آه، أظنني فهمت، تقصدين سيل من الشهب المتساقطة، ولكن من أخبرك بأن اليوم تتساقط الشهب؟

– ليست شهبا تتساقط، بل أحجارا متقدة، وقد تكون كرات طينية صلبة

تتراقص في صفحات السماء المزينة بالنجوم والقمر، ترينها ترقى إلى السماء ويدوم هذا المشهد حتى الخيوط الأخيرة للفجر.

قالت جوساي: ألا تعرفي كيف يكون اختصار الكلام؟ قولي أنكم ستقومون بصنع هذا المشهد ولننتهي من هذا الأمر يا إيستارا.

– لسنا نحن من سيقوم بصنع هذا المشهد، نحن فقط سنرى أحجارا متقدة تتراقص في السماء، وما إن تهوي واحدة حتى تظهر أخرى وهكذا دواليك، لقد ذهب بعض أعمامي في أحد الأيام للبحث عمّن يقوم بهذا وسألوا الكثيرين من الناس لكن دون جدوى، ودون أن يعرفوا من يقوم بإطلاقها، لكن أضمن لك شيئا واحدا وهوروعتها.

– غريب، غريب جدا؟

– ما الغريب يا جوساي؟ هل لأننا لم نعرف من يقوم بهذا المشهد الرائع؟. ردّت جوساي: الغريب هوأنه رغم فضولك فلم تحاولي معرفة من يقوم بإطلاق الأحجار المتقدة.

– لا تكوني غبية يا جوساي، أنا لا أضيع وقتي لأني أعلم أن محاولاتي لن تكون أفضل من محاولات أعمامي، لذلك اكتفيت بانتظار هذا اليوم ومراقبته.

– لا أظنه جميلا بالقدر الذي وصفته به، يبقى مجرد أحجار متقدة ترتفع في السماء وبعدها تهوي، يظل المشهد يتكرر حتى الفجر.

– لأني لم أخبرك بالشيء الأجمل يا جوساي؟

قالت إيستارا:

أولا تكون أحجارا متقدة، وبعدها دوائر ومثلثات وغيرها من الأشكال الهندسية، تتطاير في السماء، أما الشيء الأجمل فهو..، ولكن قبل أن تكمل كلامها غيرت الموضوع وقالت: هل لاحظت أن زوجة عمي غايد تعامله بلطف زائد؟

– لم أفهم لم غيرت الموضوع، لكن لا بأس، أما فيما يخص زوجة عمك غايد، أقصد روسينات، فنحن نعلم أن واجب الأزواج معاملة بعضهم بلطف.

– حسنا، لم تفهمي، تعامله بلطف زائد وهذا لأنه في العام الماضي قدم لها هدية رائعة عندما سقطت دائرة نارية قرب عمي غايد. وبسرعة قالت جوساي: هل قدم لها هدية بسبب نجاته... أنت تمزحين يا إيستارا؟.

– لا تكوني حمقاء يا جوساي، عند سقوط الدائرة المتقدة بقربه، أمر أحد أعمامي بإحضار دلومياه له، فأحضر دلوالمياه، واثنان أوثلاثة على ما أذكر كانوا يحملون مشاعلا، ألقى عمي غايد قطرات من المياه على تلك الدائرة وعندما انخفضت حرارتها قام بفصل تلك الذي كنا نظنها حجارة، لأنها كانت عبارة عن كرات طينية صلبة وضعت حول قطعة نحاسية، كانت هناك حوالي عشرة كرات طينية على ما أذكر وبحجر قاسي قام عمي غايد بكسرها ليجد بكل واحدة ألماسة براقة.

قالت جوساي: مستحيل، هل حقا ما تقولين؟ ألماسات بداخل كرات طينية.

– أجل عشرة ألماسات رائعات، جعلهن عمي غايد يزين خاتما ذهبيا، وجعل الخاتم يزين إصبع زوجته روسينات التي قالت له لولم تطلب يدي لكنت طلبت أنا يدك!

تربع الليل، وبدأت شرارات تحاول تقبيل السماء عبثا، وكانت إيستارا وجوساي والكل ينظرون بعيون واسعة لذلك المشهد البديع، كانت الأحجار المتقدة وكل الأشكال الهندسية الرائعة تلك تسقط بعيدا عن قريتهم، أما إيستارا فكانت تنظر إلى السماء وهي تدعوبصمت: يا ربّ، يا ربّ، لتسقط بقربي عشرة ألماسات، وفجأة سقطت ثلاث مكعبات صغيرة انطفأت النار المحيطة بها ما إن وقعت

على الأرض. كان طول ضلع كل منها مختلف عن الآخر، أطوال الأضلاع توحي أنها ليست أطوالا عشوائية وقد كادت أن تصيب رأس إيستارا، لكن لحسن الحظ أن الجمال ابتعد في الوقت المناسب ولم يُصب بأذى.

كانت المكعبات الثلاثة لا تزال شديدة الحرارة، لكن إيستارا أمسكتها دون أن تهتم لحرق راحة يدها، وسرعان ما وضعتها وقالت: أحضري لي المياه يا جوساي واجتمعت القرية حول إيستارا في انتظار ما سيسفر عنه كسر المكعبات الثلاثة.

لم تستطع إيستارا كسر المكعبات فطلبت من عمها غايد أن يقوم بكسرها لكنه عجز عن كسرها، وحاول كل الرجال أن يكسروا المكعبات ولكن لم تنفع المطرقة، ولا أي شيء، وانتهى العرض والمكعبات لم تكسر، حتى قال غايد: إنها صلبة جدا، ولا أظن أنها ستكسر، علينا وضعها في إناء مياه والانتظار فربما لانت قليلا.

مضت ساعة وساعتان وثلاث وأشرقت الشمس والمكعبات لم تلن، أخيرا فقد الجميع الأمل وقالت جوساي: ابنة خالتي المسكينة حظك سيء جدا، وأرى أن ترميها فلا جدوى من احتفاظك بها، هي لن تنكسر.

قالت إيستارا: لا، لن أرميها حتى ولوكانت دون فائدة تذكر، سأحتفظ

بها، وتابعت تقول: صحيح أنها لم تكسر ولكن هذا لا يعني أبدا أني سأرميها، فابتسمت إيمي قائلة: حسنا، احتفظي بها بما أن لا أحد يجبرك على التخلي عنها، دعونا نرجع إلى البيت الآن.

لم ينم السكان الليل، ولم يناموا النهار كذلك، كان كل شيء عاديا بالنسبة إليهم عدا أنهم كانوا متأسفين لأن إيستارا لم تحصل على أية ألماسات أوجواهر. قبل الظهيرة اتجهت إيستارا إلى بيت روزيلدا وكانت هذه الأخيرة تطعم في الدجاجات. قبلتها إيستارا وقالت: كيف حالك يا أمي؟

– بخير يا حلوتي البديعة، هل تمكنت من تحطيم المكعبات؟

– أيقنت أن تحطيمها ليس سهلا أبدا، لقد حاول الجميع أن يكسرها دون جدوى، لذلك خبأتها في غرفتي مع بعض الأشياء الجميلة الخاصة بي. قالت روزيلدا: هل يمكنك إحضارها حتى ألقي عليها نظرة يا ابنتي؟

– بالطبع يا أمي، يمكنك حتى أخذها. مرت فترة قصيرة قبل أن ترجع إيستارا إلى روزيلدا وهي تحمل المكعبات الثلاثة بين يديها، أرتهم لمرضعتها فقالت هذه الأخيرة وعلامات الدهشة تملأ تعابير وجهها: كما توقعت تماما، إنها هي. قالت إيستارا: ماذا تعني يا أمي بكلامك هذا؟

– تبادلت إيستارا ومرضعتها أطراف الحديث قليلا، فجأة قالت إيستارا: انتظريني هنا، أظن أن جوساي تحتفظ بكمية لا بأس بها من البندق، لقد اقتحمنا الغابة وجلبناه.

رجعت إيستارا ثانية إلى منزلها وكانت جوساي في الحديقة فأسرعت إيستارا نحوها وقالت: جوساي، أعطني البندق الذي تبقى لك رجاء، هذا إذا لم تريدي أن أذهب إلى الغابة مجددا؟

استغربت جوساي من هذا السؤال وقالت: لوأنني لم أقطع وعدا لخالتي بأني لن أكذب لكنت أخبرتك أنه انتهى، لكن ولكي أبتعد عن الكذب وأمنعك من نكث وعدك بالذهاب مجددا إلى الغابة سأعطيك كل البندق الذي تبقي لديّ، اتبعيني.

دخلت الاثنتان المنزل وأعطت جوساي لإيستارا كيسا به كمية لا بأس بها من البندق. قالت إيستارا: شكرا لك، إذا سألتك أمي عني فأخبريها أني عند مرضعتي روزيلدا، اتفقنا. أخذت جوساي نفسا عميقا ثم قالت: سنخبرها كلتانا ونذهب عند العمة روزيلدا معا.

- فكرة سديدة، لكن تناولي غداءك ثم خُذي استراحة وبعدها الحقي بي.

عادت إيستارا إلى منزل مرضعتها ركضا، وبعد أن أخذت جوساي استراحة قصيرة ذهبت هي الأخرى إلى منزل روزيلدا. كانت هذه الأخيرة مع إيستارا جالستان على كرسيين خشبيين تستمتعان بدفء الشمس وما إن رأت روزيلدا جوساي وهي قادمة نحوهما حتى استوت واقفة وعانقت جوساي بحرارة وهي تقول: عزيزتي جوساي، كيف حالك؟ لم تشتاقي إليّ كثيرا هذه المرة؟

قالت جوساي: اشتقت إليك كثيرا، لكن إيستارا تُبقيني معها طول الوقت، فماذا أفعل؟

انقضى اليوم سريعا ودخلت إيستارا إلى الغابة مجددا رغم اعتراض جوساي بشدة، لكن خرج الجمال سالما من الغابة وتسترت جوساي عمّا فعله الجمال مجددا. قالت جوساي: إذا دخلتِ مرة أخرى فسوف أضربك بشدة وأخبر خالتي يا إيستارا، سأتسامح معكَ هذه المرة وعُدّيها المرة الأخيرة، أفهِمت؟

- شكرا لك، لقد أحضرت لك بعضا من البندق، تفضلي. قالت جوساي: شكرا لك، لست أريدها، أخبريني فقط عن السبب الذي جعلك تدخلين مجددا؟ وفجأة التقت الاثنتان بكونايشي ابن غايد فقالت إيستارا: تفضل حبات البندق هاته يا كونايشي.

- شكرا لك يا إيستارا، من أين حصلت عليها؟. أجابت إيستارا قائلة: حصلت عليها من شجرة بندق لا أعرف مكَانها!. تابعت قائلة: لولم أكن أعلم أنك مشاغب جدا وأن عمي غايد سوف يضربك ضربا مبرحا لأخبرتك.

الفصل السادس: اللصوص الثلاثة

" أن تفعل الشيء النافع، أن تقول الشيء المشجع، أن تنوي الشيء الجميل:
هذا يكفي لحياة شخص واحد "

توماس ستيرنز إليوت

أيام قليلة، وتعافى الببر الأبيض الذي أحضرته الفتاتان من الغابة، وصارتا تلعبان معه، وكذلك الأطفال الآخرون وكأنهم يغتنمون فرصة اللعب معه في هاته الأيام قبل إعادته إلى الغابة التي تكون موطنه، ولا بد من إرجاعه إليها ليواصل عيشه بأية طريقة، لأن البقاء على قيد الحياة، والصراع من أجلها لا يحتاج إلا للقوة في عالم مثل ذاك.

كان الكل مستمتعا، ولكن في بعض الأحيان هناك من يضحي بسعادتنا من أجل شيء فان، قد يكون هذا بسبب شخص الإنسان، أوقد يكون بسبب أفكار مظلمة تغطِّي سبيل السعادة الحقيقية والتي لا تكون إلا عندما نفرح لفرح الآخرين ونحزن لحزنهم.

كانت هذه الأفكار تراود بال عم إيستارا "كاياجي"، الذي كان يخفي خلف ابتسامته المصطنعة جشعا لا مثيل له، وطمعا لا نهاية له، بالرغم من أنه في بعض الأحيان يكون شخصا رقيقا، أما جشعه وطمعه فلم يكن يعلم أي أحد من أقاربه إلى أي حد يمكن لهما أن يتوقفا عنده.

بعد أن أُسدِلت ستائر الطمع على نوافذ قلبه، لم يعد يأبه إلا لكيفية تحقيق مراده، لذلك قَرر أن يسرق الببر الأبيض بأي ثمن ليبيع فروه الناعم والنادر،

دون أن يبدي أي اهتمام لمشاعر الأطفال الذين تعلقوا بذلك الببر، ولم يفكر ولولوهلة أنه سوف يكسر مرايا الفرح والسعادة التي تغمرهم، والتي ما كانت سوى انعكاس وجود الببر الأبيض قربهم وهويجري معهم ويتقلب فوق الأرض بين الحين ولآخر.

لم ينتظر كاياجي كثيرا ليذهب إلى جوار المنبع الذي يجلبون منه المياه، ويلتقي بأحد الرجال هناك، ليناقش معه خطة سرقة الببر، دون أن يعلم أي شخص، على الأقل هذا في نظره، ودون أن يشك في أمره أحد، وبعد مناقشة الخطة بكل صغيرة وكبيرة افترق الرجلان، وملأ كاياجي قربة المياه، وهم بالعودة إلى منزله.

لم يكن الاثنان فقط هم من علما بالخطة، إنما كان هناك شخص ثالث وهوكونايشي ابن غايد الذي تبع عمه إلى النبع، واختبئ بين الأشجار وسمع الحديث الذي دار بين الرجلين. قال في نفسه: لم أخطئ البتة عندما قررت اتباع هذا الجشع الطماع، وأمر جيد أني عرفت خطته، لحظات قبل أن يخرج من بين تلك الأشجار، ويسلك دربا آخرا للعودة، وهويقول في سرّه: سيفضح الجشع.

أثناء العودة، صادف كاياجي ثلاثة شبان، لهم نفس الطول ولهم نفس البنية الجسدية، ولكن ليس نفس رجاحة العقل. فالأول ويدعى ريوكساي، كان الأذكى، والثاني يدعى ريوفراي وهوليس بالذكي، وليس بالغبي، أما الثالث فيدعى ريوكاي، وطبعا صفته الصفة المتبقية.

كانوا ثلاثة شبان، إن لم تتوفر الأسباب المواتية لهم، يكونوا صالحين، وإن توفرت الأسباب ليكونوا سيئين، فلا يمانعوا، بمعنى آخر، إذا أرادوا السرقة وكانت الظروف تساعد على السرقة فسوف يكونون سارقين وإن كانت

السرقة تشكل خطرا عليهم فسوف يكونون صالحين.

ما إن رآهم كاياجي حتى قال في نفسه: يا لحسن الحظ، كنت أبحث عنهم وها هم آتون نحوي، هل هذا يوم سعدي يا ترى؟

قال: السلام عليكم، كيف حالكم؟

رد ريوفراي: كيف حالك أنت؟ فنحن في نعمة، نبصر، نمشي، نسمع، ونتكلم، لا ينقصنا أي شيء، ولكن لا نمانع زيادة الخير.

– بالتكلم عن الخير، هل سمعتم أن هناك ببرا أبيضا في هذه القرية؟ وتابع: المنزل المنعزل، داخل الإسطبل.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، وقال ريوكاي: يعني أن الخير متوفر يا أصدقاء، ليقول ريوفراي: متوفر، ولكن من السّباق!

قال كاياجي: إن كنتم تريدون أن نكون سبّاقين، فليس لدي مانع، ولكن بشرط واحد وهوأن نتقاسم الغنيمة إن نجحت الخطة.

وهنا تكلم ريوكساي، وكان هادئا جدا ونادرا ما يتكلم، وقال: دلنا على خطتك إذن يا كاياجي، فروالببور غالي الثمن، لذلك هل لديك خطة محكمة لسرقة الببر دون أن ينتبه لنا أحد ودون أن يشك في أمرنا أحد؟

– الببر في الإسطبل، والإسطبل لا تستطيع فتح بابه الحيوانات، لكن ليس البشر، لذلك أظن أن البساطة تكفي، يُسرق والناس نيام، خاصة بعد تخديره، سيكون الأمر سهلا.

– أفهم من كلامك أنه بعد الغروب بنحوثلاث ساعات يمكن أن تتم سرقته بكل بساطة.

رد كاياجي: إلا إن كان لك رأي آخر؟. قال ريوفراي: الذي لا أفهمه هولماذا لم تحاول سرقته يا كاياجي وقررت إخبارنا؟

أجاب ريوكساي: إن حدث واكتُشفَ أنه هوالسارق، فكر كيف ينتهي به الأمر، فضيحة كبيرة تشوه سمعته الطَيبة أمام أقاربه.

اتجه كاياجي مباشرة عند أخيه غايد الذي كان جالسا بالقرب من منزله، وما إن رأى هذا الأخير كاياجي مقبلا نحوه حتى قام من مكانه وقال لأخيه: هل حصل معك مكروه يا كاياجي، ما بك تهرول؟

- لا، لم يحدث شيء، لكن أظن أنه علي أن أقول لك شيئا لتتخذ قرارا بشأنه في أسرع وقت وإلا فإنه سوف يحدث عن قريب أمر سيئ.

استغرب غايد من كلام أخيه وقال: لم أفهم ما ترمي إليه من خلال كلامك هذا، رجاء هلا وضحت لي قليلا، علني أفهم؟

- لقد ذهبت للنبع لكي أملء قربة الماء، ولكن قبل أن أصل سمعت صوت رجال من خلف الأشجار يتكلمون، فاقتربت حتى أعلم ماذا يجري، وبينما كنت أسترق في السمع علمت أنهم يضعون خطة لسرقة الببر الأبيض، وهذا حتى يبيعوا فروه وكما تعلم، فرومثل ذاك غالي الثمن جدا ولا عجب من أن يحاول أشخاص ما سرقته، لذلك أتيت لكي أخبرك مباشرة.

ظهرت علامات التعجب على وجه غايد، ولكن محى عن محياه كل علامات الاستغراب. قال غايد: شكرا لك يا كاياجي، سوف أنظر كيف نمنع حدوث هذا، وشكرا جزيلا لك مجددا. فرد كاياجي: العفويا أخي، واتجه إلى منزله.

عاد ابن غايد إلى المنزل، وأخبر أباه بما كان يخطط له عمه، وقص على

مسامع أبيه كل الحديث الذي جرى بين عمه كاياجي وأحد الرجال. قال غايد: لقد ظن أنه ذكي بما فيه الكفاية، ثم تابع: لقد شككت في أمره عندما أخبرني أنه عاد مباشرة، بعد أن علم أنّ هناك رجالا يخططون لسرقة الببر، ولوعاد حقا مباشرة ما كان ليملأ قربة الماء، لذلك استعد يا بني لمراقبة عمك، وإياك أن يخرج من منزله دون أن تبلغني، فقال كونايشي: حاضر يا أبي، سأبقى أراقبه عن كثب.

الفصل السابع

انطلق الثلاثة ليجلسوا قرب النبع، ويستريحوا قليلا وسط تلك الأجواء الرائعة التي تريح القلب وقال ريوكاي: قرية رائعة جدا.

رد ريوفراي: رجاء اصمت ودعنا نفكر، ثم قال: بالمناسبة، تذكرت أن أمك كانت ساحرة، أمر مؤسف.

قال ريوكاي: وماذا في ذلك، المهم أنها تركت ذلك وكل البشر يخطئون، ثم قال: تذكرت، أنسيت أن أمك كانت صديقة أمي؟

ضاق ريوكساي ذرعا بكلامهما، وقال: اصمتا، اصمتا، فأمي كانت ساحرة. قال ريوفراي: مستحيل أن يكون ما قلته صحيحا.

- للأسف، هذه هي الحقيقة، وخالتي بيلات وخالتي شيروسكا كانتا تنفذان أوامرها. صمت ريوفراي ، لينطق ريوكاي ويقول: أليس من عجيب الأقدار أن أمي اسمها بيلات، وأم ريوفراي اسمها شيروسكا؟ وانفجر كل من ريوكساي وريوفراي ضاحكين، ولم ينتبه ريوكاي حتى قال ريوفراي: إنه يتحدث عن أمي وأمك أيها الغبي!. قال ريوفراي مخاطبا ريوكساي: هل حقا أن أمك كانت ساحرة، أم أنت تمزح؟ ليرد ريوكساي: أمهاتنا صديقات ونحن أصدقاء.

بقي الثلاثة في مكان قريب من النبع وهم ينتظرون فقط في حلول الظلام ليباشروا مهمتهم وقال ريوكاي: هذا جيد جدا، سنصبح أثرياء بعد أشهر قليلة فقط، ببيع فروالبر الأبيض فإننا سوف ننتهي من حياة البؤس هاته

التي نعيشها، ما رأيكما؟

رد عليه ريوفراي وكان قد أخذ نفسا عميقا جدا: أنت لا تعلم شدة تلهفي لوصول تلك اللحظة يا صديقي، حتى أني في أشد الشوق لوصولها، متلهف لوصولها، وهنا قاطعه ريوكاي قائلا: لكن أية لحظة، لحظة سرقتنا الببر ما إن يخيم الظلام، أم لحظة بيعنا الفروو وتصبح القطع الذهبية بين أيدينا؟

ابتسم ريوفراي وقال: في بعض الأحيان أحتار كيف تكون صديقنا، ولكن ماذا سنفعل؟ لا نستطيع أن نتركك، ثم واصل كلامه: بالطبع أنا أنتظر في اللحظة التي تصبح فيها القطع الذهبية بين أيدينا، ثم نظر إلى ريوكساي الذي كان صامتا طوال الوقت وقال: هاي، ما رأيك أنت فلم تتكلم إلا قليلا مذ ذهب كاياجي؟

بدل أن يتكلم ريوكساي، قال ريوكاي: دعه فلا بد أنه يفكر في ما سيفعله بالقطع الذهبية ما إن تصبح رهينة في يديه، ولا بد أنه يفكر منذ الآن في الذي سيفعله بها.

- أجل معك حق، إنه ينتظر أن تنقلب حياته، وتنتزع معالم الفقر منها، لربما نسج قصرا كبيرا من الأحلام في مخيلته وتابع قائلا: حتى أنه يمكنك أن تتصور كبر الأحلام التي ينسجها، إنه إلى الآن ما يزال شارد الذهن دون التفوه ولوبكلمة واحدة، وهنا استوى ريوكساي واقفا وقال: سأبني قصرا جميلا به ساحة كبيرة، وأضع في وسطه حديقة رائعة ونوافير مياه وكذلك إسطبلا كبيرا للأحصنة، وأشتري الكثير من البطّ، وأصنع في الباحة الخلفية بحيرة واسعة، ما رأيكما؟ ثم قال: يا لكما من غبيان وأخرقان.

احتار صاحباه في كلامه، ولم يفهما شيئا، فقال ريوفراي: كل الذي قلته صحيح، قبل أن تقول أننا غبيان وأخرقان، لم أفهم ماذا دهاك يا صديقي؟

جلس ريوكساي من جديد، وقال لصاحبيه: تعاليا إلى هنا رجاء فهناك ما يجب أن أفهمه لكما بما أنكما لم تفهما.

رد عليه ريوكاي قائلا: وما الضير لوتكلمت من هناك؟ تكلم. فردّ بنبرة صوت حازمة: قلت لكما اقتربا مني فاقتربا ولا تناقشا، هيا تعاليا.

اقترب الاثنان من ريوكساي، وقال هذا الأخير: اسمعاني جيدا، نحن نعلم أن كاياجي طماع وجشع إلى درجة كبيرة، ولوفكرنا من هذا المنظور، لوجدنا أنه يريد كل النقود له وحده، دون أن تكون لنا قطعة واحدة، لذلك أرى أنه يحيك لنا أمرا ليوقع بنا نحن الثلاثة في الفخ وله خطة أخرى ليسرق بها البر الأبيض ويصبح المال ملكه وحده، والآن ما رأيكما، هل ظني في محله؟

احتار الاثنان ماذا يقولان، حتى أنهما خافا قليلا عندما قال أن كاياجي قد يكون وضع خطة ليوقع بهم من جهة، ويكونوا قد قدّموا مساعدة له دون أن يعلموا، هذا من جهة ثانية، فقال ريوفراي: معك حق في الذي قلته تماما وإني أرى أن نسحب أنفسنا مباشرة.

قال ريوكاي: نعم، يجب أن ننسحب، صحيح أننا نريد أن نكون أثرياء، ولكن كذلك لا نريد أن نقع في مكيدة لا يحمد عقباها، لنعد ونحيا حياتنا، صحيح أننا فقراء، ولكن ماذا سنفعل؟. ثم قال: أظن أنه يجدر بنا أن نصبح صالحين، هذا جيد، فحياة السرقة هذه لقد مللتها، وأصدقكم، لا أريد أن أكون من الأشرار، فهيا بنا نعد أدراجنا ولندع ذلك المحتال وحده ليفضح أمره.

نهض كل من ريوفراي وريوكاي، في انتظار أن ينهض ريوكساي ليعودوا أدراجهم، ولكن ريوكساي قال: اجلسا، سنصبح صالحين بعد أن نصير

أثرياء، سيكون هذا رائعا للغاية.

فرح الاثنان كثيرا وقال ريوكاي في نفسه: لا بأس إن كان عملنا هذا عملا شريرا، لأنه سوف يكون الأخير، بعدها نقلع عن السرقة إلى الأبد ونصبح صالحين. ثم قال: يا أصدقاء، إن نجحنا هذه المرة في سرقة الببر، سنصبح صالحين ما رأيكم؟. ردّ عليه ريوكساي قائلا: بلى معك حق، سنصبح قديسين، يا لك من غبي!.

قال ريوفراي لريوكساي: انتظر، انتظر، قلت قديسين، هل تتبع ديانة ما؟. فردّ ريوكساي: كم مرّة أخبرتك أننا نبحث عن الطريق القويم؟ وتابع: حياتنا لا تزال حتى الآن دون معنى.

قال ريوكساي: اسمعوني جيدا، هناك خطة ولكن يجب تنفيذها بحذر شديد دون أية أخطاء، فخطأ وحيد، يجعلنا فريسة سهلة في قبضة غايد والآخرين، لكن قبل ذلك، هناك شيء يجب على اثنان منا القيام به، فمن يوافق على إنجاز هذا العمل معي؟

قال ريوكاي: لكن هل يجب علينا القيام بهذا العمل الآن، أم ننتظر ريثما يحين الظلام؟. قبل أن يقاطع ريوفراي كلامه ويقول: اصمت رجاء ولا تتكلم مرة أخرى. ثم نظر إلى عيون ريوكساي وقال: أخبرني عن هذا العمل ولنبادر به الآن إن استلزم الأمر،أما ريوكاي، فبقي فقط يرمقهما بنظرات متقطعة بين الفينة والأخرى.

– جيد أنك أنت من سينجز معي العمل بدلا من هذا الغبي، لكنه سيقدم لنا مساعدة كبيرة، وفي الأخير هوصديقنا ويجب عليه تقديم يد العون لنا، متى احتجناها منه.

أقبل الغبي نحوهما وقال: هذا مؤكد وبكل سرور، أطلب فقط ولن أرفض لك أي طلب، فأشار ريوكساي إلى ريوفراي، وانهارا على ريوكاي بالضرب الشديد، وهويقول ماذا تفعلان؟ دعاني، دعاني، ما هذا المزاح؟ لكنهما لم يتوقفا حتى نزف أنفه وسقط أرضا، حتى حسب الاثنان أنه قد أغمي عليه، فبدئا يرشانه بالمياه، ما دام النبع قربهم، ثم قال ريوكساي: انتهينا من العمل الآن، وشكرا جزيلا على مساعدتك يا ريوكاي.

– أي عمل وأية مساعدة؟ أنتما لستما صديقان أبدا، هل لأني قليل الفهم وجبان بعض الشيء قمتما بضربي بهذه الطريقة دون رحمة ودون شفقة؟. فابتسم ريوكساي في وجه ريوفراي وقال: حقا إنه قليل الفهم.

نظر إلى الشمس، وإذ بها تلقي تحية الوداع، فقال: شيء جميل أن تغرب الشمس الآن، وقال لريوكاي: الآن سوف تذهب إلى منزل غايد، وتطرق بابه كأنك عابر سبيل، وبعد ذلك سيسألك عن ما جرى لك، فقل له إنك كنت ماشيا من هنا قبل أن يعترض طريقك ثلاثة رجال وينهالوا عليك بالضرب دون أن تعرف السبب، وهذا لأنك كنت مارا بجوار المنزل المنعزل، بعدها هربت إلى منزله لأنه المنزل الأول الذي صادفته في طريقك عند الهروب، هل فهمت ما قلته لك؟

– فهمت كل كلمة قلتها، لكن لم أفهم بعد ما الهدف من كل هذا، فنحن سنقوم بالسرقة قبيل منتصف الليل بقليل وأنت تقول الآن.

– آه منك، بهذا العمل سيتركك غايد في منزله، ويسرع إلى الإسطبل، أما نحن فنكون قد سرقنا الببر، فهم لا يتوقعون أن تكون السرقة بعد الغروب بوقت قصير، كذلك، فما إن يخرج غايد من المنزل ويبدأ بمناداة الآخرين حتى تخرج مسرعا لنلتقي في الضفة الأخرى من النبع ونرحل. قال ريوكاي

وهويكبح غضبه: ولماذا لا نسرقه ثلاثتنا دون أن يفترق أحدنا عن الآخرين؟

– أحمق، نريد أن نوقع كاياجي في فخه، من المحتمل أنه متفق مسبقا مع شخص آخر، إذا كان هذا الفرض صحيحا فإنهم قد يمسكون بذلك الشخص وسيعترف أنه أتى للسرقة وأن كاياجي من حرضه على السرقة، عصفورين بحجر واحد، هكذا سينال كاياجي عقاب طمعه، أما نحن فنكون قد هربنا ولا سبيل لهم لملاحقتنا.

كان غايد أوصى ابنه أن يراقب عمه كاياجي في كل لحظة عن كثب وأن لا يدعه يبتعد عن ناظريه، ولم يخبر إيمي بأي شيء، حتى لا يقلقها، وترك الأمور كأنها عادية جدا.

ذهب الغبي إلى منزل غايد، وهوفي تلك الحالة وطرق الباب بشدة، فخرج غايد، ليجده أمام عتبة المنزل وهويبدوفي حالة يرثى لها، ويستحيل أن يراه شخص في تلك الحالة ولا يشفق عليه، فأدخله غايد إلى المنزل مباشرة، وقام بمساعدته وطلب من زوجته روسينات أن تقدم له بعض الطعام دون أن يسأله أبدا عما جرى له ليصبح في هذه الحالة.

كان غايد شخصا مؤدبا جدا، فقد انتظر حتى أنهى ريوكاي تناول الطعام، وبعد فترة قصيرة سأله عما حصل له، خاصة أنه ليس من قريتهم كما يوحي مظهره، وقال: بني كيف حصل لك هذا، ومن أين تقبل، وإلى أين تذهب؟

قال ريوكاي في سره: لقد كان إنسانا رحيما معي وقدم لي يد المساعدة، حتى أنه لم يسأل عما حصل لي حتى استعدت عافيتي ويجدر بي الآن أن لا أخفي الحقيقة عنه، وإلا سأكون شخصا لئيما جدا، ليس في نظره فقط بل حتى في نظر نفسي وهم أن يقول لغايد كيف حدث كل شيء، قبل أن يسمع صفير صديقيه، فغير رأيه تماما، وقال في نفسه: بعد هذه المرة سنصبح

صالحين، ثم قال لغايد ما أوصاه ريوكساي أن يقوله، لم يزد ولم ينقص.

خرج غايد مسرعا وهويقول: ماذا سأقول لإيستارا إن سرق الببر؟ وبدأ ينادي جيرانه الذين خرجوا مسرعين، أما ريوكاي، فقد خرج مباشرة قاصدا مكان النبع ليلتقي بصديقيه، ويرحلوا بعدها والببر الأبيض في حوزتهم.

خرج الجيران واتجهوا مباشرة إلى منزل إيمي ليروا إن كان لا يزال الببر هناك معهم، فتحت إيمي الباب ورأت إخوة زوجها والأقارب كلهم أمام الباب، فقالت مندهشة: ما هذا الذي يحدث؟. ثم نظرت إلى غايد بعيون تملئها الحيرة والكثير من التساؤلات وقالت: ما هذا الذي يحدث يا غايد ولم كلكم هنا؟ وخرجت الجدة ياريكا وكل من إيستارا وجوساي، وكلهن مندهشات.

قال غايد: لقد... وفجأة سمع ابنه كونايشي الذي كان قد أمره أن يراقب كاياجي آتيا وهويصرخ بأعلى صوته: أسرع يا أبي، أسرع، فلم يردّ غايد على سؤال إيمي واتجه نحوابنه وقال: ماذا هناك يا بني؟

– لقد سرق الببر الأبيض، أظن أن السارق ذهب باتجاه النهر وهوحامل مشعلا بيده.

– شكرا لك يا بني، ابقى هنا الآن. ذهب غايد والآخرون في اتجاه النبع، وكان كل شخص منهم يحمل مشعلا في يده، ينير به تلك الدروب المظلمة التي تمتلئ بالحصى والحجارة، خصوصا قرب النبع.

التقى الثلاثة عند ضفة النهر وقال ريوكاي: أين الببر، لا تقولا أنكما خبأتماه وفي الصبح إن طال عمرنا نأخذه وننسى القرية؟

نظر ريوفراي إليه بجفون ذابلة وكأن مأساة حلت به وقال: لقد خدعنا

ذلك الطماع، الببر لم يكن في الإسطبل بتاتا، وربما كان في مكان آخر لم يكن يعلمه إلا أهل القرية. قال ريوكساي: دعونا لنذهب الآن. لحظات فقط قبل أن يسمعوا صوت سقوط وكأن شخصا تعثر وسقط أرضا، ليجدوا الببر أمامهم، والشخص ذاك على الأرض. كان جليا أن تعثره كان قويا، من خلال شده لركبته وضغطه عليها. أسرع ريوكاي حاملا الببر الضعيف بين يديه ثم أخذ يمسح على فروه الناعم وهويرقص من شدة الفرح وهويقول لصاحبيه بنبرة تملأها البهجة: نحن أثرياء، نحن أثرياء...

قال ريوكساي: هيا بنا نرحل ولا نضيع الوقت، لنهرب، قبل أن يسمعوا شخصا يقول: إلى أين؟ فضرب ريوكساي ذلك الشخص الذي كان على الأرض برجله على وجهه، وقال: أنت على الأرض وركبتك تؤلمك، لا يحق لك سوى التألم، وذهبوا مباشرة.

حكى كونايشي ما كان يجري لإيمي وتفقدوا الببر مباشرة ليجدوا أنه سرق حقا، وقالت إيمي: لن أسامح ذلك الطماع أبدا، قبل أن يقول لها كونايشي: إنه أذكى مما ظننا فهولم يسرق الببر، وكنت أقوم بمراقبته ولم يخرج من منزله أبدا، لذلك ليست لدينا أي حجة ضده للأسف، يجب أن نتمنى أن يسترجع أبي والآخرون الببر سالما، وبعدها ننظر في أمر ذلك الجشع.

أما إيستارا وجوساي، فكانتا جد حزينتين، وبدأتا تبكيان دون توقف، لولا المواساة من روسينات التي كانت تقول: هل تظنان أن غايد سيسمح للدموع أن تطول لوقت أطول، امسحا دموعكما، فسوف يسترجع الببر عن قريب إن شاء الله.

وصل غايد وإخوته إلى النهر، لم يجدوا شيئا، وهذا بعد أن فتشوا المكان جيدا. عادوا أدراجهم، والفرق الوحيد هوأن عددهم زاد بشخص واحد،

وهوذلك الشخص الذي سرق البر، أي الشخص الذي كلمه كاياجي، كان أسيرا بين أيديهم، واعترف لهم بكل شيء، وأخذوه كي يكون شاهدا على أن كاياجي هوالرأس المدبر، لكن غايد أطلق سراحه في منتصف الطريق، وقال: دعوه يذهب، فربما هذا الفعل الجميل يساعدنا في إيجاد البر.

قال أحد أبناء إخوته: كيف تطلق سراحه يا عمي؟ سيكون شاهدا على ما دبره كاياجي، فرد غايد: سنترك أمره لله يا بني، إن شاء عفى عنه، وإن شاء عاقبه، فعقابنا له يكون انتقاما، أما عقاب الله له فيكون عدالة.

أخذ الثلاثة البر معهم وانطلقوا، ولكن في منتصف الطريق قال ريوكساي: يجب أن نرجعه فهذا لا يجوز بتاتا، وإذا أردنا أن نصبح صالحين فيجب أن نحاول تغيير أخطاء الماضي إن استطعنا، وليس تغيير حاضرنا ومستقبلنا، لا أن نفعل الأشياء السيئة ثم نصبح صالحين.

اندهش الآخران من كلامه وظنا أنه يمزح وأكملا طريقهما، فقال مجددا: لا يهمني إن أخذته منكما بالقوة، قرّرت أن نعيده.

قال ريوكاي: أنت تمزح، كنتَ وراء خطة السرقة، والآن تقول أن علينا إرجاعه، ماذا جرى لك يا صديقي، هيا نصبح أثرياء صالحين، وقال ريوفراي: لا، نكون فقراء صالحين خير، هيا لإرجاعه. فقال ريوكاي: ماذا؟ أسحر بكما أم ماذا؟. فمسكه ريوكساي من أذنه وقال: اتبعنا الآن أيها الغبي.

- حسنا اترك أذني أرجوك، لقد آلمتني، سنرجعه فهذا أفضل. فترك أذنه وعادوا إلى القرية في وقت متأخر، ليروا فتاة جالسة عند الباب تبكي، وقال ريوكساي: أرأيتما فعلتنا وما سببناه لتلك الفتاة البريئة وقال ريوكاي: يا ويحنا، إنها إيستارا. قال ريوفراي: وهل تعرفها أنت؟. فقال: طبعا أعرفها، إنها ابنة أخ غايد، فقد سمعته وهويقول ماذا سأقول لإيستارا إن سرق البر،

وماذا ستقول، ستقول، عمي لم يستطع إنقاذ الببر!.

نظر الاثنان إليه وقال ريوفراي: يا لك من ذكي؟. قال ريوكساي: بل أنت الأبله يا ريوفراي، وفجأة لامست بندقية رأس ريوكاي الذي كان لا يزال يحمل الببر الأبيض بين ذراعيه.

كان حامل البندقية غايد، وقال للثلاثة: إياكم والتحرك، ونادى إيستارا التي ما إن رأت الببر بين ذراعي ريوكاي حتى هرعت إليه والفرحة الغامرة تملئها، وفي اللحظة التي كانت فيها البندقية جارة لرأس ريوكاي قال لريوكساي: أرجوك قل له أن لا يقتلنا، سوف نصبح صالحين، قل له فقط أن يدعنا وشأننا، فأجابه ريوكساي قائلا: في هذه اللحظات تمنى أن يكون غايد صالحا ويدعنا وشأننا، بعدها نصبح نحن صالحين.

وصلت إيستارا، وحاولت أخذ الببر من يد الغبي، ولحسن الحظ أن المخدر لم يكن قويا واستفاق الببر بعد أن كان الرجل الذي كلمه كاياجي أولا هومن خدر الببر، ولكن الببر بقي ينشب أظفاره في لباس ريوكاي وكأنه لا يريد أن يتركه، وقال غايد: أترك الببر

من يديك، وإلا نسفت رأسك الفارغ، فقالت إيستارا: لا يا عمي، فالببر لا يريد تركه.

احتار غايد، وبدأ يجذب في الببر، والغبي لم يكن يمسكه أبدا، بل الببر من ظل متعلقا به وقال ريوفراي: ما هذا؟ هل تعلق حقا هذا الببر الأبيض الجميل بصديقنا الغبي؟ ثم قال في سره: يا سعدنا، سوف نصبح أثرياء لأننا قلنا أننا سنكون صالحين. همس لريوكساي: أرأيت كيف أن القدر واقف في صفنا، ولكن فجأة جلس الغبي على الأرض وبدأ ينزع في أظفار الببر عن ملابسه وهويقول: حسنا

يا صديقي، هيا عد إليها، وبشق الأنفس جعل البر يعود لإيستارا، وقال: ها هويا نيمايسولة لونفيروالصغيرة!. قال غايد: والآن ستنالون عقابكم على ما فعلتموه، لكن إيستارا قالت: لا يا عمي، دعهم وشأنهم فلوأرادوا سرقته لما رجعوا به إلى هنا.

– أنت لا تزالين صغيرة يا ابنتي، وإلا لكنت علمت أنهم أضاعوا الطريق فقرروا العودة من هذا الطريق قبل أن نقبض عليهم، فقال ريوكساي: أشعر بالغرابة تجاه قولك يا غايد، أليس لديك أي حسن ظن تجاه نوايانا؟

– لا تحاول أن تتذاكى معي يا هذا، لقد أرسلتَ صديقك الغبي ليقول أن السارقين قاموا بضربه، كذبتم من قبل فكيف أصدقكم الآن؟

– أشعرتني بغرابة أكثر، صدّقتنا عندما كنا نكذب، وكذبتنا عندما قلنا الصدق، وهنا تركت إيستارا البر على الأرض واتجهت نحوعمها وهي تمسك في البندقية وتقول أنزلها يا عمي أنزلها ودعهم وشأنهم وسترتكب خطأ كبيرا إن قتلتهم أوآذيتهم.

قال غايد: إياكم وأن ألتقيكم ثانية، فقال ريوكساي مبتسما: أرجوفقط أن لا يأتي يوم تدعوفيه أن تلتقينا.

وفجأة رأوا ريوكاي يركض بأقصى سرعة، والبر ملتصق بظهره، وقال غايد توقف وإلا أطلقت النار وأرديتك قتيلا، فقال ريوكساي: تقتل البر، أم تقتله هو، وضح يا غايد؟. ليسمعوا ريوكاي يصرخ: ماذا أفعل، إنه ملتصق بي، ليسقط على الأرض وبصعوبة كبيرة جعلوا البر يترك ريوكاي، وبعدها أخلى غايد سبيلهم.

الفصل الثامن: قرية دانجيه

" حيث تسود الحكمة، لا يوجد تعارض بين التفكير والشعور "

كارل غوستاف يونغ

عادت كوريسي وزوجها مالفي إلى منزلهم الذي يقع في إحدى القرى المجاورة، هذا لأخذ ما يلزم معهم من مال للذهاب عند الحكيم الذي تردد الكلام حوله أنه من أبرع الحكماء في الطب، واسمه جايري واير يقطن مؤخرا في قرية تدعى " دورياساك ".

بعد أخذ ما يلزمهم من المال والزاد، خرجا في الصباح الباكر متجهين إلى هاته القرية، التي كانت تبعد مسير يومين كاملين وقد استأجر مالفي شخصا كي يوصلهم بعربة إلى قرية " دَانْجِيهْ " التي كانت تقع قبل قرية " دورياساك "، وأوصلهم ذلك الشخص إلى وِجهتهم قبل غروب الشمس ولم يتبقى على الاثنان إلا السير على الأقدام ويستأجروا بيتا للمبيت فيه. قالت كوريسي لمالفي: لا بد يا مالفي أن ابنتنا جوساي جد مسرورة مع إيستارا باللعب والمرح، فإيستارا فتاة لا تتعب أبدا من اللعب ولووجدت كيف تبقى تلعب طول حياتها لفعلت، أليس كذلك؟

- أجل، معك حق، لكن ألا تري أنها تحب المغامرة إلى درجة أنها يمكن أن تخاطر بحياتها في سبيل أن تعرف شيئا يراود فكرها؟

- أوافقك، ولكن أرتاح عندما أتذكر أنها دوما تجد طريقة للنجاة من أي مأزق يواجهها، حتى أنها تجاوزت بطريقة ما غياب والدها.

تبسم مالفي وقال: لا شك أن إيمي مسرورة برؤية أمها ياريكا وهي في صحة جيدة خصوصا بعد أن تعافت من مرضها الأخير.

- مؤكد، وهذا يسعد إيمي كثيرا، وينسيها القصة الغامضة لاختفاء زوجها، وأنت تعلم أننا بحثنا عنه طويلا ولم نجد له أي أثر.

وبينما هما ماشيان، حتى قالت كوريسي: عند تذكر أن نومداكي لم يظهر منذ خمس سنوات انقضت يُشق قلبي يا مالفي، وقالت: بصراحة، أنا أظن أنه قد قضى نحبه فحتى لونظرنا إلى السبب الذي جعله يترك القصر في ذلك اليوم بعدما قام بضرب إيمي بقسوة ونحن لم نعهده قاسيا، لن يكون السبب كافيا ليبرر فترة غيابه الطويل التي تجعل أحلام الفتى الصغير سقيمة وبراءة الأطفال شاحبة كشرنقة، سمعتُ كثيرا عن جمال الحياة ولما لمستها لوهلة تلاشى جمالها ورونقها، وإني أكاد أجزم أن هناك شيئا واحدا يجعل نومداكي يغيب هذه المدة الطويلة بدون أن يعود إلينا، إنه الموت ومع أنه لا ينطق إلا أن غيابه الطويل جعل الموت يتكلم ليقول حقيقة نعلمها ولا نستطيع إدراك تفاصيلها حتى وإن ظهر قبره، أظنه قد مات يا مالفي.

وبمجرد أن تفوهت كوريسي بأن زوج أختها قد فارق الحياة حتى ألقت عليها الحياة سرابا حالكا جسده الألم الذي تجلى في عينيها وعصر تعابير وجهها من السعادة وأثنى من رباطة جأشها قليلا، والتي كثيرا ما تتحلى بها عند الخوض في فاجعة أختها ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفا فقد، سيطرت عليها الدموع المنهمرة من عينيها والتي كانت تتغذى من حرقة قلبها على مأساة أختها إيمي ولولم يأخذ مالفي بيدها لكان ازداد حالها سوءا فنظر إليها قائلا: يكفي هذا الآن يا كوريسي، تمالكي نفسك، سأكون أنا الضعيف وليس أنت إن لم تستجمعي قوة صبرك، وقبل أن يسترسل مالفي في الكلام

مجددا حتى حلقت الابتسامة من شفتيها لتعانق تعابيرها وتختفي ذنوب الألم من وجهها، تعالى السرور على قسمات مالفي وقال: لطالما كنت متيقنا أنني لم أخطئ الاختيار عندما اخترتك.

قالت كوريسي: توقف يا مالفي لقد أخجلتني، فلنعد إلى سياق حديثنا.

قال مالفي: حسنا، قد أوافقك الرأي أنه من المحتمل أن يكون توفي، فقد مرت حوالي خمس سنوات، وأقول هذا ليس من باب التشائم

وإنما من المستحيل أن يكون قد ترك زوجته وابنته ويرحل، فهورجل حنون جدا ولا يمكن أن يفعل هذا بأي حال من الأحوال إلا إن كان قد قضى نحبه حقا، أما بالحديث عن القسوة التي لامست قلب نومداكي والتي تجلت في تصرفاته عندما أقدم على ضرب إيمي، فليكن في علمك يا عزيزتي أن النساء أحيانا يتفوهن بكلام يجعل ضربهن أقل شيء يفعله الرجل، لكن يبقى على المرء العاقل الحرص على تسوية الأمور بلطف. قال في نفسه: لا بد أنّ نومداكي عرف بجنون إيمي، لكن من يرفض امرأة بجنون إيمي، هنالك الجنون، وهناك ما يرتقي معنى الجنون، فأن يدوس شخص عاقل على الزجاج والصبار أمر يرتقي الجنون.

أما كوريسي فقالت لمالفي: جيد أني لم أزعجك، أوكنت قلت لك كلاما يجعلك تغضب بشدة، وإلا لكنت انهلت علي بالضرب، هذا بالرغم من أنك هادئ طول الوقت. قال مالفي: لا، لقد أزعجتني مرات كثيرة مذ تزوجتك، ألا تذكرين؟

– لست أذكر، ولوفعلت لكنت قد غضبت علي وأنا لا أذكر أنك غضبت علي ولومرة واحدة، لا تزال زوجا مثاليا يا مالفي.

- لم أكن زوجا مثاليا وإنما كنت صبورا، كنت أصبر على كل كلمة تقولينها وكل فعل غير صائب تقومين به، هذا كل ما في الأمر.

نظرت كوريسي إليه وقالت: أنظر إلي يا مالفي، وما إن نظر إليها حتى بدأت بالضحك وقالت: من أين أتيت بكل هاته الحكمة التي تنطق بها فلم أعهدك هكذا؟

- لم أكن أظهر عبقريتي، هذا كل شيء، وإلا فالحكمة عندي تماما مثل الغزل العفيف، كلاهما يسريان في أعماقي بالفطرة.

- لم أكن أعلم أن زوجي ضليع بهذه الأمور، وكنت أظن أنك لا تعلم شيئا.

- اصمتي، سأشعر بالخجل وتتورد وجنتاي من شدة مدحك لي، والحقيقة يا كوريسي هي أنك لم تري شيئا بعد. قال: هل تعلمين يا كوريسي أن الغزل العفيف مفيد بين الأزواج؟ كأن أقول: قربك أكون طائرا محلقا، وهذا لا شيء، لأني لن أريك موهبتي الآن.

- إذا كنت محلقا فلا تنظر إلي، وأدر بصرك لأني حينها سأرميك بسهم من سهام عيوني لتموت في السماء قبل وصولك للأرض.

- زوجة قاسية، أوَ تعلمين: أكرهك، أكرهك، ليس قليلا فقط ولكن كثيرا، زوجة بائسة لا تعلم طريقة التكلم مع زوجها بلباقة، للأسف لا تعرفين أي كلام جميل وحلو المذاق، لذلك سأعطيك مثالا. قال مالفي: قلت لك أنني قربك أكون طائرا محلقا، ولوكنت ذكية لقلت: حلقتَ بجناحيك فطار قلبي إليك، لكن لا بأس، أنت تتعلمين.

قالت كوريسي: مالفي، كيف يطير قلبي وأنت كسرت جناحاه في

الأرض؟

قال مالفي: والآن ستبدأ الجدية. لتقول كوريسي: حسنا، بما أنك قلت حان وقت الجدية، لنبدأ ولنرى من الأبرع؟

- أعلم حق المعرفة أني الأبرع، ولكن سوف أعطيك فرصة، إن نجحت سنواصل، وإن فشلت سنترك الكلام حتى حين عودتنا، قالت كوريسي: يمكنك البدأ، أنت لا تعرفني، سأكسر غرورك.

تطلع مالفي في عيون كوريسي، وقال: تجمدت مياه البحر بنظرة من عينيك، ورست السفن بنسمة عبرت من بين شفتيك.

قالت كوريسي: يااااه، رائع، أخيرا بعض الكلمات الرائعة، وهمّت أن ترد على مالفي، لكنه نظر إليها وقال: قد خسرت حق الرد أيتها الغبية، عندما تجمدت البحار انزلقت السفن ولم ترسو، وعانقها قائلا: لا تغضبي، تمني أن نعيش حتى عودتنا لتكون لك فرصة الردّ، هيا ابتسمي.

قالت كوريسي: أرجوك يا مالفي، إلا إذا كان ذلك كل ما تعرف.

- حسنا، أنا موافق، وما إن وافق مالفي حتى قالت كوريسي: والآن سوف أريك، أولنقل سأعلمك كيف يكون الغزل العفيف. قالت: أنسى الحياة أم الحياة تنساني؟ وجودك بقربي أين أمساني؟ بصري تركته أم حبك أعماني؟ هل حبك طغى على أجفاني؟ دقات قلبي ترشدك أين تلقاني، على عجل تعال كي ترى ألوان المعاني وتغرق في بحار ألواني، ضم قلبي ولا تُرْدِي أحلامي، إلا إذا كنت ترجوارتقاء آلامي، سافرت علني ألقاك، حتى عرفت أني ضعت في عيناك، والغبي للآن لم يقل: كم أهواك... ثم أتبعت: طبعا كم أهواك يا كوريسي؟... ولم أعي حتى قال القلب ضاع المسكين في

محياك، اصمتي فقد نسي بأنه نساك.

نظرت كوريسي إلى مالفي، وقبل أن تقول أي كلمة قال مالفي: أكملي، أكملي، أم هذا كل ما لديك؟

قالت: حسنا، انتهيت، يمكنك البدء، أم تريد الانسحاب؟

- إذا انسحبت، أين تبقى مروءة الرجال؟. قال مالفي:

لا تُخجلي قلبي بربيع أبياتك، فقد أنتهي في بسمة من بسماتك، لا تسحريني بباقة من كلماتك، أوتقتليني بسهام من نظراتك، معنى الزمن تجهله أكواني، أما السبب، كوريسي التي تهواني، انتزعت فؤادي دون أن تؤذيني، أهدتني قلبها فما بقى لتهديني، نثرت ورود الأنس حاولت تنسيني، أن الأنس قربَ التي تكويني، وهنا نظر مالفي إلى كوريسي وقال: نظرت إلي وقالت لستَ تعنيني، فقلت صِدق نظرتك تعنيني، ليس الحب إلا فطرة ألقاها، تصب قرب من القلب يَهواها.

قالت كوريسي: يااااه... أكمل فقد راقتني كلماتك. قال مالفي: لكن من السيئ أنك أنت فقط من تري موهبتي، لذلك أفكر في الزواج لمرة ثالثة ومرة رابعة.

شهقت كوريسي ثم قالت: قبل ذلك، هل أنت متزوج من امرأة أخرى أيها المخادع؟

- ربما، من يدري؟.

- اسمع، تكلم بوضوح فأنت تعلم أني أكره المراوغة. رد مالفي سريعا: حسنا، متزوج من ثانية، ماذا ستفعلين حيال هذا الأمر؟

- زوج معتوه، أنتم الرجال خونة، ما إن تروا امرأة أخرى حتى تنسوا الأولى، من حسن الحظ أن أغلبكم فقراء وإلا فإن كل النساء سينتهي أمرهن معلقات بين البقاء مع خائن أوالاتجاه إلى أبغض الحلال وهوالطلاق.

- كأن النساء بريئات تماما، من حسن حظ الرجال أنه أحل لهم الزواج بأربعة يا كوريسي، ولكن ما سر تلك الغيرة، فالأجدر أن تشعر المرأة التي تزوج عليها زوجها بتأنيب الضمير فهي لم تستطع المحافظة عليه.

- أصمت، أنتم خائنون حتى ولوفعلت المرأة المستحيل لإرضاء زوجها، أتعلم شيئا؟ إن الخيانة تسري في عروقكم كالدم تماما.

- أتعلمين أني أردت أن أجعلك تحسين بالموهبة التي بين يديك لا غير، فتوزعينها ولك أجر ذلك، تخيلي أن امرأة فقدت الأمل في الزواج، فأتزوجها وأبقى بمثل هذه العفة الطاهرة، لك أجران، أجر تزويجها وأجر الصبر على زواجي بالثانية ويمكن أن يتضاعف أجرك إلى ستة أضعاف، طبعا إذا كنت محسنة، لذلك الرجال يريدون أن يضاعفوا حسنات زوجاتهن، لكن النساء لا يفهمن الأمر.

- قلت أنك خائن، تختلق أعذارا كثيرة للزواج بأخرى، ولا تبحث عن عذر واحد فقط لتبقى معي، ألا يمكن أن تكون مخلصا.

- حسنا، آسف يا كوريسي... آسف... قلت أني آسف... أووه... آسف... قلت أني آسف...

مر الوقت ولم يشعرا بالجوع ولوللحظة، حتى بدأت الشمس بالغروب. قالت كوريسي: يجب الآن أن نجد منزلا يأوينا أوعلى الأقل أحدا يؤجرنا مكانا لنبيت فيه هذه الليلة، فمن المستحيل أن ننام في العراء في هذا الجوالبارد.

- يا حسرتي، لم أكن أعلم أن زوجتي ضعيفة هكذا و تخشى من البرد، ما أتعسك يا مالفي؟. فردت كوريسي: أنا لم أقل هذا لأني خفت على نفسي من البرد بل لأنك مرضك الجلدي سيتفاقم في جومثل هذا، ثم أردفت: لولم أقلق عليك، من كان ليقلق عليك؟

- يا لك من مخادعة يا كوريسي، ما هذا الكلام العذب الذي تنطقين به؟ لا أصدق أنك تفكرين فيّ قبل أن تفكري في نفسك.

- أصمت ولا تحرجني!.

- اعذريني ولكن هل تعلمين أن كلماتك قاتلة؟. قالت: أنظر إلى عينيّ الجميلتين، أليست عيونا قاتلة؟

قال مالفي بفتور: من حسن حظي إذن أن عيونك هي القاتلة، ولست أنت القاتلة، وإلا لكنت قتلتني منذ زمن طويل يا عزيزتي.

- لا تخف، أنا لا أفعل أي شيء أحمق، وتذكر أني أحبك، فكيف لي أن أضرك، وقال مالفي: القيام بواجباتك الزوجية تجاه الطرف الآخر لا يعني الحب يا كوريسي!.

- حسنا إذن، أنا أكرهك!.

لحظات قبل أن تلمح عيون مالفي بيتا صغيرا، وقال لكوريسي: تعالي سوف نطرق ذلك الباب عسى يفتح لنا صاحبه ونبيت الليلة فيه.

تقدم الاثنان نحوالباب بخطوات ثابتة، وطرق مالفي ثلاث مرات على الباب، وبقى ينتظر وما هي إلا لحظات قليلة حتى فتح صبي في عمر الخامسة عشر الباب، وما إن همّ مالفي بتكليمه حتى أوصد ذاك الصبي الباب في وجهه دون أن ينطق ولوبكلمة واحدة، فاستغرب مالفي من سلوكه، وقال:

عجبا، أية أخلاق لهذا الصبي؟ رفض الكلام معي حتى دون أن يسأل ماذا أريد.

- لا تنزعج، فنحن غريبان عن هذه القرية وهذا من حقه، وقد يكون شعر بالخوف عندما رآنا، دعني سأطرق أنا الباب وأحاول معه. طرقت كوريسي مجددا على الباب، لكن هذه المرة فتحت امرأة تبين في العقد الخامس من العمر، وقالت بلهجة غليظة: ماذا تريدان؟

قالت كوريسي: عذرا يا سيدتي، ولكننا نحتاج بعض المساعدة إن كنت لا تمانعين هذا طبعا. ثم تابعت كوريسي تقول في سرها: ما بها ترمقنا بهذه النظرات الغريبة؟

قالت العجوز: اعذراني، فليس لي ما أساعدكم به، وأغلقت الباب مباشرة في وجهيهما دون أن تسمع منهما كلمة واحدة هي الأخرى كذلك.

قالت كوريسي: ماذا علينا الآن أن نفعل؟، بالكاد وجدنا هذا البيت، وكل المنازل الأخرى بعيدة، وأنا لم أعد أقدر على المشي.

- لا تقلقي، سنجد حلا، يجب أن نصبر فقط.

تركا ذلك البيت ومشيا مسافة ليست بالطويلة، حتى التقيا بشيخ كأنه في الستين من العمر، قصير القامة نسبيا فمشيا نحوه وألقى مالفي السلام عليه، وقال بصوت مهذب: هل لي أن أسألك يا عم؟. فقال ذلك الشيخ بأدب: نعم، تفضل واسأل ما شئت يا بني.

قال مالفي: إني وزوجتي غريبان عن هذه القرية، والآن نبحث عن منزل يأوينا في هذه الليلة حتى ولويأجّر لنا أجر المبيت ولكننا لم نعرف طريق الوصول إلى المنازل الأخرى، فكما ترى المنطقة منطقة جبلية والظلام يكاد

يخيم على القرية فهل لك أن تدلنا إن لم تمانع عن كيفية الوصول إلى تلك المنازل؟

– لا مشكلة يا بني فمنزلي يقع بالقرب من تلك المنازل التي لم تعرفا طريق الوصول إليها، وإن شئتما تعاليا إلى منزلي، ويمكنكما المكوث عندي. قال مالفي: شكرا جزيلا لك، لقد صنعت لنا معروفا كبيرا، هذا فضل منك.

– العفو، فهذا من دواعي سروري، والمعروف هوإذا أحسنت ضيافتكم في منزلي المتواضع، أليس كذلك؟

– ابتسم مالفي وزوجته وشكرا له لطفه، وقال الشيخ: أرجوكما، انتظراني هنا قليلا وسوف آتي عن قريب، ونذهب سوية.

ذهب الشيخ باتجاه البيت الذي قصده مالفي وزوجته قبل لحظات قليلة، ليفتح له نفس الصبي، وهذا الأخير أغلق الباب بعد فترة قصيرة في وجه الشيخ، جرى كل هذا على مرأى من مالفي وزوجته، فاحتارا من تلك المعاملة، أما الشيخ فقد عاد بابتسامة بشوشة تعلومحياه.

اتجه الثلاثة صوب تلك المنازل التي كانت تقع في منطقة جبلية تحفها الأشجار ولا يمكن أن يعرف طريق الوصول إلا لمن كان يسكن هناك، خاصة وأن سواد الليل كان قد بدأ يغشي سماء تلك القرية.

قال الشيخ: عذرا على التأخير الذي سببته لكما قبل قليل، فرد عليه مالفي بأدب: أنت من يجب أن يعذرنا ولسنا نحن يا سيدي.

ابتسم ذلك الشيخ وقال: ألم تقصدا هذا المنزل أم أنكما لم تمرا عليه؟. وكان يقصد البيت الذي احتار كل من مالفي وكوريسي من طريقة تصرف ساكنيه؟

قال مالفي: لا، لقد مررنا عليه ولكن في المرة الأولى فتح صبي لي الباب، وأغلقها بعد فترة قصيرة دون أن يسأل ماذا نريد، وفي المرة الثانية، طرقت زوجتي الباب، ففتحت امرأة في العقد الخامس على ما أظن وعندما سألناها إن كانت تستطيع مساعدتنا قالت لا يوجد ما أساعدكم به، وأغلقت الباب مباشرة في وجهينا، ليقول الشيخ: أرجوأن لا تكونا قد ألقيتما اللوم عليهما جراء ما فعلاه.

قال مالفي والحيرة تملأ تعابير وجهه: هل أفهم من كلامك أنهما لم يخطئا في طريقة التعامل معنا يا عم؟

– طريقة المعاملة، كانت لتكون أفضل ولكن لا يمكن أن نقول أنها خاطئة، الصبي يا ابني كان أصما وأبكما، لذلك لم يرد عليكما، أما الأم فهي أرملة منذ حوالي عشرة سنين أوأكثر، وتعيش بكرم المحسنين، لذلك لم يكن بإمكانها تقديم المساعدة لكما.

– لكن لماذا لم تقل لنا على الأقل، فكما ترى يبين بأننا ميسورا الحال، فرد الشيخ: الفقراء لا يسألون الناس، ولم ترى أنكم ميسورا الحال لأنها لا تبصر يا بني.

تأسف كل من مالفي وزوجته على حال تلك المرأة وابنها، وقالت كوريسي: كم نحن قساة القلوب، أما مالفي فنظر للشيخ وقال: ولكن لماذا لم تسكن بالقرب منكم يا عم، وبذلك تخف معاناتها ولوقليلا من مصائب الحياة، فهذا كان ليخفف الكثير، أليس كذلك؟

– لقد حاولنا معها كثيرا، ولكنها كانت ترفض في كل مرة، وكل محاولاتنا لإقناعها كانت فاشلة للأسف، ولم ترد أن تبرح بيتها.

قالت كوريسي: إذن لا بد أن هناك شيئا ما يجعلها متمسكة بقرار عدم ترك ذلك البيت.

– هي لم تتكلم لأحد في هذا الموضوع يا ابنتي، وأنا شخصيا لا أعلم إن كان هنالك سبب أولا، لكن علينا أن نحترم رأي غيرنا إن لم يكن هذا الرأي فيه مضرة لنا، ولكن النصيحة تبقى قائمة إن كان الرأي خاطئا في نظرنا.

قال مالفي: لكن على الأقل كان يجب عليها أن تقنعكم وتخبركم بالسبب الذي يجعلها متمسكة بقرارها هذا، فهذا هوالأصح.

– إذن أنت لا تعرف معنى الأسرار يا بني.

قالت كوريسي: معه حق يا مالفي، ربما السبب الذي يجعل الكل يريد معرفته هوسر بالنسبة إليها وفي هذه الحالة لا يمكن لومها.

– قبل فترة قصيرة كان لسانك شبه معقود والآن تتكلمين عن الأسرار التي تجعلنا نعيش حياة الألم والمعاناة، ما هذا السخف؟

قال الشيخ: لترضى بأن لكل شخص فلسفته في هاته الحياة. فرد مالفي: أوافقك في قولك هذا لكن يجب أن تكون فلسفته مقنعة.

– معك حق يا بني.

ما هي إلا لحظات حتى استغرب مالفي وقال: يا للعجب، كيف وصلنا إلى هاته المنازل التي لم أكن أرى لها أي طريق واضح؟

رد ذلك الشيخ: لكل مشكل حل، إذا لم نصل للحل فذاك راجع إلى ضعف عقولنا وإذا وصلنا فاعلم أن الله وفقنا. مشوا قليلا بعد ذلك، كانت منازلا عادية تتخللها بعض الدروب، حتى واجههم أحد الأبواب وقال

ذلك الشيخ: ها هوذا منزلي، تقدما معي لنرتاح من هذا الجوالبارد.

الفصل التاسع: الإبرة الموروثة

" كل شخص يريد أن يفهم الفنّ. لماذا لا نحاول أن نفهم أغنية طائر؟ لماذا نحبّ الليل، الأزهار، كل شيء حولنا، دون محاولة فهمها؟ لكن في حالة الرسم، الأشخاص يظنون أن عليهم أن يفهموا "

بابلوبيكاسو

طرق الشيخ الباب لتفتح زوجته وهي تحمل قنديلا في يدها، كانت تقارب عمر الشيخ من خلال ملامحها، متوسطة القامة بيضاء البشرة، وما إن رأت مالفي وكوريسي حتى قالت: أرى أنه لدينا اليوم ضيوف يا سادوي.

إذن ابدئي بحسن ضيافتك وأفسحي لنا الطريق للدخول، أم ستبقين واقفة عند الباب؟. ردت زوجته: دائما على عادتك، ثم طلبت من الضيوف أن يتفضلوا بالدخول.

قال سادوي: إنها زوجتي آيريتي، ستعتني بكما، ونظر إلى مالفي وقال: هذا لكي لا تناديها بعمتي، فقد أزعجتني طول الطريق بقولك: عمي، عذرا يا عمي، سامحني يا عمي، أريد أن أسألك يا عمي، ألم تتعب من قولها مرارا وتكرارا.

قال مالفي: عذرا يا عمي، .... لكن وقبل أن يتم الكلام قال سادوي: محال أن يتعلم هذا الرجل، لا يزال يعيدها حتى بعد تنبيهه.

ابتسم الجميع بما فيهم آيريتي، وقال سادوي: حسنا، والآن اذهبي وابدئي بتحضير طعام العشاء لضيوفنا.

قالت كوريسي: أرى أنك لن تمانعي يا خالتي آيريتي إن ساعدتك في تحضير الطعام، أليس كذلك.

قال سادوي: جيد يا ابنتي كوريسي، أنت مبتدئة ولكن تتعلمين بسرعة، فقد تعلمت أن تقولي خالتي وأتبعت اسمها، ومبتدئة لأنك لم تتعلمي بعد أن الضيوف يرتاحوا فقط، تعاليا معي لنجلس في غرفة الاستقبال ريثما يصبح العشاء جاهزا، فلا أظن أنه سيستغرق وقتا طويلا.

ذهب كل من مالفي وكوريسي وسادوي وجلسوا في غرفة الاستقبال يتبادلون أطراف الحديث ولم تمضي أكثر من نصف ساعة حتى نادتهم آيريتي لتناول طعام العشاء، فقد كانت آيريتي قد بدأت بإعداده قبل وصول زوجها وضيفيه.

جلسوا في الغرفة المخصصة للأكل، وقالت آيريتي: أتمنى أن يعجبكم طبخي ولا تشعروا بالحرج إن كان سيئا، فسأعدّ لكم غيره بكل سرور.

ابتسمت كوريسي وقالت: لن تضطري إلى إعداد طعام آخر من ناحيتي، فأنا آكل ما أجده أمامي، أما مالفي ففي البيت يشترط، ولكن عندما يحل ضيفا يخجل. وهكذا وفي جو المنزل الدافئ، أتمّ الجميع عشاءهم.

بعدما أتموا العشاء، ذهبوا إلى إحدى الغرف الواسعة وقال سادوي: هذه الغرفة هي الغرفة المفضلة لدي، فكما ترون أنها واسعة جدا ولا يمكن سماع أي صوت إذا كنت داخلها، لأن سُمك جدرانها كبير نوعا ما، لذلك أسميها الغرفة الهادئة. كانت غرفة فسيحة مفروشة بالحصير والزرابي. جلس سادوي

متكئا على وسادة وبجانبه جلس مالفي وكوريسي. قال مالفي وهويتمعن في الغرفة: إنها غرفة يعجز اللسان عن وصفها، فطريقة بناءها استثنائية، لا تقل لي أنك أنت من صممتها يا عم سادوي، وكيف أتتك فكرة غرفة ثمانية الجدران، كأنها خلية نحل، الفرق أن خلايا النحل لها ستة وجوه؟

– ابني هوالذي قام بتصميمها، وكذلك هومن قام ببنائها، مع مساعدة جد قليلة مني. قال مالفي: ألديك ابن يا عمي سادوي؟

فجأة دخلت آيريتي وقال سادوي: وأخيرا ها قد أتت آيريتي بالقهوة، طال انتظارنا. قالت آيريتي وهي تحمل صينية فضية تحمل فيها فناجينا من القهوة: اعذروني على هذا التأخير.

قالت كوريسي: لا بأس. وعاد سادوي ليُجيب عن سؤال مالفي الأخير وقال: نعم لدي ابن وحيد، وقد مضى على زواجه قرابة الأربع سنين، أجل أربع سنين تقريبا.

– لكن لماذا لا يعيش معكما في هذا المنزل، بما أنكم عائلة صغيرة؟

– إنه يعيش معنا، ولكن مرضت زوجته الأسبوع الفائت، ولم تبرح الفراش فذهب إلى أحد الحكماء في إحدى القرى المجاورة علَّ هذا الأخير يصف لها علاجا يجعلها تتماثل للشفاء، وزوجتي آيريتي تعتني بكنتها هاته الأيام.

قال مالفي: لا تقل لي أنه قصد الحكيم المعروف جايري واير؟. فرد سادوي: نعم، بالضبط يا بني، ولكن هل تعرفه؟

نظر مالفي إلى كوريسي، وقال: حقا من حسن حظنا أننا التقينا بالعم سادوي. التفت مجددا إلى سادوي قائلا: لست أعرفه، لكن أتيت وزوجتي

من أجل أن يصف لي دواء، فإني أعاني من مرض جلدي ونحن بصدد الذهاب إليه.

- أفهم من كلامك أنك لا تعرف أين يسكن؟. قال مالفي: عرفنا أن القرية هي " دورياساك " أما حل الوصول إليه فهوأن نسأل الناس حتى نهتدي إلى موقع منزله.

قال سادوي: أرى أن تمكثا هنا ريثما يعود ابني، وبعدها هويدلكما على موقع منزله وهكذا تتجنبان عناء البحث عنه كثيرا، طبعا إن رضيتما باقتراحي فنحن سمعنا أنه في قرية غير دورياساك.

- شكرا، شكرا جزيلا لك، فبهذا تكون قد نزعت عنا حملا ثقيلا. قالت كوريسي: هل لنا أن نعلم متى سيرجع ابنكما؟

قال سادوي: قد غادر المنزل قبل أربعة أيام، ولا نعلم تحديدا متى سيعود، لكن لن يطيل الغياب، لذا ارتاحا ريثما يعود ابننا، وهومن سيوصلكما إلى الحكيم إن شاء الله.

قالت آيريتي: أظن أن الوقت تأخر وأنتما لم ترتاحا منذ الصباح، سأرتب لكم غرفة لتناما وتستريحان من التعب الذي قد أرقكما.

نهض سادوي وكان جالسا بقرب مالفي على حصير ثم قال: إذن أصبحكم على خير، ولا تترددا في طلب أي شيء إن احتجتما إليه، أتمنى لكم ليلة هنيئة وأحلاما سعيدة.

رتبت آيريتي إحدى الغرف لمالفي وكوريسي وأصبحتهم على خير ثم عادت هي الأخرى كي تنام. قالت كوريسي مخاطبة مالفي: كم هي جميلة هذه الغرفة يا مالفي، خصوصا حاملات الشموع هذه في أركانها، إنها حقا

رائعة، ما أكرمهم؟

– أجل فهم مضيافون حقا، قلما يجد الإنسان مثلهم في هذه الحياة، حقا أناس طيبون، من الرائع أن نمكث هنا ريثما يرجع ابنهما.

– لدي سؤال يجول في خاطري يا مالفي، وقالت: عندما قال الشيخ أنه يمكننا المكوث في منزله لم وافقت مباشرة ولم تضع في الحسبان احتمال أنه سيخدعنا؟

– أولا قال يمكنكما المبيت في منزلي إن شئتما، أي أنه لم يجبرنا، أما الشيء الثاني والذي جعلني أطمئن إلى أن نواياه صادقة، هوعندما طلب منا الانتظار قليلا وذهب إلى ذلك البيت الذي قصدناه في المرة الأولى.

– تقصد المنزل الذي يقطنه ذلك الصبي وتلك المرأة المسنة. فأجاب مالفي: وهل من منازل أخرى قصدناها قبله، كوني فطنة؟

– لكن لم أفهم كيف جعلك ذهابه إلى ذلك المنزل يشعرك بالطمأنينة وحسن نواياه، وكان في بالي أن أسألك لماذا ذهب لذلك البيت وعاد، وبعدها قلت في نفسي: لا بد أنه ذهب لكي يبين لنا أنهم لا يستقبلون أي أحد، وليس فقط الغرباء مثلنا.

– لا يا كوريسي، ما ظننته كان خاطئا، فقد ذهب وأعطى كيسا من المال لذلك الطفل، ولم يرد أن نعرف ما فعل.

– لكن كيف عرفت أنه أعطى كيسا من المال لذلك الصبي يا مالفي، فأنا لم ألحظ أنه أدخل أيا من يديه في جيب لباسه عندما فتح ذلك الصبي الباب له؟

– ما إن تمشى قليلا نحوذلك البيت حتى سمعت صوت القطع في جيبه،

وما إن ذهب لذلك البيت وعاد حتى صرت لا أسمع صوت القطع فعرفت أنه تصدق بها، وعن إدخال يده في جيبه، لا بد أننا لم نلحظ ذلك.

- أتساءل في نفسي الآن لماذا لم يجعلنا نعرف أنه سيتصدق لذلك البيت وبذلك يجعلنا نشعر بسكينة واطمئنان أكثر يا مالفي؟

- لا بد أنه فعل ذلك ليرى إن كنا ممن يحسنون الظن أم لا.

فجأة طرق الشيخ سادوي في الغرفة التي رتبت لكل من مالفي وكوريسي، ففتح مالفي الباب، ليقول له سادوي أن النار متقدة في الخارج، هذا إن أرادا الجلوس أمام دفء النار، فشكره مالفي، وعاد الشيخ لكي يخلد إلى النوم.

نام الجميع، أما مالفي فلم يستطع النوم وقال في نفسه: من الجيد أن النار متقدة في الخارج، لذلك سأخرج وأبقى قربها ريثما أشعر بالنعاس يداعب جفوني.

خرج مالفي إلى ساحة المنزل، وجلس بقرب النار المتقدة، وبعد حوالي ساعة ونصف خرجت كوريسي وكأنها لم تستطع النوم وقالت: ماذا يا مالفي ألم تنم بعد؟، لا تقل لي أنك فضلت الجلوس أمام هذه النار والاستمتاع بدفئها بدل البقاء في الداخل والنوم؟

- لا شيء من هذا يا كوريسي بل لم أشعر بالنعاس، ولم تكن تكن لي رغبة في النوم، ففضلت البقاء هنا والجلوس هنا أتدفئ.

جلست كوريسي بجنب مالفي، وقالت: حتى أنا لم أستطع النوم، فرأيت أن أخرج وأتنفس بعض الهوء، قبل أن أجدك هنا، وحمل مالفي غصنا صغيرا كان ملقى أمامه، وقام بتحريك الجمر قليلا، وقال ما أجمل هذا الدفء الذي يبعثه الجمر، فجأة أصابت شظية جمر راحة يد كوريسي، أما كوريسي فقد

شعرت باحتراق طفيف قبل أن يمسك مالفي إناء فيه ماء ويرش يدها بقطرات، وقال بنبرة صوت فيها الكثير من القلق: أأنت بخير؟

فابتسمت وقالت: اطمئن، اطمئن يا مالفي، لا تكن قلقا هكذا فإنها مجرد جمرة صغيرة، وقال: من الجيد أنها لم تصب عينك يا عزيزتي وقال: للأسف لا نستطيع الاحتراس من الجمر، لكن سنبتعد عنه قليلا عسى لا تصيبنا أي شظية أخرى، ابتعدا قليلا وتسامرا قليلا قبل أن يسمعوا سعالا حادا يأتي من الداخل، فأسرعا بالدخول، واتجهوا نحوالغرفة التي يصدر منه السعال الحاد، ليتفاجأوا بسادوي هناك، وكذلك آيريتي، وامرأة طريحة الفراش، وكانت هاته الأخيرة زوجة ابنهما المريضة.

كان السعال حادا جدا، وكانت الحمى شديدة عليها، فيم كانت آيريتي تحاول إعطائها بعض الأشربة لتخفيف السعال الحاد.

كانت آيريتي تحاول إيقاف السعال، واقتربت كوريسي ووضعت يدها على جبهة كنة آيريتي، لتندهش من شدة الحرارة، فقد كانت الحمى شديدة عليها، لتشير كوريسي إلى مالفي بإحضار قطعة قماشية والقليل من الماء البارد.

أسرع مالفي لإحضار بعض من الماء البارد وقطعة قماشية ثم أخذهما إلى كوريسي مباشرة، التي وضعت قطعة القماش المبللة بالمياه مباشرة فوق جبهة المريضة علّ الحمى تخف.

لم يدري سادوي ماذا يفعل غير الدعاء لزوجة ابنه، وكان مالفي بجانبه يطمئنه، أما آيريتي وكوريسي، فكانتا جالستين قرب المريضة، آيريتي تمسك يدا وتمسح عليها، وكوريسي تمسك اليد الأخرى وتمسح عليها لتخف الآلام ولو قليلا.

توقف السعال تماما، ولمست كوريسي رأسها لتجد أن الحمى انخفضت، وبقيت الاثنتان قرب المريضة طوال الليل، أما سادوي ومالفي فقد اتجها إلى الغرفة الهادئة تلك وجلسا بعد أن غادر النعاس سادوي، أما مالفي الذي لم يشعر بالنعاس، فقد نسي أمر النوم.

بعد أن نامت الكنة، نامت آيريتي وكوريسي بقربها، أما سادوي ومالفي فقد غلبهما النعاس وناما وهما متكئان على الحائط.

في الصباح استيقظ كل من مالفي وكوريسي، وكذلك سادوي وزوجته، أما الغريب فكان أن زوجة الابن كانت قد استيقظت قبلهم جميعا، وقد بدأت بإعداد فطور الصباح كأنها لم تكن مريضة ليلة الأمس، كانت امرأة رقيقة في عمر كوريسي بيضاء البشرة، وشعر أسود طويل مضفور، ولم تكن بالطويلة ولا بالقصيرة، جميلة المنظر واسمها آيلايتي، وإن تطلعت إلى محياها، سترى أنها ذات عينين خضراوتين واسعتين.

رحبت بالضيوف، وطلبت منهم الجلوس لتناول فطور الصباح، فلم تكن رحبت بهم لأنها كانت طريحة الفراش، وأقبلت نحوها كوريسي ونزعت فناجين القهوة والحليب من يديها وقالت: أنت بالكاد تعافيت، لذا يجب أن تستريحي، دعيني أقم بهذا بدلا عنك.

- لا داعي لهذا فأنا بحال جيدة الآن وشكرا لك، أنت ضيفة عندنا، لذلك وجب أن نخدمك.

قالت كوريسي: حسنا سنقوم بهذا معا، متأكدة أن هذا سيسعدك. فابتسمت آيلايتي وقالت: شكرا إذن على لطفك. وهكذا تناول الجميع فطور الصباح وأجواء الفرحة تغمر قلوبهم خاصة بعد شفاء آيلايتي.

ما إن انتهوا من الفطور حتى حكى سادوي لآيلايتي قصة لقاءه بمالفي وكوريسي لتقول لمالفي: أتمنى لك الشفاء العاجل يا مالفي.

رد مالفي: شكرا لك، أما الشيخ سادوي فقال: أما أنا فأتمنى أن يشفى كما شفيت أنت يا ابنتي، وصدقيني لا أحد منا فهم كيف أن سعالك الحاد ليلة البارحة توقف، وكيف أن الحمى انخفضت.

قالت آيريتي: سيسعد رايكن كثيرا بهذا، والشيء الجميل كذلك هوأنه لم يذهب لتلك القرية عبثا فما إن يعد حتى يكون قد عرف مكان الحكيم في قرية دورياساك، وبذلك لن تضطرا للذهاب وحدكما دون دليل يكون معكما، على أمل الشفاء العاجل يا مالفي.

كانت آيلايتي قد شفيت تماما، أما الشيء الملاحظ فهوكثرة ضحكها، فكثيرا ما كانت كوريسي تطبخ معها وتسمع ضحكتها، وكثيرا ما كان مالفي يتبادل أطراف الحديث مع سادوي ليسمع ضحكتها، ليس المشكل في أنها تضحك، بل تضحك كثيرا، وبعد مرور يومين سأل مالفي الشيخ سادوي قائلا: قد تقول أني شخص فضولي، ولكن ألا ترى أن آيلايتي تضحك كثيرا، وكأنها تضحك بزيادة.

وفجأة اقتربت آيريتي منهما، وقالت: من الرائع أن تجلسا هنا وتستمتعان بدفء أشعة الشمس البراقة، ليقول سادوي: اجلسي، اجلسي يا آيريتي وأخبري مالفي عن السبب الذي يضحك آيلايتي، والذي من المفترض أن يجعلها تبكي.

قالت آيريتي: تلك الفتاة، كنت أحتار عندما أجدها تضحك بإفراط والآن أجد أن الضحك ربما يكون دوائها لتشفى من مأساتها، وقالت: بعد أن ذهبنا لخطبتها بأيام قليلة توفيت أمها، فتأجل الزواج قليلا، وفي اليوم

الذي كان من المقرر فيه إقامة الزواج ذبح أبوها أمام عينيها، كانت الفتاة الوحيدة لوالديها، وأقيم العرس بعد أيام من فاجعتها الثانية، وبقي منزلها مهجورا إلى هذا اليوم، وربما الذكرى الوحيدة التي تملكها من ذلك المنزل هي إبرة.

قال مالفي: إبرة، إبرة يا خالتي، أليس هذا غريبا؟. فقال سادوي: أين الغريب أن تكون معها إبرة، وقد أخبرتنا أن أبوها قد أهداها لها قبل أن يذبح بأيام قليلة، وتابع كلامه: هذا ليس غريبا، الغريب هوأن أحدهم وجد جملة مكتوبة على باب منزلهم بعد يوم واحد من ذبح أبوها، وتلك الجملة هي... وقبل أن ينطق سادوي بكلمة أخرى قالت آيريتي: غيرا الحديث، فإنها آتية، ولكن هذا لم يمنع سادوي من قول تلك الجملة، وقال لمالفي بصوت منخفض: تلك الجملة: " أبوك يا فتاة ذبح، لكن قرار ذبحه لم يكن ظلما بحقه ".

اقتربت آيلايتي وقالت: الغداء جاهز، أين تريدون تناوله هنا، أم في الداخل؟

قال سادوي: أحضرا الغداء إلى هنا، فقد مللت من تناول الطعام فوق الحصائر، فطور الصباح فوق الحصائر، الغداء والعشاء فوق الحصائر، جيد أننا ننام فوق أفرشة، وليس حصائر، وسرعان ما بدأت آيلايتي بالضحك وقالت: من يدري ربما شفيتُ بالحصائر؟. أما مالفي فقال في نفسه: غريب، غريب جدا، رغم كل ذلك إلا أنها تضحك بهذا القدر، حقا عجيب.

مضت بضعة أيام وعاد رايكن ابن سادوي إلى المنزل. كان شابا قويا، أبيض البشرة، بهي الطلعة، متوسط الطول، وذوشعر أسود.

رحب الجميع بعودته سالما ولعل أكثر شيء أفرحه هورؤية زوجته قد

شفيت تماما وقال: أنت آيلايتي أم أنا أحلم؟ ألم تكوني طريحة الفراش في الأيام الأخيرة؟

قال سادوي: إنها هي ولست تحلم يا بني، لقد شفيت والحمد لله.

– لكن كيف حدث هذا يا أبي؟ كانت طريحة الفراش، لم تكن تستطيع التحرك، وكان المرض يشتد عليها في كل يوم وكل لحظة.

– بصراحة، حتى أنا لا أعلم كيف حدث هذا، وجل ما يمكنني قوله هوأنها شفيت في اليوم الذي استقبلنا فيه هذان الضيفان الرائعان وأشار سادوي إلى كل من مالفي وكوريسي، وقال رايكن: اعذراني، اعذراني رجاء لأني لم أنتبه لكما، فقد كان تفكيري على آيلايتي، ورحب بهما مجددا وقال: أهلا وسهلا بكما، وأتمنى أنكما لم تنزعجا من عدم انتباهي فقد كنت قلقا بشأنها كثيرا.

قال سادوي: هيا إذن لندخل ونتم الحديث في الداخل.

– اعذرني يا أبي، تمنى أن نتم الحديث بعد أن أرتاح وأنام فلم أنم في اليومين الماضيين ولوساعة واحدة، واعذروني لأنه لا رغبة لي بالأكل أبدا، أريد فقط أن أنام. قال سادوي: لك ذلك فلن نجبرك.

توجه رايكن مباشرة لكي ينام، أما سادوي فقد أخذ الحصان إلى الإسطبل ثم عاد إلى مالفي ليبادله أطراف الحديث، فيم كانت النسوة تحضرن الغداء الذي كان شبه مكتمل. تناول الجميع غداءهم ما عدا ابن سادوي ثم أخذوا قيلولة وانقضى اليوم بشكل عادي.

لم ينهض رايكن من نومه إلا في وقت متأخر من النهار، ولم تتح لهم فرصة الحديث عن الرحلة إلا بعد تناولهم طعام العشاء.

اجتمع الجميع في الغرفة الهادئة التي تتكون من ثمانية جدران وسئل سادوي ابنه عن رحلته، وكذلك عن الحكيم الذي كان قصده من أجل أن يصف له علاجا لكي تشفى زوجته الذي كانت شفيت قبل أيام قليلة من عودته.

قال رايكن: كانت رحلة عادية يا أبي، لم يكن فيها أي شيء مميز، غير أنها كانت شاقة جدا، فالطريق إلى تلك القرية كانت طويلة جدا، وقد اضطررت للمبيت في العراء قبل أن أصل، والأمر الجيد هوأن الزاد الذي أخذته معي كان كافيا حتى عودتي، والأمر الذي لم أتوقعه هوأن الحكيم جايري واير لم أجده في القرية التي أَخْبرنا عنها، فقد أخبرني سكانها أنه رحل إلى قرية أخرى تدعى دورياساك، لذلكَ قصدت هذه الأخيرة. التفت سادوي إلى مالفي وقال: جيد، كانت لديك أخبار دقيقة إذن؟

ابتسم مالفي ثم قال سادوي مخاطبا ابنه مجددا: حسنا، من الرائع إذن أنك وصلت إليه، أعلم أنك تفعل المستحيل لأجل آيلايتي، والآن أخبرنا عن ذلك الحكيم الذي يدعى جايري.

– لقد كان شيخا طاعنا في السن، ذوشعر طويل شاب كليا، تبين على ملامحه علامات الحكمة ولم أصدق العدد الهائل من الناس الذين يتهافتون للعلاج عنده وصدقني يا أبي، كلماته الجميلة تجعلك تشعر بالراحة، حتى أن أحد الأشخاص الذين قابلتهم هناك وسألته إن كان يعامل المرضى الذين يأتون إليه هكذا دوما، فقال لي نعم، وقال أنه عالج عنده مرة وجعلته كلماته الرائعة يشعر كأنه شفي من مرضه، حتى إنك ستنسى أنك مريض أصلا.

– هل وصف لك الدواء لآيلايتي؟. أجاب رايكن: نعم بكل تأكيد، ولكن ما حاجتنا إليه الآن؟، فآيلايتي تضحك كثيرا وشفيت أخيرا.

- هل تعلم يا بني أنك مضطر للذهاب إلى تلك القرية مجددا؟

استغرب رايكن من كلام أبيه، وقال: لا شك أنك تمزح يا أبي، وإن كنت لا تمزح، فأخبرني لماذا، هل هناك من خطب ما؟

- إن ضيفنا مالفي مريض، وقد أتى من قرية مجاورة ليعالج عند نفس الحكيم، وقد ارتأينا أن تدله على مكان الحكيم وبذلك تجنبه عناء البحث عنه، وتجنب زوجته كوريسي كذلك عناء الذهاب والعودة.

- حسنا، لا مانع وهذا من دواعي سروري، ثم نظر إلى مالفي وقال: أظن أنها ستكون رفقة جيدة يا مالفي، ولكن لن تكون الرحلة سهلة أبدا.

قال مالفي: شكرا لك يا رايكن، أتمنى أن تسامحني على التعب الذي سأسببه لك، فأنت لم تصل إلا اليوم، وستعود دون أن تكون لك فائدة، فاعذرني حقا. أما رايكن فقال له: إن لم نساند بعضنا البعض يا أخي فكيف كانت لتكون الحياة؟

قال سادوي: اتفقنا إذن، بعد أيام قليلة إن شاء الله سوف تذهبان، وقال مالفي: شكرا لكم جزيلا فهذا لطف كبير منكم وبصراحة إن الشكر هوأقل ما قد يقال لكم.

استيقظ الجميع قبل شروق الشمس، كانت كوريسي تعد في فطور الصباح، أما آيريتي وكنّتها فقد كانتا تحضران في الزاد الذي سيأخذه الاثنان في هذه الرحلة، أما سادوي وابنه ومالفي، فذهبوا للإسطبل لاختيار حصان لمالفي، فرايكن كان له حصانه الأبيض المفضل، وبينما هم يحاولون اختيار حصان جيد حتى لفت انتباه مالفي أحد الأحصنة، كان يبدوحصانا قوي البنية جدا، على خلاف الأحصنة الأخرى التي كانت عادية مثل معظم

الأحصنة المعروفة، رمادي يخالطه بعض السواد، كان في إحدى زوايا الإسطبل أقرب ما يكون منعزلا عن الأحصنة الأخرى، وما إن وقع نظر مالفي عليه حتى قال: ما رأيكما بذلك الحصان؟، إني أراه قويا أليس كذلك، دعونا نأخذه.

نظر سادوي إلى ابنه وتبسم ثم قال لمالفي: إنه من سلالة مختلفة عن هاته الأحصنة ولا بأس إن أردت أن يكون رفيقك في رحلتكما بشرط واحد، وهوأن تستطيع امتطاءه، ليقول رايكن: أنت تعلم يا أبي أن ذلك الحصان جامح جدا، ولم يسبق لأحد أن امتطاه، لذلك دعك منه يا مالفي وانظر حصانا آخرا لك، فشبه مستحيل امتطاءه، وردّ مالفي: لا تعلم يا رايكن أنه لم يسبق لي أن عجزت أبدا عن امتطاء أي حصان من قبل، وامتطاء هذا الحصان لن يشكل تحديا رغم جموحه.

وافق الاثنان، وقال رايكن: حسنا، هيا لنخرج الحصانين ولكن لا تقل أني لم أحذرك يا مالفي.

بعد أن قاموا بإخراج الحصانين من الإسطبل، قاموا بربطهما قرب إحدى الأشجار القريبة من بوابة المنزل حتى يكون خروجهم سهلا وذهبوا لتناول فطور الصباح، بعد الانتهاء حملوا زاد الرحلة واتجهوا نحوالبوابة.

كان حصان رايكن لا يزال مربوطا، أما الحصان الآخر الذي اختاره مالفي فكان سادوي قد غير مكانه وربطه في ناحية من المنزل معشوشبة. قال لمالفي: جرب أن تمتطيه هنا فحتى إن سقطت ستسقط على العشب ولن تتأذى كثيرا، هذا أفضل من السقوط على الأرض الصلبة مباشرة، أوالاصطدام بالبوابة إن حصل ولم تستطع امتطاءه رغم ثقتك بترويضه.

اقترب مالفي نحوالحصان، ومسك لجامه وقام وركب الحصان بكل

سهولة، نظر إلى رايكن وقال: هل هذا صعب؟... وقبل أن يكمل ما كان بصدد قوله، حتى ثارت ثائرة الحصان، وصهل بصوت مخيف وأسقط مالفي الذي من حسن حظه أنه لم يتأذى وقال رايكن ضاحكا: تستطيع امتطاءه، أليس كذلك؟

كان قلب مالفي يخفق بشدة، فلم يتخيل أن ذلك الحصان جامح إلى تلك الدرجة وقال: أي حصان هذا؟

ردّ سادوي: هل اقتنعت إذن يا بني أن امتطاءه مستحيل، كنت رأيت بنفسك، سآخذه وأحضر لك حصانا غيره، إلا أن مالفي لم يكن ليستسلم بسهولة، خاصة بعد أول مرة يقع فيها عن ظهر ذلك الحصان، وقال: لا انتظر قليلا، سأجرب امتطاءه ثانية.

اقترب مالفي مجددا من الحصان ومسح على عنقه وقال: ما بك يا صديقي الغاضب؟ ابتسم. أمسك اللجام وقام بامتطائه مجددا وأحكم قبضتيه جيدا على اللجام، وما هي إلا لحظات حتى ثارت ثائرة الحصان مجددا، وبقى مالفي متمسكا بكل قوته ويقول: سنرى الآن أنت أم أنا؟

كان منظر الحصان وهوثائر مخيفا جدا، حتى قال الجميع لمالفي أن يتركه مخافة أن يتأذى إذا ما أسقطه، ولكن مالفي كان مصرا على امتطائه، رغم أنه في كل لحظة تظن أنه سيسقط ولكن شيئا فشيئا بدأ الحصان يهدأ، حتى هدأ تماما وقال رايكن: هل هوهادئ فعلا، أم أنا أتوهم؟

قالت كوريسي: هذا أنت يا مالفي، لا تبين عليك علامات الفارس، فقال مالفي: صحيح، لكن ها قد رأيت بعينيك أن زوجك فارس.

ابتسم الجميع وقال رايكن: إذا أنت مستعد كي نباشر الرحلة، وقال

لأهله: وداعا إذن، واعتنوا بأنفسكم جيدا.

قالت آيريتي: مع السلامة يا أبنائي، على أمل عودتكم سالمين.

الفصل العاشر: البيت المشيّد في الغابة

" الخطر الأكبر لغالبيتنا ليس أن هدفنا رفيع المرتبة ونحن أهملناه، ولكنه جدّ متدني ونحن حققناه "

ميكيلانجلوبوناروتي

انطلق الشابان، حاملين معهم الزاد وكل ما يلزمهم، وأثناء المسير كانوا يتبادلون أطراف الحديث وبعد حوالي ساعتين من المشي بدأ يلوح جبل شديد الارتفاع، ممتد على مرمى البصر كأنه حصن منيع تكسوه الأشجار الكثيفة ويبعث في نفس الناظر إليه الشعور بالرهبة والشعور بهيبته، وقال مالفي: من يرى هذا الجبل يخال أنه لا توجد أي طريق لإكمال المسير، ولوكنت وحدي لصدقتك القول أني سأعود أدراجي على الفور، أما رايكن فقال: لكن لماذا لا تحاول تسلقه؟

– كيف يمكن لأحد تسلقه؟ ألا ترى ارتفاعه الشديد وامتداده من اليمين واليسار، وكيف العبور بين تلك الأشجار؟، هذا مستحيل.

– ليكن في علمك أنه لا يوجد أي طريق دون التوغل في هذا الجبل، فلا سبيل للوصول إلى الحكيم جايري قبل أن نعبر هذا الجبل إلى الجهة الأخرى، فقال مالفي: لا شك أنك تمازحني بكلامك؟. ليردّ رايكن: أتمنى لوكانت مزحة، ولكنها ليست مزحة يا صديقي.

– إذن أين نبيت؟، فمن غير المعقول أن نبيت وسط تلك الأشجار الكثيفة التي تنذر بالخطر الذي بات يحدق بنا منذ هذه اللحظة؟

– للأسف، سنضطر للمبيت فيه هاته الليلة، الشيء الذي ربما يريحك قليلا هوأنه توجد دروب ما إن نصعده قليلا، لنبقى نتبعها ثم نواصل المسير حتى نصل إلى وجهتنا.

– هل تعلم يا رايكن أنني أتساءل الآن في نفسي كيف كنت سأصل أنا وكوريسي لولم نلتقي أباك أولا وبعد ذلك أنت الذي ترافقني دون أن تكون لك أية فائدة؟، شكرا، شكرا لك يا رايكن واعذرني على هذا التعب الذي أسببه لك.

– لا بأس يا مالفي، لولم تلتقيا أبي، كان من الممكن أن تلتقيا شخصا آخر، والشيء الذي أنبهك إليه هوأن لا يكون مخادعا ولولم نلتقي كان أبي سيوصلكما دون أي شك، وأخيرا تقديم يد المساعدة لمن يحتاجها واجبة، بالطبع إن كان باستطاعتنا تقديمها وكذلك المعاملات بين الناس لا يجب أن تكون كلها صفقات، فقال مالفي: حبذا لوكان كل الناس هكذا، كانت ستكون حياة البشر حياة مثالية حقا. ولما وصلا إلى الجبل، نزل كل واحد منهما من فوق الحصان تاركا زاده فوق ظهر الحصان ومشى الاثنان ببطء فوق التربة القاسية لذلك الجبل لوقت طويل، وكل منهما ماسك بلجام حصانه ويجره ورائه، حتى وصلوا إلى أرض مستوية في ذلك الجبل وكان لا يزال الوقت طويلا نسبيا على غروب الشمس، ليقول رايكن: يجب أن نتوقف يا مالفي ونكمل المسير في صباح الغد إن شاء الله.

– أجل، فقد تعبنا كثيرا، خاصة أن المشي فوق تربة قاسية كهذه صعب جدا، وحتى الحصانان المسكينان قد يكونا تعِبا تعَبا شديدا.

– لم نتوقف من شدة التعب والإرهاق يا مالفي، لكن لأننا لن نجد أرضا مستوية كهذه إلا بعد أن نطيل المسير، وفي ذلك الوقت يكون الظلام قد

خيّم، لذا اخترت التوقف الآن في هذا المكان الذي يتوجب علينا المبيت فيه.

– لكن أنسيت أننا في غابة جبلية؟ ماذا لوهاجمتنا بعض الوحوش أوالذئاب فالليل فُسحتها، أتريد أن نصبح طعاما لها يا رايكن؟

– لا تقلق بشأن الوحوش، فقبل أن تغرب الشمس سنوقد النار لنطهوقليلا ولإخافتها فلا تقترب، هل أسعدك هذا؟. كذلك دخان النار سيمنع عنا الحشرات. قال مالفي: أجل أسعدني ولكن سأترك لك أمر الطهوفأنا لا أجيد طهوأي شيء.

– لا بأس ليست مشكلة كبيرة، وسأطهولك بنفسي طعاما شهيا واعتبره مكافأة مني بما أنك استطعت امتطاء الحصان والآن دعنا نربط الحصانين ونبدأ بجمع الأغصان لإيقاد النار.

بدأ الاثنان يجمعان في الأغصان المترامية أمام أعينهم في كل ناحية ينظرون إليها وكانت الأشجار تبدوذابلة للناظر إليها وكأنها لم تنعم بقطرة ماء واحدة منذ مدة، وأغصانها ما تبين لها أية نضارة أما الأوراق القليلة الخضرة فكانت تحارب وتصارع في كل لحظة قساوة ذلك المناخ لتحافظ على خضرتها لأطول وقت، لأنها في الأخير تستسلم لهاته الظروف الصعبة فتصبح يابسة ضعيفة وتموت قرب عين الشجرة التي كانت متعلقة بها، ولكن ما تلبث لأن تلعب بها أيادي النسيم وتأخذها إلى مكان آخر، دون أن تدري، أما التربة فكانت شبه خالية من الأعشاب، لا تستأنس إلا بالحصى الملقاة أمامها.

بينما كان الاثنان منهمكان في جمع الأغصان، حتى رأى مالفي منزلا خشبيا فاقترب منه وأخذ يتفحصه بعيونه، ثم تسلق إحدى الأشجار ليجد أنه ذوسقف مائل مغطى بجلد غزلان جبلية.

فرح مالفي كثيرا ونزل من الشجرة وعاد مسرعا إلى رايكن الذي لم يكن يبعد عنه سوى خطوات قليلة، عاد وترك كل الأغصان قرب البيت الخشبي الذي رآه. لما وصل وجد رايكن يحضر لإيقاد النار، فقال مالفي: ألا تزال هنا يا رايكن؟

– رفع رايكن بصره، نظر إلى مالفي ثمّ قال: أين الأغصان يا مالفي؟ ألم أقل لك أننا نحتاج إلى الكثير من الأغصان لإبقاء النار متقدة طوال الليل، إلا إن كنت لا تمانع أن نصبح طعاما للوحوش؟

– لن تتوقع ماذا وجدت بينما كنت أجمع في الأغصان، لقد وجدت أين ننام هاته الليلة ولن نضطر لإبقاء النار مشتعلة طوال الليل.

– هذا ليس وقت المزاح يا مالفي، أرجوك اترك هذا المزاح فيما بعد ودعنا نعجل بإيقاد النار.

– هذا ليس مزاحا، هيا اترك الأغصان من يدك وانسى أمر النار الآن واتبعني لترى بعينك، فربما غيرنا موقع إيقادها. قال رايكن: حسنا، ها أنا ذا قادم معك، وترك حجر الصوان الذي كان على وشك أن يوقد به شرارة النار وتبع خطى مالفي.

لم تمضي سوى لحظات قليلة حتى وصل الشابان إلى ذلك البيت الخشبي، وقال مالفي: قل لي، ألسنا سعداء الحظ يا رايكن؟ وتابع مالفي يقول: حتى أن مُشيِّده أقام له الدعائم والعوارض وغطى السقف بجلود غزلان جبلية، ورجّحت أنه اصطاد الكثير منها.

بدأ رايكن يفرك لحيته الخفيفة وهوينظر إلى ذلك البيت مستغربا، وكأنه في حيرة من أمره. قال مالفي: ما بك يا رايكن؟ هل الفرحة جعلتك تصاب

بالدهشة إلى درجة أن لسانك قد انعقد؟ تكلم ولا تبقى صامتا خاصة أننا وجدنا أين ننام هاته الليلة.

– مالفي، أنا متأكد، متأكد أن هذا البيت الخشبي لم يكن هنا في المرة السابقة عندما ذهبت لإحضار الدواء لآيلايتي من عند الحكيم جايري واير.

– لم يكن البيت هنا؟ لا بد أنك لم تنتبه، دعك من هذا، لم تنتبه فقط، هذا كل ما في الأمر إضافة إلى أنك لم توقد النار هنا، أي أنك لم تقترب من هذا المكان.

خطا رايكن خطوات مسرعة، وقال: اتبعني يا مالفي. فجأة وصلا إلى صخرة كانت جد قريبة من ذلك البيت، وقال:أترى هذه الصخرة يا مالفي؟. أجاب مالفي: نعم أراها، هل قيل لك أني أعمى أوأنني ضعيف النظر حتى لا أرى صخرة؟

– في المرة السابقة، لقد نمت متكئا على هذه الصخرة التي تراها بعينيك، وتركت الحصان أمامي مربوطا، وتركت النار مشتعلة بالقرب مني، وهذا البيت لم يكن موجودا، ولن يجادلني أي شخص في هذا.

– حسنا، لكن أنت لم تأتي إلى هنا منذ عدّة أيام، أي في تلك الأيام الماضية أتى أناس آخرون فشيدوه لكي يأويهم ورحلوا بعدها، هذا هوالتفسير المنطقي، وأكمل: لا بد أنهم كانوا شديدي الخوف من الحيوانات المفترسة لذلك شيدوه؟

قال رايكن: سنمضي الليلة هنا، تعال معي لنحضر الأحصنة والزاد والأغصان التي جمعناها ولنتمنى الأفضل، هذا كل شيء حتى الآن.

أحضر الاثنان الأحصنة والزاد، وقاما بربط الحصانين في إحدى الأشجار

بالقرب من ذلك البيت وأوقد رايكن النار وأخرج ما يلزم للطهو، وطلب من مالفي أن يضع الزاد الباقي بداخل البيت، وبدأ بشواء شرائح اللحم التي كانت رائحته تداعب الأنوف وقال لمالفي: أعطني الملح من فضلك فقد نسيت أن أخرجه، فقال مالفي: نسيت الملح يا رايكن، بدأ تساورني الشكوك إن كنت قد طهوت من قبل ولو مرة في حياتك.

ابتسم رايكن قائلا: حتى أنا شككت في نفسي، دعني أتذكر، ورفع رأسه قليلا ثم قال: آه، لقد تذكرت، طهوت من قبل ولكن ليس كثيرا.

تفقد مالفي حقائب الزاد وقال مستعجبا، شموع! قبل أن يخرج الملح، وقال لرايكن: تفضل الملح، أما أنا فسأدخل لأرى البيت، وأهيئه لكي ننام.

عكف رايكن على طهوالطعام في حين دخل مالفي البيت وهويحمل غصنا صغيرا في يده، كان البيت شديد الاتساع وترتاح بمجرد أن ترى اتساعه ذاك، أما الغريب فهوأن البيت كان مفروشا بالحصير. بدأ مالفي يتفقد في الجوانب الخشبية وبقي يمشي في الداخل ويتفقد لإرضاء فضوله، لا غير، لحظات واتجه نحوالباب مناديا رايكن قائلا: تعال يا صديقي لكي ترى شيئا يسرُّك.

- ألا ترى أنني أشوي في اللحم، أتريد مني أن آتي وأتركه يحترق؟ تعال وانعم معي بدفء هذه النار واترك طلبك. ردّ مالفي قائلا: أنا قادم، وضع مالفي الغصن الذي كان بيده مع الأغصان الأخرى لتستمتع به ألسنة النار وجلس بالقرب من رايكن وقال: ما أجمل هذا الدفء في هذه الأجواء الباردة؟

قال رايكن: أخبرني عن الشيء الذي أردت مني أن أراه قبل قليل؟. أجاب مالفي: أردت فقط أن ترى كيف أن البيت مفروش بالكامل.

كان الظلام قد كسى الأرجاء، وبقيت النار كأنها نقطة حمراء فوق لوحة مطلية بلون أسود قاتم، وبدأ عواء الذئاب يتعالى ليرسم مشهد كاملا من الرعب الذي ينزع الشعور بالأمان، وتبدأ النفس تترقب في أن تسلم من غضب الطبيعة المخيفة، لا تريد شيئا آخر سواه، وطلب رايكن من مالفي أن يخرج السيوف، فاستغرب مالفي وقال: سيوف، أنت تمزح؟

– لست أمزح، أخرجهم من حقائب الزاد، فمن يدري قد نحتاج إليهم في هذه الليلة، وأرجوأن تكون قد تعلمت المبارزة في صغرك.

أخرج مالفي السيفين، واختار واحدا وقام بإخراج السيف من غمده، وقال في نفسه: يا له من سيف رائع؟ وبدأ بملامسة معدنه.

كان سيفا حادا للغاية، تشعر بشدة حدته ما إن تقرب إصبعك منه قليلا لتلمسه، فقد كان مصنوعا بدقة كبيرة، حتى كأن إبداع صانعه ينعكس فوقه. قال مالفي: أريد أن أعرف صانعه، لأني أريد سيفا مثله، فهلا دللتني على صانعه؟

– ماذا تفعل بسيف؟ دعك منه.

بدأ مالفي يلوح بالسيف ببراعة كبيرة، حتى قال رايكن: لم أكن أعلم أنك تجيد استعمال السيف بهذا القدر من البراعة؟. ردّ مالفي قائلا: لا تفرط في مدحي كثيرا وإن أصررت فلا بأس.

تبسم رايكن ابتسامة عريضة وقال: الآن اجلس ودعنا نتناول الطعام فإنه شهي جدا واترك براعتك هذه إن اقترب منا الخطر.

جلس الاثنان وبدئا بتناول شرائح اللحم المشوي، كان طعمها يوحي بأنها طبخت على أيدي طباخ ماهر، وبعد الانتهاء جلب مالفي الماء بعدما

أحس بالعطش الذي كان يحرق حنجرته، فشرب حتى ارتوى واستلقى على ظهره وهوينظر إلى السماء المرصعة بالنجوم ويقول: ألست تشعر بروعة اللحظات هذه يا رايكن؟. وأتبع قائلا: هذه هي لحظات الحياة الجميلة، حتى لقد أنستني دائي، أما رايكن فقال: لحظات جميلة، لكنها للأسف ستفلت منا عن قريب.

وبينما هما يتبادلان أطراف الحديث، حتى بدأت قطرات مطر خفيفة بالتساقط، وقال مالفي: هل يعقل أن هذا ينذر بأن الليلة هذه ستكون ليلة ماطرة ؟ فرد رايكن: هذا ما أظنه، لكن ليتها تبقى خفيفة فقط.

ازداد تساقط المطر فجأة، فهرع الاثنان لذلك المنزل وأدخلا الحصانين، أما النار فبقيت تتوسل في القطرات حتى لا تطفئها وكان توسلها عبثا، فما لبثت أن خمدت.

قال رايكن: أرى أن نشعل النار هنا الآن لإنارة البيت، وللتنعم بقليل من الدفء في ظل هذه الأجواء الباردة، هيا ساعدني على إبعاد الأفرشة هذه قليلا.

ولكن مالفي تذكر أنه عندما كان يهم بإخراج الملح رأى بعض الشموع، فأسرع لإخراجهم وقال رايكن: ماذا تفعل يا مالفي فإنك تحيرني بتصرفاتك؟. ردّ هذا الأخير: انتظر قليلا يا صديقي ولا تتسرع في الحكم على تصرفاتي، وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخرج الشموع ثم قال: ما رأيك؟ الآن نتجنب عناء إيقاد النار من جديد، فضحك رايكن وقال: لا جدوى من الكلام معك، ساعدني فيجب أن نوقد النار لننعم بقليل من الدفء يا صديقي.

– لقد نسيت، فالجوقد أصبح باردا جدا مع تساقط الأمطار، ومن الجيد

أننا وجدنا هذا البيت الذي يأوينا في هذه الليلة الماطرة، أقرّ بدهاء مشيّده، لوأنه ترك السقف دون تغطيته بجلد الغزلان لكنا الآن في مأزق.

– أوافقك الرأي، لكن تولى أمر إيقاد النار بينما أذهب لأحضر بعض الأغصان فربما احتجنا المزيد، من يدري؟

خرج رايكن وجمع بعض الأغصان التي كان قد جمعها مع مالفي نهارا، لكن وفي لحظة خاطفة فاجأته ثلاثة ذئاب ووثبت نحوه وكاد ينتهي أمره لولا فطنة مالفي وبراعته، الذي استطاع قتل الذئاب الثلاث بضربات سيفه الخاطفة، أما رايكن فكان لا يزال مصدوما مما جرى، ولم يستوعب نجاته بعدما كان موته محتما، وقال مالفي: هيا نبعد جثثها من هنا، ونسرع في الدخول وبعدها ستتسنى لك فرصة شكري، ولكن لا تشكرني الآن من فضلك فالخطر محدق.

أبعد الشابان جثث الذئاب وكلهم حذر وعادوا ودخلوا إلى ذلك البيت وكان المطر كفيلا بغسل السيف من دماء الذئاب التي قتلت.

جلس مالفي في إحدى زوايا ذلك البيت، وأوصد رايكن الباب بجذع كان داخل البيت بإسناد أحد طرفي الجذع على الباب ثم نظر إلى مالفي قائلا: شكرا لك فلولا فطنتك لما أنا الآن على قيد الحياة، لكن كنت قد قلت لك أن تهتم بإيقاد النار، كيف خرجت ورائي؟

– نحن في رحلة، إذن نحن رفيقان، ومن المستحيل على الرفيق أن يترك رفيقه ولوللحظة، خاصة في مكان كهذا الذي نحن فيه وفي ظلام حالك، لذلك أوقدت النار بسرعة، واستللت السيف من غمده وخرجت ورائك، والأمر الجيد أني كنت قربك في الوقت المناسب وإلا لما تمكنت من إنقاذك، أما الآن، فهناك أوراق الشاي مع الزاد فحضره حتى يحلوالسمر.

- أتعلم يا رايكن؟ لأخت زوجتي ابنة، ولولم أترك ابنتي جوساي معها لأتت معي، ومن الجيد أن جوساي أنستها الأمر.

- إذن لمَ لمْ تحضرها معك؟ فقد كنت قاصدا الحكيم جايري مع كوريسي، وابنة أختها لن تشكل عبئا عليكما، وابنتك من السهل أن ترضيها.

- إنها جد فضولية يا رايكن، تريد أن تعرف كل شيء، كيف حدث ولمَ حدث ولولَمْ يحدث ماذا كان ليحدث غيره...؟ حتى تحس كأن رأسك سيَنفجر من كثرة أسئلتها، لذلك لم أحضرها، وفجأة قال مالفي: ما بك يا رايكن، الشاي ساخن جدا، كاد يحرق شفتي، ماذا دهاك؟

ضحك رايكن وقال: اعذرني، لقد نسيت أن أخبرك بينما كنت تتحدث، فأنت تتحدث كثيرا ولا أعلم كيف استطاع أبي احتمالك كل تلك المدة، فهويكره الذين يتحدثون كثيرا، ليقول مالفي: لكن أظن أنك تعلم يا لماذا يكره أبوك الذين يتحدثون كثيرا.

فأجاب رايكن: طبعا، فقد أخبرني مرة من المرات أنه يريد الكلام الذي تكون له فائدة ويحمل معنى راقيا في طياته.

رد مالفي: أظن أنه لم يصدقك قوله يا صديقي، ليقول رايكن: أخبرني إذن أنت، لماذا يكرههم إذا كنت تعلم؟

- سأخبرك، ببساطة لأنهم لا يعطونه فرصة التحدث لوقت طويل، لأنك تعلم أن عمي سادوي يتحدث كثيرا مثلي تماما يا صديقي.

انفجر رايكن ضاحكا في حين قال له مالفي: ما الذي جعلك تضحك لهذا الحد؟ فقد توقعت أنك ستغضب قليلا، ولكن ردة فعلك كانت مختلفة تماما؟

- لا، أبدا يا مالفي، وضحكت لأن كلامك وافق كلام أمي، فكثيرا ما كانت تقول لأبي نفس هذا الكلام الذي قلته لي منذ قليل.

- إذن أنا على حق، جيد، ولكن أرى أن عمي سادوي طيب القلب كثيرا، فرغم أنه لا يعرفنا إلا أنه استضافنا بصدر رحب وقلما يلتقي الإنسان شخصا بمثل طيبته وسماحته.

- طيبته تلك جعلتنا نتعرض للخداع في إحدى المرات يا مالفي، ونبهته أمي أن لا يستضيف أيا كان ولكن لم يستمع إلى قولها وكان يقول لها: ليس خطأ أن نقدم يد المساعدة إذا طلبت منا، وليس خطأ منا إذا وثقنا بأقوال الغير وقمنا بمساعدته، وإذا خدعنا فالخطأ ليس لأننا وثقنا بأقواله، الخطأ خطأه لأنه كذب علينا.

- معه حق، ولكن على الإنسان كذلك أن يكون منتبها، والانتباه لما يحدث حولنا لا يكون خطئا وكذلك الغباء خطأ منا، لكن كيف تعرضتم للخداع؟.

قال رايكن: الآن هيا لنخلد إلى النوم فسوف نغادر في الغد إن شاء الله، فالإجابة عن سؤالك ليست بشيء مهم، سُرقت منا بعض الخراف إثر طيبة أبي، هذا فقط لحسن الحظ. قال مالفي: حسنا، ولكن ماذا إن بقى الجوماطرا، كيف سنغادر؟

- لا تقلق فالمعاطف الجلدية معنا، والأجمل هوأننا سنمضي على ظهر الحصانين لأننا سنسلك دربا تنسل وسط الغابة مباشرة، لننم الآن. في الصباح استيقظ الشابان باكرا ورتّبا كل شيء كما كان، أزالوا بقايا الرماد وأعادوا ترتيب الأفرشة كما كانت تماما، وحملوا زادهم، وواصلوا المسير للوصول إلى القرية التي يقطن فيها الحكيم جايري.

الفصل الحادي عشر: الحكيم جايري واير

" أهمّ شيء نتعلمه في المدرسة، هوأن أهمّ الأشياء لا يمكن تعلمها في المدرسة "

هاروكي موراكامي

كانت الأجواء صاحية تماما، أما التربة فانتعشت بعدما حيّتها قطرات المطر في الليلة الماضية، كانت أقرب إلى أن تكون زلقة، وكانوا قد اضطروا لارتداء ملابس أخرى، فالنسمات الباردة كانت تكاد لتسلخ الجلد عن الوجوه، وتمنع الأصابع عن الحركة لشدة البرد في ذاك الصباح، حتى أنه إذا نظرت إلى الأشجار حولك ترى كأنها تقاربت فيما بينها أكثر وكل شجرة تضم الشجرة الأخرى بأغصانها المتفرعة، للحصول على بعض الدفء!. مضوا في رحلتهم تلك، ومرت بضعة أيام فقط قبل يصلوا أخيرا إلى القرية المقصودة التي كانت تعج بالسكان، وبدأ الاثنان يسترجعان صور الحياة شيئا فشيئا، خصوصا أنهم لم يصادفوا الكثير من الناس منذ أن باشرا هذه الرحلة.

كان أناس تلك القرية بسطاء الملبس، ولعل ما يلفت النظر في تلك القرية هومنازلها الترابية والمتقاربة فيما بينها، ذات أزقة ضيقة وحلة رائعة، أناس ذاهبون إلى أين يعلمون ولا تعلم، وأناس راجعون إلى أين يعلمون وتعلم، فالذاهب قد يكون قاصدا السوق، أوأي شيء آخر، والراجع راجع إلى منزله، وبين الفينة والأخرى تجد مجموعة من الصبية يلعبون حتى تتذكر أيام طفولتك التي مضت، وتمتزج صرخات البعض منهم بصرخات البائعين،

وهكذا لتسمع لحنا مزعجا، ورغم هذا فإن مالفي لم يستطع أن يفوت تلك اللحظات، فقد نزل من الحصان ليلعب مع أولئك الأطفال قليلا، ولعل أن البسمات والضحكات التي رسمها على أوجه أولئك الصغار كانت تلخص مدى رحابة صدره وصفاء قلبه وأكملوا المسير حتى وصلوا إلى منزل الحكيم جايري، وقال رايكن لمالفي: اللعبة الأولى فهمت أنها لعبة القفز بين المربعات والثانية ما كانت؟

– إنها لعبة كنت ألعبها في الصغر، وهي كالتالي: ضع قطعة نقدية وبعد ذلك غطها بحفنة من التراب، ثم اقسم الحفنة الترابية بيدك، إن كانت القطعة في جهتك فهي لك، وإلا فهي لمن كان في الجهة المقابلة لك، مع شرط واحد وهوأن تغطي القطعة النقدية حتى تصبح جاهلا في أية جهة هي.

قال رايكن: تحب المال منذ الصغر، فقال مالفي: في الحقيقة كنا نلعب بالحصى، وقلت لك هذا لكي نلعب بالقطع النقدية!

كان منزل الحكيم مشابها للمنازل الأخرى تماما، وكان يقع في آخر زقاق، وبعده لا توجد أية منازل أخرى، وما إن وصل الاثنان حتى قال رايكن: ها قد وصلنا يا مالفي، ها هوالمنزل، ومن حسن حظنا أنه لا وجود للمرضى، ففي المرة السابقة وجدتهم على على طول الزقاق.

نظر مالفي إلى رايكن وقال: هل متأكد أن هذا هومنزله، ألست مخطئا؟

– لست مخطئا، متأكد من أن هذا هومنزله، فأطراف هذه الباب المتآكلة وكذلك هذه الجدران الترابية التي تقدمت كثيرا في السن والتي تظن أنها قد تسقط في أية لحظة، كلها تدل على منزله، المنزل نفسه الذي أخذت من عند ساكنه الدواء لآيلايتي، ولكن لماذا تسأل هذا السؤال، هل لديك شك في قوة ذاكرتي؟

– ليس هكذا، ولكن قلت في نفسي أن منزله لا يجب أن يكون هكذا، على الأقل يكون مثل المنازل الأخرى المجاورة له، فرغم أنها بسيطة إلا أنها أفضل حالا بكثير من هذا المنزل يا صديقي.

– دعنا من هذا الكلام يا مالفي، هيا نطرق الباب لنرى إن كان باستطاعته أن يصف لك علاجا، ونعجل بعودتنا إلى الديار فلا شك أن ابنتك جوساي مشتاقة جدا حتى تراك معافى.

نزل كل منهما من على ظهر حصانه، وتقدما نحوالباب بخطوات ثابتة، ورفع رايكن يده إلى الباب ليطرقها ولكن مسكها مالفي قائلا: أنا من أتى ليبحث عن دواء يشفيه إذن أنا من سيطرق الباب، ولكن رايكن طرق الباب وقال لمالفي: أتشعر بالحرقة؟.

– لا أشعر بأية حرقة. لم تمرّ إلا لحظات قليلة حتى فتح الباب صبي يبين كأنه في الخامسة عشر من العمر تقريبا.

نظر مالفي مباشرة إلى رايكن وقال: ألم أقل لك أنك قد تكون مخطئا في المنزل؟ وأتبع قائلا: لكنك لم تسمع، واعتذر من الصبي على الإزعاج، وهمّ بامتطاء الحصان، لكن رايكن قال: انتظر يا مالفي، دعنا نسأله أولا فأنا متأكد أن هذا هوالمنزل.

جثى رايكن على إحدى ركبتيه، ووضع يده فوق كتف ذلك الصبي وقال: أريد أن أسألك يا بني إن كان هذا هومنزل الحكيم جايري واير؟

أجابه ذلك الصبي قائلا: نعم يا عم، ولكنه مريض ولم يستطع النهوض من فراشه لمدة يومين ولم يأكل كذلك، وفجأة سمعوا صوتا يخرج من الحنجرة بصعوبة شديدة، ويقول: أدخل الضيوف يا آيوجي، ألم أقل لك

ألا تتكلم طويلا وأنت قرب الباب، فقال الصبي لمالفي ورايكن: أنا آسف، تفضلا بالدخول واعذراني على تكليمكم من عند الباب. فقال مالفي: لا عليك يا بني، وأثناء دخولهم علت وجه مالفي نظرة استغراب سرعان ما أخفى تعابيرها، وهذا بعدما رأى شيئا في باطن الذراع الأيمن للصبي الذي كان يرتدي قميصا يصل كمّاه إلى المرفق.

دخل رايكن وهوواضع يده على إحدى كتفي الصبي، وخلفه مباشرة مالفي وما إن توجهوا إلى الغرفة التي كان الحكيم جايري فيها حتى رأوه طريح الفراش، وكان واضعا قطعة قماش مبللة بماء بارد فوق جبينه لشدة الحمى التي كانت عليه، ولكنه رغم ذلك فقد حاول النهوض من الفراش، حتى هبّ مالفي إليه وقال: لا تجهد نفسك وأنت في هذه الحالة يا عم، استرخ، استرخ رجاء.

كان الحكيم جايري كما وصفه رايكن تماما، حتى وهوطريح الفراش، وقال لمالفي: لا عليك يا بني، ونظر الحكيم جايري إلى رايكن قائلا بصعوبة: ألست نفس الشاب الذي كان عندي قبل أيام قليلة يطلب دواء لزوجته؟

ألقى رايكن عليه التحية، وجلس أمامه وقال: بلى، بلى إنني نفسه يا عم، ليقول جايري: كيف حالك يا بني وهل شفيت زوجتك من مرضها؟

كان رايكن قد احتار ماذا يقول، ولكن مالفي نظر إليه وأشار أن يقول أنها شفيت بعد وصفه لها ذلك الدواء، ففعل رايكن ذلك.

قال الحكيم: خبر رائع أن أسمع بشفائها يا بني، ولكن هل من شيء آخر حتى أتيت من جديد؟

– نعم، والأمر هوأن صديقي كان قاصدا إياك ولم يكن يعرف سوى أنك

تقطن في هاته القرية، وبعد لقائنا أتيت معه لأني كنت قد أتيت إليك في المرة السابقة، وبذلك أجنبه عناء البحث عن المنزل، والسؤال عن الموقع في كل لحظة.

نظر الحكيم جايري إلى مالفي وقال: حسنا يا بني، هل لك أن تخبرني لماذا أردت قصدي رغم أنك لم تكن تعرف المنزل ولا حتى مداخل القرية؟

أخفض مالفي بصره إلى الأرض، وكأنه يفكر في شيء يقوله لكي يجنب الحكيم عناء أن يقدم له العلاج وهوفي تلك الحالة، وبعد برهة أدخل يده في جيبه وأخرج كيس المال الذي كان مقررا أن يستعمله إذا استأجر بيتا للمبيت، وقال: الحقيقة أيها الحكيم، لقد أوصاني شخص أن أوصل لك هذا المال، لذلك قصدتك، وبذلك أوصل الأمانة التي اؤتمنت عليها، هذا كل ما في الأمر.

نظر رايكن إلى مالفي وعيناه تقولان أنه ليس هذا ما أتينا من أجله، إننا أتينا من أجل أن تعالج.

أما الحكيم فقال: أنا أعلم يا بني أنه لا تزال لي إلا أيام قليلة وأغادر هذه الحياة، وهذا الذي أنا عليه الآن ليس إلا تباشير الموت، لذلك أنا لا أحتاج أي مال، وإنما أحتاج شيئا آخذ عليه أجرا ينفعني في القبر، وهذا المال لن ينفع هذا الصبي، فهولا يزال صغيرا ولا يعرف كيف يتصرف في المال، لذلك أريد منك شيئا يضاعف أجري، وإذا لم تمانعا سأطلب منكما طلبا أرجومنكما تحقيقه.

قال مالفي: بكل تأكيد، وهذا من دواعي سرورنا وإن استطعنا فإننا سننفذه في الحال، قل فقط ونحن أمر قولك يا سيدي.

– لن أقول حتى تصدقني يا بني، ما الشيء الذي أتيت من أجله من قرية بعيدة، وتحملت أنت وصديقك تعب المسير، أجبني بصدق.

– حسنا سأصدقك يا سيدي، الواقع هوأني قصدتك لأني أعاني من مرض جلدي ويسبب لي الحكة خصوصا في الليل، وكثيرا ما أجد أني قد جرحت يدي من كثرة الحك، ولم أجد أي علاج نافع، لذلك قصدتك علني أجد مبتغاي عندك.

– شكرا لك يا بني لأنك لم ترد إزعاجي، ولكن تعلم شيئا هذه المرة وهوأنه لا توجد أشياء تسقط قول الصدق إلا إن كانت تؤدي إلى عواقب أكثر، والآن أظن أن لدي العلاج الذي تحتاجه.

قال الحكيم جايري للصبي آيوجي أن يحضر بعض الأعشاب وبعض الزيوت التي استخلصها من بذور بعض النباتات ولما أحضرها آيوجي، طلب الحكيم من الثلاثة أن يساعدوه على النهوض، فساعدوه واتكأ على إحدى الجدران، قبل أن يقوم بخلط تلك الزيوت والأعشاب بشكل جد معقد، ليحصل على مرهم، وطلب من مالفي أن يضعه على يده ويدلكه جيدا ثم قال: تمنياتي لك يا بني بالشفاء العاجل، وضع المرهم مرة واحدة في كل ليلة لمدة خمسة عشر يوما.

– شكرا جزيلا لك يا سيدي، وعذرا على إزعاجك، والآن هل لك أن تخبرنا عن الطلب؟.

طلب جايري من آيوجي الخروج من تلك الغرفة والذهاب لغرفة أخرى، وهوالأمر الذي فعله آيوجي دون تردد وقال جايري: أظن يا أبنائي أني لم أعد أنتظر سوى الموت، وأنا أعلم أنه بموتي سيبقى آيوجي وحيدا ولن يستطيع العيش، لذلك أرجوأن يكفله أحدكما بعد موتي إن لم تمانعا.

في بادئ الأمر تحامل الاثنان على دموعهما، لكن ليس طويلا، قبل أن تغلبهم الدموع وتبدأ تنهمر من عيونهما، واستجمع رايكن قوته وقال: حسنا يا سيدي، أنا سأكفله، وأعدك أني سأعده مثل ابني ولكن قبل أن يكمل الكلام قال مالفي: سأتولى أنا رعايته دون سواي، فقال الحكيم: لا يا ابني مالفي، يجب علينا المسابقة في الخيرات، وقد سبقك صديقك، وصدقني لقد كنت أتمنى أن يكفله صديقك، لأني لم أرد أن تكون بيني وبينك أية صفقة عندما عالجتك، فتقوم أنت بالتكفل بالصبي.

مسك مالفي يد الحكيم وأخذ يبكي وقلبه يتمزق وهويرى الحكيم في تلك الحالة، ولا يستطيع أن يفعل شيئا، وقال رايكن: عذرا يا سيدي، ولكن أريد أن أسألك شيئا، هل آيوجي حفيدك؟

ابتسم الحكيم جايري وقال: سأفتقده، أيوجي، أوكما يحلولي أن أناديه بصاحب اللسان المتحرر، ثم تابع قائلا: لا يا بني، لا يقربني البتة، وإنما في أحد الليالي العاصفة، كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل، سمعت طرقا شديدا على الباب بينما كنت نائما، فخرجت مسرعا كي أرى ماذا هناك، وقد ظننت أن شريدا لم يجد مأوى يأويه أوأن عائلة لديها مريض قد أتوا به، فحملت إحدى الشموع واتجهت لكي أفتح الباب، ولكنني اندهشت عندما رأيت أن الطارق كان فتاة في العقد الثاني، كانت حاملة آيوجي بين ذراعيها وكان هذا الأخير مغمى عليه، وقالت وهي تلهث: أرجوك يا سيدي اترك هذا الصبي عندك ريثما أعود لأخذه ولا تجعل أحدا يعلم بوجوده عندك، وقبل أن أستفسر عن أي شيء، بل وحتى أنه لم تتسنى لي الفرصة لآويها تلك الليلة ذهبت تجري مباشرة، وبقيت أصر عليها للاحتماء عندي في تلك الليلة حتى وهي ذاهبة، ثم قال: لا زلت أتذكر تلك اللحظات وهي تركض تحت الأمطار الغزيرة، والبرق يكاد يصعقها والرعود المدوية كانت تصم الآذان،

ولكنها ذهبت وهي تقول شكرا، شكرا لك، اعتني به ريثما أعود إن شاء الله وأكمل: لقد مضت سنين، قريبا إن شاء الله ستصبح المدة عشر سنوات، أحضرته وهوابن خمس سنوات، لم يتبقى الكثير حتى يبلغ الخامسة عشر، لم تعد تلك الفتاة أبدا، ولم أعرف من تكون إلى هذا اليوم وهي ليست أما لآيوجي، بقيت التساؤلات في نفسي من تكون ولماذا يجب ترك هذا الصبي يعيش هنا دون أن يدري أحد؟ ولكن بعد مرور هذه السنوات وتغير ملامح آيوجي أصبح يخرج معي إلى أي مكان ولم نواجه مشكلا واحدا، ونسيت تلك التساؤلات، ففعل الخير لا يحتاج إلى تفكير ولا يحتاج إلى قراءة مسبقة للأحداث، نفعله فقط، هذا كل شيء.

أرشد الصبي آيوجي كلا من رايكن ومالفي إلى إحدى الحجرات للنوم، وذهب هوالآخر للنوم، وهذا بعد أن تركوا الحكيم جايري ينام.

نام كل من رايكن وآيوجي، أما مالفي فلم يداعب النعاس عيونه، وبقي يتقلب فقط لا غير وفي وقت متآخر من الليل، سمع مالفي الحكيم جايري وهويقول بصوت كاد يكون كله أنينا: الوصفة، الوصفة ...

اتجه مالفي مباشرة إلى الحجرة التي ينام فيها الحكيم جايري، ليجد هذا الأخير يئن وكأنه يتوسل للموت، ومسك مالفي بيدي الحكيم وقال: ماذا هناك يا عم؟ ولكن الحكيم بقي يئنّ، وأحضر مالفي كأس ماء وساعد الحكيم جايري على الشرب، ولوقليلا فقط.

بقي الحكيم يئن وكأن سكرات الموت تشتد عليه، وبقي مالفي جالسا أمامه، أما رايكن وآيوجي فكانا غارقين في النوم.

استيقظ آيوجي في الصباح، ليجد الحكيم جايري قد فارق الحياة، وما إن بدأ بالبكاء بصوت عال حتى استيقظ مالفي ورايكن وهبّا نحوه ليروا ماذا

هناك.

أخذت دموع الصبي آيوجي تجري على خدوده الناعمة، خصوصا أن جايري كان عوضه في السنوات الأخيرة عطف وحنان الوالدين، أما مالفي ورايكن فبقيا يبكيان من الداخل، وهما يكبحان العيون من أن تدمع، وضم رايكن آيوجي إلى صدره قائلا: اصبر يا آيوجي، هذا مصير كل الخلائق وكل مخلوق سيموت يوما ما، وأردف بنبرة صوت حزينة: أجل كلنا سنموت.

ومع اللحظات الأولى للفجر، خرج مالفي ليبلغ أهل القرية بخبر موت الحكيم، وكان نبأ الوفاة كصاعقة نزلت بقلوبهم واجتمع كبار القرية تلك، وقرروا أن يتم تغسيله مباشرة، وأن تقام مراسم دفنه بعد الظهيرة.

بعد تغسيل الحكيم جايري حملوه إلى إحدى المقابر لدفنه، وكان القبر قد حفر من قبل بعض الشبان بعد أن أعلن أن مراسم الدفن ستتم بعد الظهيرة، وحضر الجنازة كل أهالي القرية ودموعهم لم تنتظر لتأخذ إذنهم وانهمرت خاصة عندما أدخل القبر وبدأوا بإهالة التراب عليه، أما مالفي ورايكن فبقوا محافظين على رباطة جأشهم أمام الجميع وهذا حتى لا يزيدوا من معاناة الصبي آيوجي، حتى وإن كانت الدموع لدى الرجال لا تنم عن ضعف وإنما هي فطرة تقبع في كل نفس بشرية.

عاد الجميع إلى منازلهم بعد دفن الحكيم، أما مالفي ورايكن فقد عادوا لمنزل الحكيم وأخذوا أحصنتهم التي كانت متروكة بالقرب من بيت الحكيم، وأخذوا معهم الصبي آيوجي ليكفله رايكن لأنه قطع وعدا للحكيم أنه سيكفله بعد موت هذا الأخير وكان آيوجي قد ارتدى لباسا قرويا، كمّي قميصه يصلان إلى المعصم وليس إلى المرفق.

وانطلقوا في رحلة العودة إلى الديار، ولكن وقبل أن يقطعوا مسافة

طويلة، حتى سمعوا صوتا قادما من ورائهم ينادي: انتظروا، انتظروا...

التفت الثلاثة إلى الخلف، وإذا بهم يرون حوالي خمسة عشر رجلا من أهالي القرية، ممتطين الأحصنة، فقال مالفي لرايكن: ماذا جرى يا ترى، ألديك أي فكرة لم يركضون ورائنا هكذا يا رايكن؟. ردّ رايكن: ليست لدي أية فكرة يا مالفي؟.

فجأة قال مالفي: أظن أنهم جاؤوا يستفسرون عن آيوجي، ولم نحن نأخذه معنا، فنحن لم نخبرهم أن الحكيم جايري أوصانا به قبل أن يفارق الحياة.

- لا أظن هذا يا مالفي، فلوكان هذا لاستفسروا عن الصبي قبل أن نهمّ بالرحيل، أظن أن هناك شيئا آخرا يريدون إخبارنا به فدعنا ننتظر وصولهم ثم نرى ماذا هناك.

وصل أولئك الرجال وألقوا السلام على كل من مالفي ورايكن وقال سيّدهم أنه يجب عليهم الانتظار والرحيل في الغد إن شاء الله، لأنهم سوف يقيمون مأدبة للترحم على روح الحكيم جايري واير، وأنه يجب عليهم أن يحضروا، وقال آخر: نحن نعلم أنه يجب عليكم الرحيل، فقد أمضيتم أياما عدة وأنتم بعيدون عن أهلكم، ولكن نرجومنكم ألا تبخلوا الحكيم أجركم وأنتم أصحاب القرار الأخير.

قال مالفي: سنأتي معكم، ولكن إذا عدنا فسنكون مضطرين للمبيت في أحد المنازل للانطلاق في صباح الغد إن شاء الله، فقال أحد الرجال لا تقلق فسوف يكون منزلي تحت تصرفكم هاته الليلة.

الفصل الثاني عشر: سيف كبير القرية

"المرء يمكنه أن يتخيّل أشياء تكون خاطئة، لكن يمكنه فقط فهم الأمور التي تكون صحيحة، لأنه إذا كانت الأشياء خاطئة، فإن استيعابها ليس فهما"

اسحاق نيوتن

وهكذا انطلق الرجال ومالفي ورايكن الذي كان يحمل آيوجي فوق حصانه، وقال رايكن لأولئك الرجال: اعذروني من فضلكم ولكن لدي سؤالان أريد أن أعرف جوابهما، فقال له أحد الرجال، كان يبين أنه الأكبر سنا من بين كل أولئك الرجال: تفضل واطرح ما شئت من أسئلة.

- حسنا، السؤال الأول يا سيدي هولماذا لم تستفسروا عن الصبي الذي نحن آخذوه معنا؟ فقد ظننا أنكم آتون ورائنا لأجل الصبي، والسؤال الثاني، هولماذا لم يأت منكم رجل واحد ليخبرنا هذا الخبر؟

تبسم ذلك الرجل وقال: لقد كنا نعلم أن الصبي آيوجي سيأتي معكم، هذه كانت رغبة الحكيم جايري، كان كثيرا ما يقول أنه يريد أن يكمل الصبي آيوجي حياته في قرية أخرى غير هاته القرية، أما فيما يخص السؤال الثاني، فجوابه سهل، وهوأنه لوجاء شخص واحد أوشخصان، ربما لم يستطيعوا إقناعكم، لذلك أتينا جماعة لكي لا يكون لكم أي مفر.

فقال مالفي: مفرّ، أي مفر يا سيدي تتحدث عنه؟. نظر ذلك الرجل إلى رايكن وقال بابتسامة: ألا تخبر صديقك أنه لن يكون لكما أي مفر من القدوم

معنا؟. ردّ رايكن: لا تؤاخذه يا سيدي فإنه متعب، وكذلك جد مشتاق لرؤية أهله، خصوصا ابنته. ثم نظر إلى مالفي وقال: أليس كذلك يا مالفي؟

أجاب مالفي قائلا: بلى، معك حق يا رايكن.

هنا قال ذلك الرجل: ولكن لا يجب التحمس كثيرا فربما لن يراها، وهنا ثار مالفي وقال لذلك الرجل بنبرة صوت حادة: في الثانية لن أكون متسامحا مع مثل هذا الكلام، فقال ذلك الرجل: عجبا، قلت لن تراها، وكنت لم أكمل كلامي بعد، وهوأنك لن تراها بنفس الشوق، هذا كل ما أردت قوله لك، وحتى لوحاولت استفزازك كان يجب عليك التحكم في أعصابك وعدم الغضب، ورد مالفي: افهم أني أسيئ الفهم أحيانا، لذلك اقتني كلماتك جيدا، وإن كنت صادقا في قولك فأنا أعتذر.

- لا، أنا من يجب عليه الاعتذار، اعذرني. أكمل الجميع الطريق في صمت مطبق ولم تمضي مدة طويلة حتى وصلوا إلى القرية واتجهوا إلى أحد البيوت الواسعة التي ستقام فيه المأدبة.

حضر أهل القرية، وكان قد بدأ إطعام الناس بعد المغرب، وما إن أنهى مالفي ورايكن وآيوجي الطعام حتى دعاهم الرجل الذي كان قد قال لهم أنهم سيقضون الليلة عنده للمبيت بما أنهم سيستيقظون في الصباح الباكر، وفعلا فقد ذهب الثلاثة وناموا مباشرة فقد كانوا متعبين جدا، كان الظاهر أنهم ناموا مباشرة، لكن الحقيقة هي أنهم ناموا بعد بكاء ساعات الليل الأولى على موت الحكيم جايري واير.

في الصباح استيقظ كل من مالفي ورايكن وهنا كانت المصيبة، لأنهم خُدعوا، لم يكن آيوجي معهم، رغم أنه كان قد نام معهم، وهذه ليست هي المصِيبة، فآيوجي كان عند أحد الأسر، المصيبة هي ما وقع لهما.

كانت ربطت أيديهما بحبال قوية وكذلك أرجلهما، ونظر مالفي إلى رايكن وقال: لقد خدعنا يا رايكن، ومن كلام ذلك الرجل أيقنت الآن أنه كان يقرب لنا هذه الصورة، لكن لم يُرد أن نفهم بأعذاره تلك، ما هذه الورطة التي وقعنا فيها فقد كان يُفهمنا الكلمات دون أن يتركنا نغوص في معناها الحقيقي، ما أغبانا؟

قال رايكن: لا تقلق ودعنا نفكر في طريقة للخلاص، فالقلق الآن لن يجدي نفعا. ردّ مالفي عليه سريعا: أنت ترى أننا في هذه الحالة، ولا يمكننا تحرير أنفسنا ثم تقول لي أن لا أقلق، وما إن أكمل مالفي كلامه حتى دخل أربعة رجال، رجال آخرون غير الذين كانوا معهم البارحة. قال أحدهم: لا تقلق يا هذا، ستتضح لك الصورة أكثر بعد قليل.

أخرج أولئك الرجال كل من مالفي ورايكن، وما إن خرجوا حتى وجدوا جمعا غفيرا من الناس ينظرون إليهم وكأنهم ارتكبوا جرما، واقتيدوا إلى ساحة القرية. كانت ساحة أقل ما يقال عنها أنها شاسعة، واجتمع الناس من رجال وشيوخ وصبية وشبان.

رُبط مالفي ورايكن إلى أحد الأعمدة الخشبية، ولم يكن باستطاعتهما الحراك، وقدم أخيرا الرجال الذين كانوا يمتطون الأحصنة بالأمس، يتقدمهم ذلك الرجل الذي كان يحاول استفزاز مالفي بكل كلمة كان يخرجها من فمه، وقال مخاطبا مالفي: أدركت الآن أن المفر لم يكن مفر من إقناعكم بالقدوم معنا، بل مفر من نيل عقابكم، وابنتك ربما لن تراها لأنه ربما ستموت اليوم أولنقل قريبا، هنا فقد مالفي أعصابه وقال بنبرة غاضبة: من حسن حظك أنني مقيد.

قال ذلك الرجل وهويبتسم ابتسامة تدل على الرضى: لا تكن عصبيا،

تعلم أن تبتسم عندما تفقد أعصابك، تماما مثلما أفعل، ستحسّ بشعور رائع.

حتى هذه اللحظة كان رايكن لا يزال صامتا، حتى رمى عنه ستار الصمت وقال: لكن أين الصبي آيوجي؟ ولماذا فعلتم بنا هذا؟

تبسم سيدهم في وجه رايكن ثم أشار إلى رجلين وقال: ها هوذا الصبي آيوجي واقف أمامهما وهوعلى أحسن ما يرام، وأكمل حديثه قائلا: أما فيما يخص فعلتنا هذه، فيجب علينا أن نعرف من منكما قتل الحكيم جايري، وعندما نعرف القاتل سنقتله والبريء سيطلق سراحه ويذهب بالصبي، لأن هذه وصية حكيمنا المتوفي رحمه الله.

احتار الاثنان من التهمة التي وجهت إليهما، ولم يصدقا الورطة التي وقعوا فيها، ولكن هذه هي الحياة، تنقلب عليك بين لحظة وأخرى دون أن تشعر، سوف تشعر فقط حين تجد أن حياتك قد انقلبت.

قال رايكن: لكننا لم نقتل الحكيم جايري، إنما حان أجله فمات، هذا كل شيء. ردّ عليه سيدهم: لا تكن غبيا فالبارحة كنت ذكيا بتلك الأسئلة، وقال: القاتل يعترف، والتعذيب كفيل بجعل القاتل يعترف، وإن لم يعترف سيموت تحت أسواط التعذيب. فقال مالفي: ولوكان حقا لم يقتل، ألن تكون ظالما إن عذبته وقتلته؟. كان ذلك الرجل في كل مرة يبتسم قبل أن يقول أي شيء، وكأنه يخفي قسوة لا مثيل لها، لا تلينها الكلمات الطيبة، ومشاعر متجمدة لا تكسرها الكلمات الصادقة، فقد ابتسم مجددا في وجه مالفي وقال: لكن ألن يكون ظالما لنفسه إن كان مشتبها فيه وليس لديه دليل ليثبت براءته؟. هنا قال مالفي: لا أمل لظهور الحق ممّن يصرّ على تجريمنا، أنتم تريدون منّا اعترافا حتى ولوكان كاذبا.

بدأت الأسواط تضرب في ظهر كل من مالفي ورايكن، وتعرضا لألوان

من التعذيب وآيوجي يصرخ بأعلى صوته: اتركوهما فهما لم يقتلا الحكيم جايري، لكن لم تكن كلماته لتجعلهم يكفّون عن تعذيب مالفي ورايكن.

هنا توجه سيدهم نحوآيوجي وقال بابتسامة علت محياه: قل لي يا صغير من كان وراء قتل الحكيم جايري واير؟ وهويمسح على رأسه. فقال آيوجي: صدقني يا سيدي، إن الحكيم جايري واير قد توفي عندما حانت ساعة موته.

تبسم ذلك الرجل من جديد وقال: فتى سيء، يا لك من ناكر للجميل، كان الحكيم جايري يعدّك مثل ابنه، والآن تتستر عن قاتله.

قال آيوجي: كيف صدقتم أنه أوصى أحدهما بي إذن؟ فرد الرجل ذاك: الكل يعلم أن الحكيم جايري رحمه الله لم يكن يُرد لك البقاء بهذه القرية، وبما أنه توفي الليلة الماضية، فلا بد أن أحدهما قاتل، والآخر هومن سيكفلك.

كان مالفي صامتا طيلة فترة تعذيبه وكأنه لا يحس بأي ألم، ولكن رايكن تحامل على الألم في البداية وسرعان ما انهار وبدأ يقول: لم نقتله صدقونا... نحن لم نقتله، وهنا لم يحتمل مالفي رؤية صديقه وهويحاول محاولة فاشلة لإطلاق سراحهما وإقناعهم، ولعلّ رايكن لم يكن ليقع بهذه الورطة لولا أنه أتى مرافقا لمالفي في هاته الرحلة، على الرغم من أن هذا كان مقدرا له أن يحصل. قال مالفي: حسنا، أنا قتلت الحكيم جايري واير لأنه كان يتوسل للموت من شدة الألم الذي كان يشعر به.

غضب رايكن عند سماعه هذه الكلمات وقال: لماذا تكذب يا مالفي، لا تنسى أن لديك عائلة يجب أن تعيش لأجلها؟. قال مالفي: لقد كنت أنتَ وآيوجي نائمين عندما زاد الألم على الحكيم، فقمت وقتلته وهذا اعتراف بالذنب، ليس كذبا يا صديقي وسامحني لأني فعلت هذا، قال مالفي كلامه هذا بكل برود وبنبرة صوت راضية.

صدم الجميع بعد اعتراف مالفي أنه هو من قتل الحكيم، وهنا رفع العذاب عن رايكن وأمر بقتل مالفي، وإخلاء سبيل رايكن واتجه رايكن نحو مالفي، وقال: لماذا تكذب وأنت لم تقتله؟ فقال مالفي: وما أدراك أنني أكذب؟ أنت لم تعرفني سوى مدة قصيرة يا رايكن، اذهب وخذ آيوجي معك وانسى أمري فيجب أن أدفع الثمن، وتعلّم أن لا تحاول أبدا تخفيف الألم بارتكاب الأخطاء، فقد حاولت أن أخفف الألم عن الحكيم بارتكاب خطأ، لذلك يجب علي دفع الثمن.

كان مالفي سيعدم، ولم يعدل عن أقواله، وبالرغم من إلحاح رايكن إلا أنه بقى متمسكا بكل كلمة قالها وأنهى محاولات رايكن للعدول عن تلك الأقوال بقوله: لا تحاول يا صديقي أن تبرئ قاتلا، وقل لزوجتي أن زوجها ارتكب خطئا يستحق القتل، لتنساني بسرعة، فإذا غادرت محبك بذنب نساك بسرعة، وإن غادرته بإحسان فإنه لن ينساك.

أتى رجل ضخم الهيئة حاملا سيفا حادا في يده لضرب عنق مالفي، ورايكن وآيوجي غير مصدقين لما يجري وما إن هم الضخم بضرب عنق مالفي، حتى صرخ سيدهم بأعلى صوته: توقف، توقف... فتجمد الضخم في مكانه، وحل الصمت بين كل الجموع فنادرا ما كان سيدهم يصرخ. ثم ما لبث وأن تبسم ابتسامته المعهودة قائلا: أطلقوا سراحه فقد كنت أمزح معهما لا غير.

هذه المرة لم يفهم أي أحد ما يجري، وقالوا هل هذه المزحة مزحة؟. لم يفهموا كيف أن مزحة تكون في حد ذاتها مزحة، ليقول: أغبياء، كدت أن أخطأ خطأ جسيما ولم تخبروني، لا يجب أن نطبق أي حكم في غياب كبيرنا، ماذا دهاكم؟. أخفض كل واحد بصره نحو الأرض، وشع بصيص الأمل في

عيون رايكن من جديد لإنقاذ صديقه مالفي الذي اعترف أنه كان القاتل.

وهكذا أمر سيدهم أن يأخذوا مالفي إلى السجن حتى موعد عودة كبيرهم الذي لم يفهم رايكن ولا مالفي من يكون وأي سلطة لديه.

سأل رايكن آيوجي فقال: كبير القرية يدعى "هايشيد "، إنه شيخ في عمر الستين، صاحب القرار، الآمر والناهي ولا يمكن أن ينفذ أي حكم إلا بموافقته، وإن خالفه أحد فإن مصيره الموت، حتى ولوكان السيد غومن بايد. فقال رايكن ومن هذا غومن بايد؟

– إنه ذلك الرجل وأشار إلى الرجل الذي أمر بتعذيبهما، صاحب الابتسامة الغريبة على وجهه.

أُخِذ مالفي ورايكن إلى السجن، وقد أَخِذ رايكن أيضا حتى لا تكون أي محاولةَ منه لإنقاذ مالفي، أما آيوجي فأخذه السيد غومن بايد لبيته ريثما يعود كبير القرية ويصدر حكمه.

كان آيوجي في بيت غومن بايد وتحت رقابة شديدة، ولم يخرج من البيت أبدا، وكانت زوجة غومن تعتني به على أحسن وجه، أما مالفي ورايكن فكانا في السجن والجروح والكدمات تملأ جسديهما جراء التعذيب الذي تعرضا له.

أثناء فترة سجنهما قال مالفي لرايكن: اعذرني يا صديقي على كل ما سببته لك، فأنت كنت في غنى عن هذا وأنا من ورّطتك.

– أنا أفكر كيف ننقذ نفسينا، وأنت تتفوه في هذا الكلام. فقال مالفي: عجبا لك، لا تزال تحاول جاهدا إنقاذ قاتل، هل فقدت عقلك؟

– اسمع يا مالفي، أنا لا أحاول إنقاذ قاتل، وإنما أحاول إنقاذ صديقي،

قتلت الحكيم جايري وتفهمتك، أحاول إنقاذ صديق لي عسى أجعل مستقبله أفضل، أخطأت، لكن بطريقة تمكننا من العفوعنك.

كان كبير القرية قد ذهب إلى قريتين متجاورتين لفض النزاع الذي جرى بينهما، وإيجاد حل وسط يرضي كل قرية، وقد نجح في أن يصلح بينهما، ولم تمضي مدة طويلة حتى رجع إلى قرية دورياساك ، كان ذلك بعد حوالي عشرة أيام من وفاة الحكيم جايري واير.

كان كبير القرية طويلا وقوي البنية، في مشيته هيبة عظيمة، يخطوببطء شديد، حتى يظن الناظر إليه أنه يفكر وهلة قبل أن يخطوالخطوة الثانية، يضع فوق رأسه قبعة تشبه إلى حد كبير قبعة المزارعين، شعره شائب وطويل، وذوعيون سوداء لا يمشي إلا وفي يده عود صغير يقلبه بين أنامله.

عاد إلى القرية، وكان الجميع في استقباله، وقصد بيت الحكيم جايري مباشرة، فهما صديقان مقربان من بعضهما، هذا قبل أن يخبروه أن الحكيم قد فارق الحياة في فترة غيابه الأخيرة، فحزن حزنا شديدا، وأمر أن يأخذوه إلى قبر الحكيم فأخذوه، وهناك قام

بالترحم عليه، وبينما كان راجعا وغومن بايد يمشي بجانبه حتى قال له أنهم شكوا باثنين وهما الآن في السجن، وأن أحدهما قد اعترف أنه قتل الحكيم جايري واير بعد التعرض للتعذيب، وهنا أدار هايشيد وجهه ونظر لغومن وقال: أعد على مسامعي ما قلته للتو، فأعاد غومن نفس الكلام وما هي إلا لحظات حتى قام هايشيد بدفع غومن بقوة، كادت تسقط هذا الأخير، لولا أنه استعاد توازنه، وهنا جلس الجميع على الأرض، بما فيهم غومن وهي عادتهم إن غضب هايشيد، وكسر هايشيد ذلك العود الصغير الذي كانت تداعبه أنامله. قال: أحضروا السجينين إلى القصر، وهوينظر

نظرته الحازمة إلى غومن بايد.

أحضر كل من رايكن ومالفي، وأمر كبير القرية أن يُفك رباطهم، ورأى أثر الجرَوح والكدمات على وجهيهما، فتقدم نحوهما وأخذ يقول: أرجومنكما أن تسامحاني على فعلتهم؟. احتار مالفي ورايكن وقال مالفي: لكنك لم تخطأ يا سيدي أي خطأ معنا فكيف نسامحك؟

- أجيبا على قدر السؤال، تسامحانني أم لا؟. قال رايكن: نحن نسامحك.

- حسنا الآن تبدأ المحاكمة وقال: من قال أنه قتل الحكيم جايري واير فليتقدم نحوي في الحال، فتقدم مالفي نحوه وكان في طول كبير القرية، وأخفض مالفي رأسه إجلالا له، فقال هايشيد: ارفع بصرك، وما إن رفع مالفي بصره حتى قال هايشيد: قد قلت أنك أنت من قتل الحكيم جايري، حتى ولواعترفت اعترافا كاذبا فالاعتراف الكاذب يعد اعترافا بيّنا يا بني.

وهنا قال السيد غومن بايد: إذن لماذا دفعتني يا سيدي عندما قلت لك أنه اعترف؟

نظر هايشيد إلى غومن وقال: اصمت يا غومن، من قال لك أن تأخذ مكاني في غيابي؟.

ذهب هايشيد إلى إحدى الحجرات في ذلك القصر، وبدا كأنه يبحث عن شيء ما داخلها، وما لبث أن نادى على زوجته هينيلاك ليسألها قائلا: أين وضعت السيف، فلا أحد يمكنه دخول هذه الحجرة، إلا أنا وأنت؟

ردت زوجته مستغربة: أنا؟. لم ألمسه في حياتي قَطّ، فكيف ألمسه الآن؟ أنظر فلا بد أنك غيرت مكانه. لحظات قليلة قبل أن يقول هايشيد: آه، أحيانا تكون الأشياء أمامنا مباشرة، ولكن لا نراها، آسف على إزعاجك.

لحظات فقط قبل أن يحضر هايشيد سيفا طويلا، واستله من غمده وقال: الآن سنعرف القاتل، وهم بضرب عنق مالفي، ولكن ما ما إن لامس السيف عنق مالفي حتى توقف هايشيد، ونزف مالفي القليل من الدم، وقال هايشيد: عفوت عن كذبك يا بُني. ثم أمر بعد أن أنهى كلامه أن يُعتنى بمالفي ورايكن وآيوجي ريثما يرحلوا.

في السويعات الأولى للصباح غادر كل من رايكن ومالفي ومعهم الصبي آيوجي الذي أوصاهم الحكيم جايري بالاعتناء به قبل أن يغادر هاته الحياة، كان كل واحد منهم يحاول أن يكبت الدموع على موت الحكيم، خاصة الصبي الذي قضى معه سنينا ورأى منه كل صور العطف والحنان واللطف، حتى أنه عوضه عن حنان والديه، وصار آيوجي يناديه بأبي، أما مالفي الذي خف عليه مرضه الجلدي فلم يجد سوى أن يبكي علّه يخفف الحزن العميق الذي تركه موت الحكيم جايري بقلبه، أما رايكن فقد كان واضعا الصبي أمامه فوق الحصان ويمسح الدموع في كل لحظة، قال مالفي: هاي، آيوجي، ما بك لم تشاركنا الكلام؟ فأرى أنك تشاركنا الحزن فقط.

نظر آيوجي إلى مالفي بعيون طفل بريء يملئها الخجل، وكان محتارا ماذا يقول فهولم يجرب الحديث إلى من هم في هذا العمر وخاصة في موقف كهذا الموقف.

سار الثلاثة صوب الطريق الجبلية للعودة إلى الديار، وأثناء مسيرهم التقى رايكن شخصا في الخمسين من العمر، كان طويل القامة أبيض البشرة، ممتلئ الجسم وما إن رآه رايكن حتى ترجل من الحصان وسلم على ذلك الرجل قائلا: كيف حالك يا عم فيرايكي؟

ترجل مالفي كذلك وأنزل الصبي آيوجي وصافحا فيرايكي الذي قال

لرايكن: بخير يا بني، ثم نظر إلى مالفي وصافحه وهويمسح بيده الأخرى على رأس آيوجي ثم قال مخاطبا آيوجي: كيف حالك يا بني؟ وهويظن أنه ابن مالفي.

قال رايكن مخاطبا مالفي: إنه جارنا في القرية، ثم نظر إلى فيرايكي قائلا: مضت مدة طويلة دون أن أراك في القرية، هل كل شيء يجري على أحسن ما يرام؟

– أجل، إني أدير عملا هنا يا بني ولا أعود إلى المنزل إلا مرة واحدة في الشهر، هل كل العائلة بخير؟ اشتقت لسادوي كثيرا.

– أجل، كانت آيلايتي مريضة في الأيام القليلة الماضية فقط ولكنها شُفيت من مرضها. قال فيرايكي: خبر جيد، ألا تزال تضحك كثيرا؟

– تلك عادتها. قال فيرايكي: أظنّ أنكم راجعون إلى " دانجيه "، لذلك أقترح أن تقيموا هاته الليلة عندي وتغادروا في صباح الغد إن شاء الله يا بني وهكذا تكونوا قد ارتحتم من تعبكم.

– هذا لطف كبير منك، أشكرك كثيرا. اتجه الأربعة إلى البيت الذي يقيم فيه فيرايكي وأخبره رايكن عن وفاة الحكيم جايري واير فتأسف فيرايكي كثيرا، وتبادلوا أطراف الحديث حتى وصلوا إلى المنزل. كان منزلا متواضعا لا شيء فيه ملفت للنظر، وكان فيرايكي يقيم فيه لوحده. تناولوا طعام الغداء ثم أخذوا القيلولة، وانقضى اليوم بشكل عادي، تناولوا العشاء ثم خلدوا للنوم.

في ظهيرة اليوم التالي انطلقوا وهذا بعدما أرشدهم فيرايكي إلى درب مختصرة تؤدي إلى المنطقة المستوية في الجبل. قال مالفي: إنه شخص طيب

القلب جدا، هل كل سكان قريتكم طيبوا القلب؟. ردّ رايكن: أظن ذلك، لكن بالنسبة لفيرايكي فإنه الصديق المقرب

لعائلتنا ولديه ابن في عمرنا يكون صديقا لي، لم تره في الأيام السابقة لأني لا ألتقيه كثيرا.

بينما هم ماشون، فاقترب رايكن بحصانه من مالفي وهمس له قائلا: هل حقا قتلت الحكيم جايري يا مالفي؟

- أبدا، هل اعتقدت للحظة أنه يمكنني فعل ذلك؟ رأيت نفسي مسئولا عما يجري لك فأردت أن ترجع سالما، هذا كل شيء.

كانت تعابير السماء فوقهم شاحبة، والنسمات الباردة تملأ الأجواء، وكانت الأرض القاسية تنهر حوافر الأحصنة، ومضى الثلاثة يتقدمهم مالفي، ورايكن يضع الصبي أمامه ويمشي خلف مالفي مباشرة لضيق تلك الدرب المعوجة التي تشق الجبل كأنها قارب صغير أخذ يشق مياه البحر بلطف شديد، يترقب في الأمواج أن لا تهيج فينقلب، والثلاثة على ظهر الأحصنة يترقبون ألا تثور حيوانات الغابة فتعصف بهم في لحظة خاطفة، كانوا يمشون في اطمئنان ولعل أن تذكر البيت الذي يقتربون منه في كل خطوة كان يلقي في نفوسهم اطمئنانا وسكينة، وبين الفينة والأخرى تذكّرهم الأشجار أنها لا تزال واقفة تحفهم جانبي الدرب إذا سقطت منها بضعة أوراق بفعل النسيم المتمايل، حتى كسر آيوجي ذلك الصمت الذي يعمّ الجميع عندما طلب من رايكن أن يناوله قربة الماء لأنه أحس بالعطش، فناوله القربة وشرب آيوجي حتى ارتوى من عطشه وأكملوا المسير في ظل صمت مطبق.

ومع إنذار الشمس بأن غروبها لهذا اليوم قد حان كان الثلاثة قد اقتربوا من البيت الخشبي الذي أقام فيه كل من مالفي ورايكن قبل وصولهم إلى

الحكيم المتوفي جايري واير. قال مالفي: إن هذه الدرب أفضل من الدرب التي سلكناها أول مرة لنصل إلى قرية دورياساك، إنها مختصرة جدا ولا بد أن فيرايكي يعرف الجبل أفضل منك؟

– هوأفضل مني وأنا أفضل منك، على الأقل كنت أعرف طريقا طويلة توصل لقرية دورياساك، أما أنت فكنت لتتيه. رد مالفي: لا تكن سخيفا، قد أواجه صعوبة في الخروج فقط.

مع اقترابهم أكثر قال رايكن لمالفي: تمهل، أرى أن نترك الأحصنة في جهة أخرى ونتفقد المنزل أولا، فمن الممكن أن نجد فيه أناسا غيرنا. رد مالفي: وما الضير لووجدنا أناسا غيرنا؟ فنحن في الأخير سنبيت فقط.

– تذكر يا مالفي قولك أنه يجب علينا الانتباه، لا تنسى أن الأشخاص ليسوا كلهم طيبين فهناك السيئين، لربما وجدنا أناسا سيئين؟

– أنت على حق، لكن كيف نترك الحصانين هنا ونذهب لذلك المنزل؟

– لن يهربا من هنا وسوف نعود إليهما ما إن نتأكد من عدم وجود أي خطر. مسك مالفي بيد الصبي آيوجي وبدأ الثلاثة يتقدمون في حذر شديد، فجأة تذكر رايكن أمر السيوف فقال: انتظراني لحظة سآتي بالسيفين وأعود.

أحضر رايكن السيفين واستأنفوا المشي بين الأشجار الكثيفة ببطء شديد وأعينهم تنظر يمينا وشمالا حتى وصلوا إلى أحد جوانب البيت. كان الظلام قد بدأ بالتربع على عروش الغابة حين همس مالفي في أذن رايكن قائلا: أرأيت الشامة في باطن الذراع الأيمن لآيوجي، تبدوكأنها نقطة صغيرة، صغيرة جدا؟. رد رايكن: يا لشدة الملاحظة لديك يا مالفي؟ دعنا من هذا وأنصت إلى أي صوت مريب.

أنصت مالفي ورايكن جيدا وقد سمعا أصواتا تصدر من داخل البيت الخشبي وبدئا يميزان الكلام. كان حديثا عاديا بين الناس الذين كانوا بداخل البيت، فسُرّوا كثيرا وقرروا الذهاب إلى الباب وإلقاء التحية على الأشخاص الذين بداخله، لكن قبل وصولهم إلى الباب ببضع خطوات سمعوا رجلا كان صوته شديد الخشونة يتكلم.

كان صوته مخيفا، ولكن صوته لم يكن ليخيف مالفي ورايكن، شعرا بالفزع بسبب ما سمعاه من كلام يخرج من فم المتكلم.

بدأ الثلاثة يتراجعون ببطء شديد وبينما هم يُرجعون في الخطوات إلى الوراء حتى داس مالفي على أحد الأغصان وكسرها وأصدر الكسر ذاك صوتا انتبه له أحدهم وكان صاحب الصوت الخشن، فأسرعوا بالتراجع واختبئوا وسط الأشجار وخرج هذا الرجل وقال: أيّا كنت فاخرج، لن ينفعك الاختباء يا هذا.

كان رجلا ضخم البنية، في نبرة صوته تلك يشعر المرء بالخوف حتى يكاد يصرخ من شدة الفزع ويكشف أمره دون أن يدري. بقي الثلاثة مختبئين والضخم ينظر هنا وهناك حتى خرج أربعة آخرون، وقال أحدهم: دعك من شكوكك، فمن قد يقترب من هذا المكان خصوصا في هذا الوقت، لا بد أنه كان مجرد حيوان مر من هنا؟. ردّ الضخم قائلا: لا تكن غبيا، هل أنت أعمى؟ ألا ترى أنّ النار متقدة وألسنتها تكاد تبلغ السماء وتتهجم على الأشجار؟ ثم تابع يقول: أي حيوان هذا الذي يقترب؟ أنا متأكد من أنه شخص غريب وسوف أجده حتما.

خاف الصبي آيوجي كثيرا، أما مالفي ورايكن فكانا يترقبان بعيون واسعة، ولم يكن يدري أحد ما يجول بخاطرهما، خصوصا في تلك اللحظات.

كان الرجال الأربعة يقفون في الخلف، يتقدمهم ذاك الرجل الضخم، وقال أحدهم: هيا لندخل فنحن خمسة رجال وإن كان شخصا واحدا فلن يكون بمقدوره فعل أي شيء أمامنا.

لحظات قليلة، ليطلب مالفي من الصبي أن يغمض عينيه وألا يفتحهما ويستدير للجهة الأخرى، فأغمض آيوجي عينيه مباشرة.

كان أولئك الرجال لا يزالون يتحدثون حين أشار مالفي إلى رايكن، وفي خفة وسرعة خاطفة استل كل واحد سيفه وفاجئا الرجال الخمسة من الخلف وما هي إلا لحظات قليلة فقط حتى صنع مشهد فظيع رسمه كل من مالفي ورايكن بأيد متحجرة، فقد فصلت أربعة رؤوس عن أربعة أجساد، وسقط الرجال الأربعة جثثا هامدة فوق الأرض. استدار ذلك الضخم لأصحابه، فتجمد في مكانه وكأنه غير مصدق ما تراه عيونه، لكنه استرجع الإحساس بعد أن قطع مالفي ذراعاه، وقال: هذا جزاءك، ثم أجهز عليه رايكن مباشرة.

نظر مالفي إلى رايكن نظرة حازمة وقال: لقد أنهينا قصتهم، فأمثالهم لا يستحقون العيش أبدا.

قال رايكن: صحيح أننا قتلناهم، ولكن ماذا لوكانوا مصيبين؟

ردّ مالفي: هناك أشياء في الحياة يا صديقي مجرد قولها يكون خطئا، لذلك كان يجب أن يموتوا، والآن أحضر آيوجي واحرص أن تغمض عينيه كي لا يرى ما فعلناه، وأدخله إلى البيت مباشرة ريثما آتي بالأحصنة والزاد.

أدخل رايكن الصبي وأحضر مالفي الأحصنة والزاد، ثم قاموا بحفر حفرة في إحدى النواحي باستعمال مجارف وجدوها داخل البيت، ودفنوا بداخلها الجثث، بعد ذلك دخل رايكن إلى البيت ليطمئن على آيوجي الذي

كان متكئا على أحد الجدران، وهويحمل مسمارا صغيرا في يده، يقلبه بين يديه، فأسرع رايكن نحوه وقال: ارمه من يدك يا آيوجي، إن أردت أن تكون مثل هايشيد، فقلب عودا صغيرا في يدك. قال رايكن: ساعدني الآن يا بني في جمع الأغراض لأنه علينا الرحيل من هذه المنطقة، طبعا إذا لم تمانع. رد آيوجي: من دواعي سروري يا سيدي... أقصد يا أبي، لكن الظلام قد حل فكيف سنجتاز الغابة؟

– لثلاث مرات وأنا أعبرها وقد حفظت طرقها المتعرجة، لا وقت لطرح الأسئلة يا بني فالوقت جدّ حرج، أسرع. وهكذا جمع الاثنان الأغراض وخرجوا من ذلك البيت وركب آيوجي مع رايكن على ظهر الحصان وانطلقوا عائدين إلى قرية دانجيه.

الفصل الثالث عشر: الشخص الغامض

" يمكن القول أن أكبر الأخطاء هوأن يكون المرء غير مدرك للأخطاء التي يرتكبها "

توماس كارليل

كانت الأحوال تجري على أحسن ما يرام، وكانت الأيام بالنسبة للفتاتين متعة تغمر قلبيهما، في تلك الأجواء الرائعة للطبيعة الخلابة وتلك الراحة للعواطف قرب الأهل، ولكن سرعان ما بدأت الحياة تكشف عن وجهها السيئ، وتنزع أثواب السكينة والهدوء، وحلل السعادة والفرح، لتستبدلها بأثواب الكآبة والهم، وبدأت بإلقاء الظلال السوداء للأحزان التي أذهبت سرور تلك القلوب الناعمة والأرواح الصافية.

كان كل شيء رائعا، خاصة أن إيستارا الذكية خُدعت من طرف أمها، وهذا أثناء لعبة المطاردة، فقد كانت إيمي تركض لتمسك إما إيستارا وإما جوساي، وفي لحظة سقطت واتجهت إيستارا تجري نحوها لتطمئن على حالها، فأمسكتها إيمي وقالت: والآن أين ستذهبين؟ غبية، أتيت بمحض إرادتك لأمسكك، أما جوساي فانتابتها نوبة ضحك شديدة، في حين قالت إيستارا: لم تمسكيني، بل لعبتِ على عواطفي.

بدأ كل هذا الألم في أحد الليالي وكان بعد حوالي شهر من ذهاب مالفي وكوريسي عند الحكيم جايري وعندما أنهى الجميع العشاء الذي كان مميزا ورائعا.

أعدت إيمي في ذلك اليوم العشاء كعادتها مع أمها، كان طيبا وشهيا، كان مكونا من شرائح اللحم المشوي والأرز باللحم، وغير ذلك من المأكولات الشهية وكذلك عصير الفواكه الحلوالذي كانت تعدّه إيمي وهي تقول: لا شك أن إيستارا سوف تُسحر بمذاقه الرائع، كيف لا وقد أعددته بكل حب، وأنواع من الفواكه لذيذة الطعم، ورددت: خطواتنا صغيرة، أحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة، لتسمعها إيستارا. قالت هذه الأخيرة: كلمات مملة، حروفها كسلّة، فارغة مستلة، كالكستناء مبتلة!

– ما هذا الذي تقولينه يا مجنونة؟. ردّت إيستارا: وما الذي كنت تقولينه أنت يا أمي؟. ثمّ رددت إيستارا:خطواتنا صغيرة، وأحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة، لا، لا، يا أمي، لقد كسرت كل المعاني عند قول"الضفيرة"، لكن لا بأس، سأصححها. نادت على جوساي وبمجرد أن وصلت جوساي قالت لها رددي معي: علينا الرحيل، إلى حيث المجرات تميل، علينا فعل المستحيل، حتى نرى للأحلام دليل. ثم قالت لأمها: كوني متفائلة يا أمي وبدل أن ترددي خطواتنا صغيرة، وأحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة، ردّدي: علينا، علينا الرحيل، حيث المجرات تميل، علينا فعل المستحيل، حتى نرى للأحلام دليل، فجأة دخلت الجدة ياريكا وبدت تردد معهن، وقالت إيمي: انتظرن: علينا الرحيل إلى أين؟.

ابتسمت جوساي وقالت: علينا الرحيل إلى حيث المجرات تميل، وبدأن بالضحك، والفرحة العارمة تغمر قلوبهن، وعادت الفتاتان للعب في غرفتهما.

وأثناء وضع إيمي الأطباق فوق المائدة التي كانت مضاءة بأنوار جميلة لشمعة تتوسط المائدة أسقطت إيمي الشمعة دون أن تنتبه وانطفأت الشمعة،

ولحسن الحظ أنه كانت هناك شموع أخرى تنير المطبخ ومنعت الظلام أن يأسره بسواد قاتم وقد أصاب الشمع إحدى أصابع أمها التي كانت تضع في الأطباق معها فشعرت بألم طفيف، وتأسفت إيمي لما حدث لأمها ياريكا التي قالت: ما بك يا إيمي تبالغين في ردة فعلك تجاه الألم الذي شعرت به؟

نادت إيمي الفتاتين لتتناولا العشاء واللتان سرتا كثيرا بذلك العشاء الفاخر، حتى أن ظن إيستارا وجوساي ذهب إلى أن هنالك وليمة ستقام في المنزل وهما لا تدريان، وما شائتا طرح الأسئلة حتى تيقنتا أنه لا وجود لوليمة وهذا بعد أن غربت الشمس ولم يـأتي أي ضيف. اجتمعن على العشاء الذي كان شهيا ورائعا وكان العصير الذي أعدته إيمي حلوالمذاق وعندما قربت إيستارا الكأس من شفتيها نظرت إلى جوساي، لحظات فقط قبل أن تغمض عينيها البراقتين لتوهم جوساي أنه مر جدا فلا تشربه وبذلك تشرب إيستارا

كأسين بدل كأس واحدة، لكن جوساي تفطنت لحيلتها وأكملت أكلها، أما إيمي فقالت: انتظروني ريثما أعود، لقد نسيت أن أغلق الإسطبل. بعد مدة ليست بالطويلة عادت إيمي، وأنهين العشاء.

لم يسهروا في هذا اليوم كثيرا وقد خلدوا للنوم أبكر من العادة، وحوالي الساعة الثانية صباحا بدأت الأحصنة بالصهيل، وهوما جعل إيمي تستيقظ من النوم وأخذت مشعلا وتوجهت به نحوالباب، فتحته ببطء شديد حتى لا توقظ أمها والفتاتين وذهبت إلى الإسطبل وما إن رآها البرر حتى أخذ يمشي بمحاذاتها، فمسحت على رأسه قائلة: كأنك ذهبت للاصطياد وعدت، لم لا ترتاح؟

فتحت باب الإسطبل، والبرر الأبيض يتبع خطواتها، وبدأت تتفقد في

الأحصنة الواحد تلوالآخر فلم تجد ما يدعوللريبة وتفقدت المكان بأكمله، كان كل شيء على ما يرام، لكن انتبهت إلى أن أحد الأحصنة بدأ بالصهيل من جديد فاتجهت نحوه وأخذت تتفحصه.

لم يكن هناك أي شيء يدعوللريبة. فجأة لمحت إيمي عينان تلمعان ومباشرة ابتلعت ريقها من شدة الخوف. لم تتمكن من معرفة الشخص الذي قال: "آسف". وفي لحظة خاطفة كانت إيمي على الأرض دون حراك. أطفئ نار المشعل في حوض المياه ثم رحل، أما الببر الذي كان رافقها فقد عاد إلى الحديقة.

حل الصباح، واستيقظ الجميع نشطين لاستقبال يوم جديد تعمه الأفراح، ولكن الحياة دوما تفاجئنا، مفاجئاتها قد تكون أفراح وقد تكون أحزان، فتفرحنا لتقول أن الحزن ليس كل شيء، وتحزننا لتقول أن الفرح كذلك ليس كل شيء.

بعدما استيقظت إيستارا أيقظت جوساي وقالت: هيا انهضي يا كسولة ودعك من النوم، اتجهت إلى غرفة جدتها تجري والسعادة تملأ محياها، وكأن لديها شيئا تريد قوله.

استأذنت من جدتها للدخول فأذنت لها، وراحت تقبلها وقالت: جدتي، أين هي أمي؟ فلدي شيء أريد أن أطلعكم عليه. تابعت: أين هي، أين؟. فأجابت ياريكا: لعلها تهتم بالحيوانات يا ابنتي، لكن ما هذا الشيء الذي تودين قوله وجعلك تطيرين من الفرحة هكذا، أخبريني يا ابنتي؟

- كل الأحلام التي أراها في المنام تتحقق. اتسعت عيناها التي تأسران كل قلب، وقالت: احزري يا جدتي، سيجتمع شملنا، فقد رأيت في المنام أننا سوف نجتمع، وأردفت: سنرى جدي، أخيرا.

دخلت جوساي وقالت: أين خالتي؟. قالت إيستارا: عندما أريد أن أخبرها شيئا تكون مهتمة بإطعام الحيوانات، هيا يا جدتي، دعينا نذهب إليها فأنا جد متشوقة لأن أخبرها.

اتجه الثلاثة نحو الإسطبل وإيستارا تسرع في الخطى، وما إن اقتربت حتى بدأت تنادي: حبيبة ماما، أين أنت؟ تعالي يا روح ماما، ولكن ما إن دخلت ورأت أمها على الأرض حتى أسرعت ومسكتها من يدها، وهناك كانت الصاعقة التي عصفت بقلب إيستارا.

لم تكن إيمي تتحرك البتة، وكأن الموت ألقى عليها التحية، وما إن رأتها ياريكا كذلك حتى جثت على ركبتيها وضمت إيمي إلى صدرها والدموع تنسكب من عيونها، وكذلك جوساي، أما إيستارا فتوقف الزمن عندها.

قالت ياريكا بصوت كله بكاء: ابنتي، ابنتي، ابنتي... واسترجعت إيستارا الشعور بالزمن وقالت ياريكا: لا تموتي الآن ...

كانت هذه الكلمات كسيوف برق قطّعت ومزقت قلب إيستارا التي انفجرت منابع عيناها بالدموع، وبدأت تمسك في يد أمها تحركها يمينا وشمالا وتقول بصوت كله بكاء: ليس الآن يا أمي، أنا لم أتذوق بعد طعم حبك، أرجوك يا أمي لا تتركيني، لا يا أمي إني أتوسلك، لا تتركيني، وبدأت تصرخ بأعلى صوتها: أمي اسمعيني، لا ترحلي هكذا، وشحبت تعابير وجهها، ولونظرت إليها بتلك الدموع وذلك البكاء لوجدت كأنها تقول: ارجعي لحظة لأقول للموت أن يأخذني بدلا عنك يا وردة روحي.

سمع الجيران الصراخ، فهرعوا ينظروا ما الخطب، وحالهم كحال الجدة وجوساي وإيستارا، فلم يصدقوا ما تراه عيونهم حتى صاروا يحاولون إقناع أنفسهم أن الزمن أسرع كثيرا. قال غايد في سره: بدل أن يتقدم الزمن ليلة

تقدم سنينا أوأكثر، إن إيمي لا تزال صغيرة في العمر، لكن هيهات أن الموت يأبه بالعمر، ليس يهمه الرضيع ولا الصبي، ولا الشاب وليست تهمه أمنياتنا حققناها أم لا.

أظلمت السماء في عيون إيستارا في عز الصباح الصافي، وانكسرت مرآة عواطفها الرقيقة والحساسة، وتحطمت لوحة الهدوء والسكينة، ولم يعد للحياة لون يزينها. مسحت روسينات زوجة غايد على رأس الجمال والدموع تملأها وقالت: اصبري يا ابنتي، يجب أن نرضى بقضاء الله وقدره.

وقامت بعض النسوة بحمل إيمي لتغسيلها وقد تمتمت ياريكا لإحداهن بأن تترك الأقراط التي تضعها إيمي فهذه كانت وصية أبيها كيجابير بأن تدفن الأقراط معها.

جلست بعض النسوة مع ياريكا يواسينها، مرضعة إيستارا روزيلدا، والمعلمة إيزميليندا، أما روسينات زوجة غايد فضمت إليها كل من إيستارا وجوساي، وهي تحاول أن تواسيهما خاصة إيستارا التي لم تتوقف لحظة عن البكاء، فهي لم تكن تتوقع ذلك أبدا، وقامت عجوز مسنة بتغسيل إيمي وتكفينها، أما رجال القرية فقد ذهبوا لحفر القبر في مقبرة القرية التي لم تكن تبعد كثيرا عن منازلهم.

حمل غايد وبعض من الأقارب نعش إيمي فوق أكتافهم واتجهوا صوب مقبرة القرية لدفنها، ولم يكن الموكب الجنائزي يحوي جمعا من الناس وهذا بحكم القرية التي يعيشون بها، مشى غايد والآخرون إلى المقبرة التي أصبحت على بعد خطوات قليلة منهم، دخلوا إلى المقبرة، ووضعوا النعش من فوق أكتافهم على أرض المقبرة وقام أحدهم بفتح النعش، وما إن قاموا بوضعه حتى سمعوا صراخا يكاد يصم الآذان، فالتفتوا هنا وهناك ولم يروا أي شيء،

ومجددا سمعوا نفس الصراخ، فأخذوا يبحثون عن مصدر الصراخ، ليجدوا كونايشي مختفيا وراء الأشجار وهومن كان يقوم بالصراخ، فأنبه غايد دون أن يقوم بضربه، وقال بنبرة صوت آمرة وغاضبة: عد إلى المنزل قبل أن ينفد صبري. كان النعش يبعد عنهم خطوات قليلة، فعادوا إليه، وقال غايد لاثنان من إخوانه: دعونا نودع المتوفاة مثواها الأخير، ولنتمنى أن يكون قبرها منيرا، هذا وقد كان كل واحد منهم يداري في دموعه، لحظات فقط قبل أن يبدأ الرجال برمي التراب ببطء شديد، وبعد ارتفاع التراب قليلا قاموا بالإسراع نوعا ما في رد التراب، حتى انتهوا من مراسم الدفن وعادوا أدراجهم إلى القرية وكل يمني النفس بفعل الخير قبل أن يدخل ظلمة القبر.

كانت العيون دامعة والقلوب دامية، ولكن إذا حاولت أن تتمرد على القدر ستعجز، عليك فقط أن ترضى به مع الصبر الجميل.

لم تمضي إلا أيام قلائل حتى عاد كل شيء كما كان، ولكن هذا بالنسبة للجيران فقط، فصدمة موت إيمي كانت لا تزال آثارها في قلب كل من ياريكا وجوساي وإيستارا، وأكثر ما كان يخفف الصدمة ولوقليلا هوتعاطف الجيران معهم في كل يوم حتى يَنسَين تلك الفاجعة، فلا بد من النسيان، فالحياة لا تزال قائمة، ليس قسوة من القلب أننا نسى ولكن يجب علينا أن ننسى فيستحيل العيش مع الحزن والألم في كل لحظة.

أيام قليلة، لتذهب إيستارا وتمسك الدفتر الجميل الذي كانت قد أهدته لها صديقتها ريتومي، لتجد الكلمات الأخيرة التي كتبتها: رمال الحب تنساب بين ثناياك الليليه، وريح الشوق تعبر من خلال تفاصيلك المسكيه، زهور العمر تسأل عن مياهك الطيفيه، أطيار قلبي تريد أن تبهج لياليك الصيفيه، وأحاسيسي المكسورة سوف تجتمع في لمسة من أيادي أحلامك

الورديه، لتسبح في بحارك السحريه، وحملت الريشة وزجاجة الحبر وكتبت: تمنى القلب لوكنت لي نسمة أبدية، لكن الموت قال كوني نسمة بحرية، ترحل مع الريح في لمسة مخفية.

آلاف من اللحظات الجميلة التي أهديتها لي، لم تكن كفيلة لتجلي ظلام هذه اللحظات، ذكريات جميلة بقت عندما كنت أرتمي بين ذراعيك، في لحظة الألم، أوفي لحظة الفرح، أظلمت الأيام، فهل تضاء لوملئت كؤوسها بنور النجوم والأقمار؟... وقبل أن تكمل دخلت ياريكا وقرأت ما كانت تكتب حفيدتها، ثم ما لبثت أن قالت: كل ما علينا فعله هوالصبر الجميل في المصائب يا إيستارا، تحلي بالصبر يا ابنتي.

خرجت ياريكا مجددا لتعطي إيستارا بعضا من الوقت لوحدها، فعادت هذه الأخيرة تكتب: لم تعد للطبيعة الخلابة أية ألوان، ولم تعد لزقزقة الأطيار أية ألحان، كأن عيني يعاديها الضياء ولوحات السرور بالقلب يعاديها الصفاء، صار قلبي مرتعا مريحا للأحزان التي اكتست ثيابا زاهية الألوان، صار السواد للأيام عنوان، وصار الألم للأحاسيس سلطان، لم ألقى دروب البشر بالنسيان، بقيت فقط في صراع مع الأيام، لحظاتها تلقي بي إلى الآلام، نسيت شيئا واحدا فقط وهوأنه في يوم من الأيام، كانت لي في الحياة أحلام، والآن صارت كلها أوهام.

وهكذا ظلت تكتب ما يجري بخاطرها حتى غلبها النوم فنامت نوما عميقا.

بعد أيام قليلة من موت إيمي، اتجهت إيستارا لغرفة أمها لتنقل بعض الأشياء إلى غرف أخرى، ذلك بعد أن طلبت جدتها منها ذلك، فتحت إيستارا باب الغرفة برفق وبدأت نسمات الذكريات الجميلة تداعب خاطرها،

وبدأت تمسك في دموعها بصعوبة واتجهت مباشرة إلى النافذة لكي تفتحها وكان هبوب الرياح في الخارج يهب ببطء، وكأن الريح تلقي السلام فقط على الأزهار والأشجار وفجأة سمعت إيستارا صوت صفحات تقلب، لتجد أن الرياح الهادئة تقلب في صفحات دفتر موضوع فوق سرير أمها إيمي.

جلست إيستارا على السرير، وما إن همت بحمل الدفتر بيديها الدافئتين حتى قلبت الريح صفحة أخرى، وبدأت إيستارا تقرأ:اليوم من أسعد الأيام، فقد ذقت في نواحيه لحظات رائعة لأنني حققت أمنية من أمنيات ابنتي الغالية، بعد أن ضمدت جراح الببر الأبيض، وأنقذته من الموت، فلا شيء أغلى من شعاع فرح يملئ عيون ابنتي، لأن ذلك الشعاع نور في نواحي قلبي يبهج روحي.

لم تستطع إيستارا في هاته اللحظات حبس الدموع التي ملئت عيونها الجميلة ما إن بدأت تقرأ في مذكرات أمها، وبدأت بالبكاء بعد أن أغلقت ذلك الدفتر وضمته إلى صدرها، وحيّا قلبها ألفاظ أمّها بنبضه، واشتدت حرقة الألم في قلبها الصغير لتضمه بشدة، وكأنها تريد أن تمتزج مشاعرها وكل أحاسيسها في مشاعر وأحاسيس أمها التي كانت تكتب تلك المذكرات في الوقت الذي كانت تطلب من إيستارا الذهاب للنوم ولذلك كانت تبقى غرفة إيمي مضاءة بنور الشموع لحوالي ساعة بعد نوم إيستارا.

قالت إيستارا: لم تجيبي لماذا نور الشموع يبقى حتى وقت متأخر في غرفتك، وعرفت الإجابة عندما رحلت منابع الضياء، لوأنني عرفت أنك سترحلين لما استيقظت أبدا، ولا أردت سؤالك، لا بل حتى كنت لأمنع نوايا السؤال من التحليق في أفكاري.

وفجأة أنزلت الدفتر لتفتحه على آخر صفحة، كانت تلك الصفحة قد

كتبت نصفا فقط: اليوم، فعلت كل ما بوسعي أن أفعله لإسعاد ابنتي وابنة أختي، ولكن إيستارا لم يعجبها العصير الذي أعددته بكل حب وإخلاص، لذلك أنا آسفة، أسفة جدا يا ابنتي، أنت تعلمين أن كل ما أفعله يكون لأجل سعادتك فأنا آسفة ولعل الدموع التي ذرفتها عندما قلت أني نسيت غلق الإسطبل وأعود، لم تخفف ألمي عندما رأيت حواجبك ترتفع بل أنعشته فقط.

لا أريد سوى سعادتك يا مدلّلتي، وأرجوأن يصيبني الضرر قبل أن يفكر في إصابتك، وأتمنى أن تحققي كل أمنياتك، وأن تبصري كل أحلامك مجسدة أمام عينيك، سامحيني إذا شعرت بفرحة ولم أكن موجودة ولكن في غيابي حاولي إيجاد السعادة فأنت "عبقرية "وإيستارا نفسها ليست أفضل منك، وأخيرا سامحيني...

وضعت إيستارا الدفتر على السرير، وأخفضت رأسها وبدأت تبكي بشدة وهي تقول: لا، ليس كما ظننت يا أمي، ليس كما ظننت، لوعلمت ذلك ما كنت لأرفع بصري حتى يا أمي، سامحيني أنا المخطئة، وخرجت تجري من المنزل متجهة إلى المقبرة، لتجثوقرب القبر الذي كان منقوشا عل شاهده " إيمي آدلي - زوجة نومداكي جايكوي"، وكلها دموع وبمنظر يدمي القلوب وبدأت تقول:

تناديك دمعاتي، أرتكِ توسلي	يناديك قلبي، قال لا، لا لترحلي
أصبت نوى قلبي وذاك بدقّة	ويا بهجتي، إني بعطركِ أشمل
وبُعدك عني صار معنى تألمي	أرجّي الألم قربك، أحبّك فافعلي
بقلبي الذي قد شئته وبليلتي	أذيقيه ألوان العذاب فأحفِل
فمن لي سواكِ الليل تمسح دمعتي	وقلبي انتهى في حلمِ وصلٍ يُؤمّل

وكيف سروري إن يقيّدني الوجع؟ وكيف صفاء القلب بعدكِ يُقبل؟
وردّي سلام الروح، لا، لا لصدّه وأزكى التحايا في أمان ستُرسل

عادت إيستارا إلى المنزل، واتجهت إلى الغرفة التي تركت فيها مذكرات أمها إيمي، لتجد جوساي تحمل ريشة وهي تبكي، فقالت إيستارا بنبرة صوت حزينة: ما تفعلينه يا جوساي؟

لقد انتبهت إلى أن الحبر انتهى وكانت تريد أن تكتب: سامحيني إن لم أكن سببا في تحقيق أمنيتك أولم أستطع تحقيق أمنيتك، فمررت الريشة فوق الصفحة وها أنا أكمل ما كانت تريد كتابته.

لم تجد إيستارا ماذا تقول ولكن الدفتر الذي أهدته لها ريتومي صار أنيسا لها، فأخذت تكتب: حتى ولونزعت عطر الورود ورحيق الزهور، وعصرت أحلام اليقظة وأمنيات العمر لأمزجهما في كؤوس شوقي إليك لقلت لا تعبق من الكؤوس تلك غير رائحة الألم، لأني فقدتك، لأنك لم تعودي بجانبي، لأنك تركتني دون أن تودعيني. ضاقت دنياي، وما ضيق الحياة سوى الفراغ الذي بقلبي قد تركته، اكتأبت نجوم سمائي وأغلقت الحياة كتاب أفراحي وفتحت كتبا لآهاتي، قلبت صفحات عيوني علني أبصرك مرة أخرى، ونسيت ذكرياتي كلها علني أصنع ذكرى واحدة أخرى معك ولكن كل هذا دون جدوى.

كانت إيستارا غارقة في كتاباتها، أما جوساي فكانت غارقة في دموعها وهي تقرأ في مذكرات خالتها، قبل أن تقول لإيستارا: إيستارا: تعالي وانظري ماذا وجدت، لقد وجدت عقدا من الزهور بين الصفحات، انظري

كيف انضغط بين صفحات الدفتر؟

فكرت إيستارا في نفسها: هل يعقل أنها رأتني عندما كنت أصنع في ذلك العقد، وكيف عرفت أني كنت بصدد إهداءه لها؟ وبدأت هي وابنة خالتها بقراءة الصفحتين اللتان كان عقد الورود بينهما: يوم رائع جدا، فهذا اليوم أتت أمي وأختي، وزوجها، والرائعة جوساي، كانت إيستارا في الحديقة تصنع في عقد من الورود، ورأيتها من النافذة، لأسمعها تقول: ستفرح أمي كثيرا بهذا العقد، ولكن ما إن رأت خالتها ومالفي وجوساي، حتى تركته على الأرض وأسرعت نحوهم ناسية إياه، أليس رائعا؟ كانت نيتها أن تهديه لي وها هوعندي، أما أختي، عرفت أني تأخرت ولكن فسَّرت تأخري بأني مجنونة، كأنها لا تعرف أن الأمهات مجنونات بحب أبنائهن وبناتهن.

ذهبت إيستارا وجوساي مباشرة عند جدتهما ياريكا وألقتا بوجهيهما في حضنها وبدأتا تبكيان بحرقة كبيرة، والجدة ياريكا ما كان لها بدّ من مواساتهما.

الفصل الرابع عشر: ضيعة شايريدي

" اللون في اللوحة مثل الحماس في الحياة "

فينسنت فان غوخ

وتدريجيا بدأت المياه بالعودة إلى مجاريها، وبدأت أشعة فرح جديدة تطل، وهذا بعد اقتراب موعد عودة مالفي وكوريسي، وبدأ الفراغ الذي تركه غياب إيمي في القلوب يملأ شيئا فشيئا، فمع مرور الوقت يصير كل شيء مجرد ذكرى تمر على الأذهان، إن كانت جميلة نتمنى أن نبقى نفكر فيها وإن كانت سيئة نتمنى لوأننا لم نتذكرها وما نلبث أن نمسح الدموع ونطرد ذلك الحزن.

قبيل الخيوط الأولى للفجر استيقظت الجدة ياريكا، وقامت بالخروج من البيت في هدوء وسكينة حتى لا توقظ الفتاتين. خرجت وهي تحمل مشعلا بين يديها، وهذا بعد أن سحبت الباب دون أن تغلقه.

اتجهت إلى المقبرة وجثت أمام القبر الذي جثت قربه حفيدتها ثم غرزت المشعل في التراب، وسبقتها الدموع إلى التراب، وكأنها لم تكتفي أبدا من البكاء ولم تكتفي منها الدموع، وبينما هي كذلك حتى مر بالمقبرة ثلاثة رجال، يرتدون لباسا قرويا عاديا، واستوقف منظر ياريكا الباكي أولئك الرجال الثلاثة فاقتربوا منها في محاولة مواساتها، وقال أحدهم: خففي عنك يا أماه، الدعاء هوما ينفع الميّت، وليس البكاء.

قالت ياريكا: دعني يا بني أدعووأبكي، ليرد أحدهم: لا يمكن أن نلام

إذا بكينا على الأحبة، ولكن أكثري من الدعاء لها.

بقي الثلاثة يحاولون مواساة ياريكا، وقد كانوا لطفاء جدا، ثم عزمتهم ياريكا على تناول فطور الصباح عندها، وهوالأمر الذي لم يرفضه أي منهم، حتى أنهم فرحوا أشد الفرح، لكن قبل أن تبزغ شمس الصباح خرجوا بعدما ودعوا ياريكا وشكروها على حسن ضيافتها.

كي يتحقق القدر لا بد أن تتوفر الأسباب، بعد أن خرجت ياريكا نهضت إيستارا وخرجت من المنزل، خرجت ولكن لم تكن واعية أنها خرجت، فقد كانت تمشي وهي نائمة.

ما إن انتبه الببر الأبيض لخطوات إيستارا، حتى أخذ يتتبعها، دون أن يحدث أية ضجة وظلت إيستارا تمشي دون أن تعلم، وابتعدت عن القرية، لتذهب في اتجاه الشمال الشرقي لقريتهم والذي ينتهي السياج المحيط بالغابة عنده، فدخلت الغابة وأكملت المسير ولم يكن باطن الغابة هنا، مثل باطنها عندما دخلتها هي وابنة خالتها، ففي هذا الموقع كانت الغابة أشد خوفا خاصة ذلك الظلام الذي لم يكن معتادا، ولوأنارت شمعة لك لظننت أن زيتا أسود قام بدهن الأجواء ولم يترك بقعة صغيرة إلا وألقى صبغته تلك فوقها، شقت إيستارا تلك الغابة شقا وهي لا تدري.

أفاقت وكان الفجر على وشك أن يلون الأجواء بفرشاته العجيبة، ليترك عليها صبغة بلون أزرق مائل للسواد، تسارعت نبضات القلب لدى إيستارا، وتغيرت ملامحها ووضعت يدها على جبينها، وأخذت تمسحه ثم أخذت تقول: يا إلهي، أين أنا؟ ومن أتى بي إلى هنا؟ قبل أن ترد على سؤالها وتقول: إيستارا جايكوي هي من أتت بي إلى هنا.

أخذت تلف المكان بنظراتها وتنظر هنا وهناك علها تجد طريقا للعودة،

ولكن في كل مرة كانت تصدها الجذوع الخشنة للأشجار الطويلة تلك وكأنها تقول: حاولي يا صغيرة من الجهة الأخرى فأنا لا يمكن لي سوى أن أنهر أمَلك في إيجاد درب يعيدك لمنزلك ولا يمكن لي سوى أن أذيب آمالك في نار السراب.

وفجأة سمعت صوت حك فارتعدت جوانحها، وتبدد نور الحياة في عيونها، ولكن عادت واطمأنت لأن صوت الحك لم يكن إلا صوت حك الببر لرقبته بإحدى قائمتيه الأماميتين، فجثت إيستارا على ركبتيها ووضعت يديها على رقبته وضمته إليها وأخذت تقول: كيف سنعود الآن؟ فقدت أمي والآن فقدت نفسي في هذه الغابة؟

أضعت نفسي، وكيف تكون حرقة جدتي وجوساي عندما تستيقظان ولا تجدانني؟ ولكن استردت عزمها وقالت: يجب أن أجد طريقا للخروج فأنا لا أريد الموت هنا منسية.

في تلك اللحظات كان الخوف يملأ قلب إيستارا، لكن ومجددا، تلاشى الخوف من قلبها ما إن رأى محياها البديع. اختارت جهة عشوائية وانطلقت عساها تجد مخرجا.

بدأت تمشي وسط تلك الغابة، أحيانا تسرع وأحيانا تبطئ والببر تراه تارة خلفها وتارة يتقدمها، وأحيانا أخرى عن يمينها أوعن شمالها، وفجأة توقفت وقالت: تذكرت، هناك شيء كنت أود أن أفعله ولم تسنح لي الفرصة لذلك سأفعله الآن.

كان الببر قد توقف بمجرد رؤيتها تتوقف، أما إيستارا فقد أخذت نفسا عميقا حتى لم تعد رئتاها تتسعان لمزيد من الهواء وأخرجته ببطء، لتصرخ بأعلى صوتها، وجعلت قلوب أطيار الغابة تقفز من مواضعها وجعلت

وحوش الغابة تشعر أن هناك عفريت ما.

أما الأزهار والأشجار فقد كان لديها بعض الوقت حتى تصم آذانها بمساعدة الرياح الخفيفة وخففت من ذاك الصراخ، أما إيستارا فقالت: لم أكن أدري بأن لي صوتا جميلا كهذا، حتى أن صراخي جعل صوتي أجمل، سأعيدها، وصرخت مرات عديدة وليس مرة واحدة، وقالت: شعور رائع، حمدا لله أني أستطيع الكلام.

ركضت طويلا وحين كادت أن تفقد الأمل في الخروج من تلك الغابة وجدت نهرا كان تياره المائي قويا جدا. قالت في نفسها: حتى أنه ليس نفس النهر الذي غسلت منه المرة الأخيرة، لا بد أنه نهر آخر. مشت بمحاذاة النهر قليلا وفجأة لمحت جذعا يصل بين ضفتي النهر فأسرعت نحوه لتعبر النهر رغم أن الضفة الثانية كانت تحفها الكثير من الأشجار إلا أن إيستارا تابعت الركض مع الببر الأبيض حتى انتهت إلى درب ترابي مطل على الهاوية. الحمد لله، لقد خرجت من الغابة أخيرا، لكن الآن من أين أذهب؟ من اليمين أم من اليسار؟.... هل أذهب من اليمين أم أذهب من اليسار أم يجب علي الانتظار؟ يجب أن أختار وإلا سوف أنهار. قالت: لا هذا ولا ذاك، تسحر الدرب عيناك ويخجله محياك، انتظري فقط حتى يراك، ثم قالت: جربت كل الطرق التي أعرفها، لقد أنهكنا التعب يا ببري الأبيض الجميل، يجب أن نرتاح قليلا ثم نواصل المسير. ارتاح الجمال وببره الأبيض الجميل لفترة ليست بالطويلة، وهذا بالجلوس فوق صخرة على جانب الدرب، ثم اختارت الجهة الشمالية للدرب وركضت ومشاعر الفرح تغمرها، ركضت وركضت حتى رأت عدة نسوة كل واحدة منهن تحمل جرة فوق رأسها والأخرى في إحدى يديها. قالت إيستارا: حمدا لله فالقلب لاقى رجواه.

كانت هناك امرأتان في العقد الثالث، والأخريات عجائز لسن طاعنات كثيرا في السن، كُن يرتدين لباسا قرويا عبارة عن تنانير فضفاضة تصل إلى الكعب بعضها بيضاء اللون والأخرى رمادية، وقمصانا بيضاء، وأوشحة قماشية يضعنها حول الرقبة، كان شعر المرأتين اللتان في عقدهما الثالث أسود اللون ومضفورا، أما العجائز فكن يُغطين رؤسهن بأوشحتهن القماشية، لكن كان من الواضح أن الشيب نالهن.

قالت في نفسها: الخالق لم ينساك، ها قد ظهرت تباشير دعواك، ومررت راحة يدها ماسحة على شعرها الذهبي. نظرت للببر وأشارت إليه بالاختباء وسط الأشجار حتى لا يخيفهن، واتجهت نحوهن فألقت عليهن التحية وقالت لواحدة من المرأتين اللتان كانتا في العقد الثالث من العمر:

هل لي أن أسألك يا خالة عن القرية التي تدعى قرية "هاسماي"؟. تابعت: لقد ضللت الطريق ولم أعرف طريق العودة، أريد معرفة إن كان يوجد درب يعيدني لأني وصلت إلى هنا من خلال الغابة، لذلك فالطريق الذي أتيت منه لا يعيدني، إنه فقط يجعل الوحوش تريدني... فجأة انتبهت لنفسها وقالت: لا تُآخذيني رجاء فأحيانا أقفي الكلام!.

فهمت النسوة أن الفتاة أضاعت طريقها. كانت المرأة التي كلمتها إيستارا تشبه إيمي نوعا ما، نظرت إلى الأخريات وأشارت إليهن إن كن يعرفن القرية التي تكلمت عنها الفتاة، فرفعن رؤوسهن وكل واحدة تمسك الجرة التي فوق رأسها إما بيدها اليمنى أويدها اليسرى. أشرن بإشارة من شفاهن قليلا بأنهن لا يعلمن هاته القرية فقالت تلك المرأة: للأسف يا صغيرة نحن لا نعرفها.

لم تدري إيستارا ماذا تفعل، هل تستأذنهن أن تذهب معهن أوتمضي إلى

المجهول رغم صغر سنها، فقالت لنفس المرأة التي كلمتها قبل قليل: هل لي أن آتي معكن يا سيدتي، فليس لي أي مأوى بعد الآن ويمكن أن تقولي أني طائر شريد؟

نظرت تلك المرأة إلى النساء الأخريات اللواتي كن معها وكأنها في حيرة من أمرها ولا تدري ماذا تقول، وتريد أن تعرف رأيهن فابتعدن قليلا عن إيستارا بعد أن قالت لها: انتظري قليلا يا ابنتي. أشارت إحدى النساء لها لتتقدم نحوها، ولما دنت منها هاته الأخيرة قالت: أرى أن نتركها لتتدبر أمرها فنحن لو أخذناها لن نزيد إلا الطين بلّة؟

ردت المرأة الأولى: أنا أتفهمك، خصوصا أنه لم يتبقى الكثير على... فجأة قطعت كلامها ثم تابعت: ولكن إن تركناها هنا فهي في خطر كبير، كذلك، فالمسكينة لا تعلم إلى أين تذهب فكيف نتركها وحيدة، ولا شك أنها لم تأكل شيئا وتحاملت على جوعها. كانت إيستارا تنتظر في ردّهن ولكن بقيت صامتة، ردت نفس المرأة على كلام الأولى: لنأخذها معنا، وعند اقتراب ذلك اليوم نأمرها بالهرب، ما رأيك؟

فردت عليها المرأة الأولى: لا تكوني حمقاء يا سويريتا، فأنت تعلمين أن الهرب مستحيل. ردت سويريتا وهي تنظر للنسوة الأخريات: دعونا إذن ننتظر زوجة أخي ريثما تأتي وبعد ذلك نطلب رأيها، أقصد ماوريسي.

قالت المرأة الأولى: هذا رأي سديد، واستدارت لإيستارا قائلة: اصبري قليلا يا ابنتي. قالت إيستارا وجمالها قد أغرق الأرجاء من حولهم: لا بأس يا خالة.

بعد وقت قصير لمحت إيستارا امرأة أخرى آتية من الغابة، كانت تحمل كيسا مملوءا بالزهور تعلقه وراء ظهرها، وقالت للنسوة: أتعلمن شيئا؟ لقد

بذلت جهدا كبيرا حتى حصلت على هاته الأزهار الجميلة ونظرت لإيستارا فقالت: هاي يا صغيرة ما خطبك؟

كانت ماوريسي متوسطة القامة، ليست بالهزيلة وليست بالسمينة بهية الطلعة وبيضاء البشرة، تضع وشاحا أبيضا على رأسها ومن كلامها كانت تبدوأنها لطيفة للغاية، ثم أخبرت إيستارا ماوريسي بالمصيبة التي هي واقعة فيها.

دنت النسوة الأخريات من هاته المرأة، وقالت الأولى: ما الأجدر بنا أن نفعله يا ماوريسي، فهذه مشكلة كبيرة، أليس كذلك؟

- مشكلة، ولكن هناك حل، مدت ماوريسي يدها لإيستارا وقامت بمصافحتها قائلة: اسمي ماوريسي، والآن أنت تريدين القدوم معنا لأننا لم نعرف قريتك، لذلك لن نمنعك، ولكن إن أردت ألا تقعي في مشاكل أكبر فأنصحك بعدم القدوم وللأسف فنحن لا نعرف أي قرى أخرى قريبة.

- ماذا سأفعل؟ أنت تبدين لطيفة جدا، وكذلك الأخريات وتقولين هذا الكلام.

- أجل، نحن لطيفات، وهذا الصدق يا ابنتي، ولكن عندما نصل لقريتنا كذلك الكل لطيف وهناك شيء واحد ليس لطيفا ونتمنى ألا تعرفيه ونتمنى أن يلقاك أهلك عندنا هذا اليوم بالذات، أوأن تعرف أسرتنا قريتك هذا اليوم، لأنه بعد هذا اليوم ستصبحين فردا من أسرتنا ومن ثم تسري عليك قوانين أسرتنا.

ابتسمت إيستارا تلك الابتسامة الساحرة التي تجعل الشمس تخجل من البسمة التي تهدها عند الإشراق، وقالت: سآتي معكن وأنا المسئولة عن

هذا القرار يا خالة، ثم قالت إيستارا في نفسها بغرور: الفضول، الفضول، إنه الفضول.... أتمنى ألا يجدني أهلي ولا يعرف أفراد أسرتهم بقريتي حتى أعرف ما هذا الشيء الوحيد الذي ليس لطيفا.

قالت ماوريسي: حسنا يا صغيرة، لكن علينا أن نذهب لملأ جرار المياه من إحدى الأنهار، فإن شئت تعالي معنا وإن شئت يمكن أن تنتظرينا هنا، واعلمي أنك إن أتيت معنا فستمشين كثيرا، وإن انتظرتنا فإنك سوف تنتظرين طويلا، ولك الاختيار.

- لا بأس يا سيدتي، سوف آتي معكن فأنا أشعر بالعطش الشديد وكذلك الببر، لا بد أن يكون عطشانا كذلك، فاستغربت النسوة وقالت إحداهن: أأنت تهذين يا صغيرة، أين الببر؟

ما إن صفقت إيستارا للببر الأبيض حتى خرج، وما إن رأته النسوة حتى بدأن بالتراجع للوراء، شعرت كل واحدة منهنّ بالقشعريرة على أديم جلدها، وملأت الدهشة وجوههن، وتغيرت ملامحهن واتسعت عيونهن وارتفعت الحواجب فوق العيون وامتزجت عواطف الخوف في قلب كل واحدة، لكن سرعان ما تلاشى خوفهن، فقد كان جميلا ووديعا، بفروه الأبيض المخطط بالأسود وعيناه الزرقاوتين الجميلتين وأنفه الوردي.

قالت إيستارا: ما بكن؟ لا تخفن منه إنه لا يؤذي حتى آمره. هنا انكسر الحاجز الذي أقيم على إحساس كل واحدة لتقول إحداهن: من أين أتيت به أيتها الفتاة؟

- لقد وجدته في الغابة، كان جريحا يومها، فاعتنينا به وكبر حتى أصبح هكذا، ومن الجيد أنه كبر، فلا أحد يستطيع إيذائي ولا أحد يستطيع إيذاءه.

ناولت المرأة الأولى التي كلمتها إيستارا قربة الماء وقالت: هيا اشربي يا ابنتي وإن أردت المضي معنا إلى النهر فتعالي، أما إن أردت الانتظار، فانتظري ريثما نعود، فالآن لا تشعرين بالعطش.

قالت ماوريسي وهي تشير للمرأة الأولى التي كلمتها إيستارا: هذه يا إيستارا تدعى روميتا، وأختها تكون سويريتا وأشارت إلى سويريتا، وعرفت إيستارا بأسماء النساء الأخريات وقررت إيستارا الذهاب معهن للنهر لملأ جرار المياه.

بقين يتبادلن أطراف الحديث حتى وصلن إلى النهر، كانت مياهه شديدة البرودة ومنعشة جدا تحس بنسمة برودته أنها تتغلغل في كافة أنحاء جسمك، لتجسد طيفا يلامس روحك ويداعبها، وخرير مياهه المتعالي يثير في النفس حب الضجيج أما صفحته الزرقاء العذبة فتجد أنها تغري يديك، حتى تبدأ تضرب بيديك صفحته التي ما تلبث وأن تعود كما كانت ملساء مسطحة، وألقت كل واحدة جرتها لتملأها، وقالت روميتا لإيستارا: كما ترين يا إيستارا هنالك فرعين، الفرع الثاني لا علم لنا إلى أين يتجه، ويقولون أنه بدوره يتفرع إلى فرعين، أما هذا الفرع فيقولون أنه ينساب بين الغابات ولا يعلم أي أحد أين ينتهي، وأضافت قائلة: سمعت أبي مرة وهويقول أن مياهه باردة في الحر، وقبل أن تكمل قاطعتها أختها سويريتا وقالت: أخبرنا كذلك أنه في الشتاء تكون مياهه دافئة، لتنظر روميتا إلى أختها سويريتا وتقول: دائما تقاطعين الكلام وتصدقين خرافات أبي.

طلبت إيستارا من روميتا أن تعطيها جرة حتى تملأها، فنظرت روميتا للأخريات وابتسمت قائلة: حسنا، سنترك إيستارا تملأ هذه الجرة، موافقات؟ فوافقت كل واحدة وجعلن ينظرن إلى إيستارا.

أعطت روميتا جرة لإيستارا، وقربت إيستارا الجرة من جانب النهر لتقوم بملئها ولكن ما إن لامس فم الجرة صفحة المياه حتى أفلتت الجرة من يدي إيستارا بفعل التيار القوي للمياه، الذي لا تظن أنه بمثل تلك القوة حتى تدخل راحة يدك، فتحس أن يدك على وشك أن تنتزع.

شعرت إيستارا بالذنب لأنها أضاعت تلك الجرة، أما روميتا فابتسمت بوجه إيستارا رغم أنها لم يكن لها بد من ذلك وقالت: لا عليك فهناك جرار غيرها وأحضرت جرة من عند ماوريسي وقامت بمسك الجرة هي وإيستارا لتملآنها، وقالت: لا زلت أذكر أننا في أول مرة أتينا لملئ الجرار بالمياه عدنا بجرة واحدة وأضعنا كل الجرار الأخرى لأننا لم نكن نعلم أن تيار الماء قوي جدا، أما سويريتا، فقد دفعت برجلها جذعا إلى المياه وتثبت بين طرفي الفرع الأول، وقالت: هكذا إن أفلتت الجرار لن تضيع، فقالت روميتا: آه منك يا أختي، صحيح أنها سوف تسير مع مياه هذا الفرع، ولكنها ستتكسر عند اصطدامها بالجذع، أحيانا أظن أن ابنتك ميراي ورثت طباعا منك يا أختي.

بعد أن ملئن جرار المياه عدن وقصّت إيستارا على مسامعهن ما جرى معها والأحداث الأخيرة في قريتها وتأسفت النسوة كلهن لما أخبرتن أن أمّها توفيت منذ فترة وجيزة، ثم تابعن الحديث حتى دخلن في في درب مستوية تحفها الأشجار من الجانبين، كانت تلك الدرب مكسوة بالأوراق المتساقطة من تلك الأشجار، ويبعث منظرها الراحة في النفوس، وبعد أن مشين حوالي عشرين دقيقة في تلك الدرب، حتى لاحت بوابة خشبية مقوسة. دفعت ماوريسي أحد مصراعي البوابة برجلها ودخلت وتبعتها النسوة الأخريات والجمال كان خجولا بعض الشيء.

كانت إيستارا متجمدة عند البوابة في مقابلة ساحة كبيرة وفي نهايتها صف

من الأشجار تتخلله ثلاثة مداخل، لم تعرف الفتاة حتى كيف تتصرف، فهي لم تصادف طيلة حياتها أناسا غير أناس قريتها، وإن صادفت أناسا من غير قريتها، فسيكون أحد أقاربها فضلا عن اللصوص الثلاثة الذين لم تتضح لها تعابير وجوههم جيدا، لكن روميتا قالت لها: ما بك يا ابنتي؟ ستعتادين العيش، وأمسكت إيستارا من يدها وقالت: منزلنا يشبه ضيعة صغيرة تحوي عددا صغيرا جدا من الأفراد الذين يمكن عدهم على الأصابع، تقع في قلب إحدى الغابات، بين أشجار كثيفة فارعة الطول. أشارت إلى الجهة اليمنى من البوابة وقالت: تلك الجهة كما ترين يا صغيرتي تمثل غرف المعيشة.

كانت عبارة عن بيوت متواضعة من الطوب ذات أسقف قرميدية بها نوافذ صغيرة. ثم أشارت من جديد إلى الجهة اليسرى وكانت تتوزع بها ثلاثة حجرات ولكنها تبدوكبيرة ثم قالت: الحجرة الأولى من اليمين تمثل حجرة الشورى، الثانية مخصصة لنا إذا ارتكبنا الأخطاء، أما الثالثة فنسميها حجرة الفائز أوالمكافأة. سألت إيستارا: وما تلك المداخل يا خالة؟

المدخل الأول من جهة اليمين به إسطبلان، واحد للأحصنة وآخر للأبقار والماشية، وهناك مرج فسيح للرعي وبركة للإوز، وخم للدجاج، ولا تستغربي إن رأيت دجاجة تتجول في الساحة، أنت تعلمين أن الدجاج مشاكس، أما المدخل الثاني ففيه مساحة لنا نحن النسوة لغسيل الملابس وغزل الصوف لنسج الملابس والأفرشة، وهناك بئر ولكننا لا نشرب منه، ثم ترين مساحة واسعة عبارة عن حقول نزرعها بما يكفي عيشنا وهناك جزء مخصص للأطفال ولكن لا يدخلونه إلا إذا أقيمت.... فجأة قالت: حسنا، هكذا يتبقى المدخل الثالث الذي لا يهمّك يا ابنتي، أما الآن فتعالي معي لأعرفك إلى عائلتنا الصغيرة.

كانت الساحة فارغة وفجأة بدأ الأطفال يتدفقون من المدخل الأول وركضوا نحوإيستارا يطلبون منها السماح لهم أن يلعبوا مع الببر الذي كان بجانب إيستارا وزمجر ما إن رأى الصغار قادمين نحوه، وأبان عن أنيابه الحادة.

قالت إيستارا: ما بك؟ أحسن التعامل ولا تكن فظا معهم.

كانت النسوة قد وضعن جرار المياه وعدن مع بقية الأفراد. لحظات وبدأت تقول روميتا: لدينا ضيفة تدعى إيستارا جايكوي وهي من قرية هاسماي، فمن يعرف هاته القرية ليساعدها على العودة إلى ديارها، ثم قالت: آه، لقد نسيت، كنا وجدناها بينما كنا متجهات لملأ الجرار بالماء، وقد ضلت طريقها. نظرت إلى أحدهم، ثم قالت: هل تعرف هاته القرية يا أبي؟

نظر والد روميتا إلى إيستارا، ثم قال: لنعد إلى صلب موضوعنا، قالت ابنتي أنك تقطنين في قرية هاسماي، أنا لا أعرفها، لكن ربما يعرفها أحدنا، فاصبري قليلا.

سأل والد روميتا أفراد عائلته عن قرية هاسماي، لكن لا أحد عرفها، وقال هذا الأخير لإيستارا: إننا آسفون، نحن آسفون يا ابنتي، ولكن لا أحد قد عرفها، وفي هذه اللحظات شحبت وجوه النسوة، ولكن سرعان ما أخفين ذلك الشحوب، وقال والد روميتا: لا تقلقي يا ابنتي، يمكنك المكوث ريثما نجد قريتك، وسوف أرسل اثنان من أفراد عائلتي ليبحثا عنها، وأمر ابنته روميتا أن تهيئ غرفة لإيستارا حتى ترتاح قليلا، أما الببر فكان يرسم ابتسامات عريضة للأطفال الذين طلبوا بقاء إيستارا للعب معهم، إلا أن والد روميتا قال لهم: دعوها ترتاح، ألا تعرفون سوى اللعب؟

قالت روميتا لإيستارا: تعالي معي لتتناولي بعض الطعام، وبعدها

سأرشدك إلى إحدى الغرف حتى تنامي، وتأخذي قسطا من الراحة بعدها سيتسنى لي أن أعرفك بأفراد عائلتنا.

تناولت إيستارا قليلا، كان الطعام عبارة عن طبق من الأرز بالدجاج، وحساء الخضر، وبعد أن أنهت طعامها أرشدتها روميتا إلى إحدى الحجرات لتنام قليلا، وفي ذلك الوقت كانت روميتا قد أخبرت أفراد أسرتها بالأحداث الأخيرة التي جرت مع إيستارا وقالت أن الفتاة قد فقدت أمها، فقال شايريدي: يا للمسكينة، والدها لم يظهر له أثر منذ خمس سنوات إذن وماتت والدتها في الأيام الأخيرة، إن هذا أمر مؤسف حقا.

بدت روميتا وكأنها انزعجت، لكنها أخفت تعابير الانزعاج، فقد شعرت أنّ والدها تعامل ببرود تام مع ما حصل لإيستارا.

استيقظت إيستارا من نومها وهي تحاول الاعتياد على وضعها الحالي، وبعد العصر تسنت لروميتا فرصة التعريف بعائلتها.

أشارت أولا إلى أبيها وقالت: هذا أبي ويدعى شايريدي، كان شايريدي قصير القامة نسبيا، يبدو في الخمسينيات من العمر، ليس ضعيفا، ويتجه قليلا إلى السمنة، يضع عمامة على رأسه، لذلك لن تعرف أن شعره قليل الكثافة وأسود اللون إلا إن نزع عمامته، ونظرت إلى آخر، كان متوسط الطول ومعتدل الهيئة، ليس بالسمين وليس بالهزيل، ذوشعر شائب، وقالت: ذاك

عمي ويدعى ريوساي، وهما أعيان هذا المنزل، وأشارت إلى أمها التي كانت هيئتها تشبه هيئة ياريكا، جدة إيستارا، ولكنها كانت سمراء قليلا، وقالت روميتا: هذه أمي واسمها لايفيتا، وأشارت إلى زوجة ريوساي، كانت امرأة يغلب عليها الطول، ونحيفة نوعا ما، بشعر أسود، وقالت روميتا: هذه زوجة عمي ريوساي، وتدعى جودفيتا، وهناك عمي الأصغر وبجانبه

زوجته، يدعى دوكيجواي وزوجته رياكشا، كان دوكيجواي معتدل الطول ببشرة بيضاء وكذلك رياكشا، وبقي ثلاثة شبان، أحدهم طويل، واثنين معتدلي الطول، وقالت روميتا وهي تشير إلى الشاب الطويل: هذا يكون ابن عمي ريوساي، ويدعى جينيوسي، ثم أشارت إلى شاب من الشابين الباقين، كان وسيما، ذوشعر مجعد قليلا، وقالت هذا يكون زوجي، ويدعى آريناي وأشارت إلى الشاب المتبقي وكان ذا عينان خضراوتين، وقالت: هذا يكون زوج أختي سويريتا ويدعى كايفيري، وأضافت: دون أن أنسى إخبارك أن جينيوسي يكون زوج ماوريسي. كان الرجال يرتدون سراويل فضفاضة وقمصان طويلة حد الركب، وما عدا والدة روميتا التي كانت سمراء البشرة قليلا، فالآخرون كانوا ذوي بشرة بيضاء، وما عدا كايفيري، الذي كان ذا عينان خضراوتين، فقد كانت كل العيون الأخرى إما سوداء وإما بنية.

قالت روميتا: الآن قد عرفت أفراد أسرتنا، أما الأطفال فسوف تتعرفين عليهم أثناء اللعب.

بعد أن غربت الشمس، أوقد الرجال نارا عظيمة وتلونت كل الأجواء باللون المائل للبرتقالي، وعم الدفء كل شبر وقام بتحية أبواب المنازل، ليدخل ويتربع في أركان كل غرفة، واجتمعوا على العشاء الذي لم يسبق لإيستارا أن رأت طريقة عشاء مثل ذلك العشاء، فقد فرشت قطعة قماشية عريضة نسبيا وطويلة على الأرض الناعمة في الجزء الأيمن من الساحة، وقامت النسوة بوضع المأكولات وبعد ذلك جلس الكلّ متربعين، الرجال في جهة وتقابلهم النسوة في الجهة الأخرى، كل رجل تقابله زوجته، أما الأطفال الصغار فقد جلس كل طفل إما بجانب أبيه أوبجانب أمه، وجلست إيستارا بجانب روميتا، وتنوع الأكل بين لحم مشوي وخضر مطبوخة وألوان من الفواكه، والطبق الرئيسي عندهم، أرز بالدجاج ، دون نسيان الماء طبعا، أما البر فقد

كان ذهب قبل الغروب بحوالي ساعتين ليصطاد وعاد قبل أن تنذر الشمس بأنها سوف تغرب لتفسح المجال للقمر ويتربع الليل خلفا للنهار.

كان عشاءهم طويلا جدا فقد كانوا يأكلون ببطء شديد وهذا ما جعل إيستارا تكثر في الأكل لأنها كانت تأكل أسرع منهم، ولوأنها لم تكن تسرع في الأكل حقيقة، وهذا ما جعلهم ينظرون إليها بأبصار تكون منخفضة إلى الأرض، ولكن إيستارا لم تنتبه لهم أبدا.

بعد إنهاء العشاء توجه كل واحد إلى غرفته فقد كانوا ينامون بعد الانتهاء من العشاء مباشرة، وهذا الشيء لم يعجب إيستارا ولكن كتمت استيائها ولم تبده، وذهبت إلى إحدى الغرف التي كانت أعدتها لها روميتا من أجلها وبقي الببر قرب باب الغرفة التي دخلتها إيستارا لكي تنام بداخلها وتريح جسدها من التعب الذي نالها، وتريح أحاسيسها من الفاجعة التي ألمت بقلبها المكسور بعدما حدث.

استلقت إيستارا على الفراش بعدما سحبت روميتا الباب عند خروجها، بقيت تحدق بعينيها في ذلك الظلام حتى فاجأتها الدموع ما إن تذكرت الأيام الرائعة التي كانت تقضيها مع أمها إيمي واللحظات الجميلة معها، كذلك لحظاتها مع جدتها وابنة خالتها جوساي وتقلبت على جانبها الأيمن واضعة يدها على جانب رأسها، وهي تبكي بحرقة على غدر الحياة وكيف أن القدر يقلب صفحة السرور حزنا ويقلب صفحة الحزن سرورا ما إن تلون قلوبنا السعادة وما إن نظن أن السرور دائم لتكون المفاجأة أمواج من الحزن تتلاطم بين الجوانح لتكسر الكيان، وتحاول إيجاد طريقة لتكسر ضلوعنا وعندما لا تستطع كسر الضلوع نشعر أنها تشفق علينا ولوقليلا.

توقفت إيستارا عن البكاء ولم يكن النعاس قد داعب جفونها بعد،

فنهضت واتجهت نحوالباب لتفتحه، رمت ببصرها تلقاء النار التي كانت متقدة، كانت النار قد صارت جمرا لونه قريب جدا من الاحمرار وفي كل لحظة تسمع صوتا يشبه صوت كسر حبة البندق، يصدر من قطع الخشب المحترقة، وكأن النار تعزف لحنا خاصا بها، ولكنها ذكرت إيستارا بابنة خالتها جوساي لتحاول إغراقها في الدموع من جديد. اقتربت من الجمر الذي كان يصدر حرارة تكاد تجعل الجسد يتعرق، لولا البرد الذي يقف في وجه الحرارة تلك فيجعلها تخف وتكتفي بإلقاء الدفء فقط في الأجواء، وكان الببر الأبيض قد مشى خلفها، وما إن جلست حتى جلس بقربها وأخذت إيستارا تنعم بذلك الدفء البديع وتمسح على عنق الببر الذي كان يجد الراحة ما إن تمرر إيستارا يدها، وبين الفينة والأخرى تراه يرفع رأسه فينظر يمينا ويسارا ويعود ليترك رأسه على التراب الناعم، وإيستارا تتذوق طعم تلك اللحظات التي لم يكتمل حسنها بعد أن غابت أمها وصارت بعيدة عن جدتها وابنة خالتها، وصارت سماء فكرها حالكة تكاثفت فيها غيوم الفراق ولكن عاد قليل من الصفاء عندما تذكرت قول شايريدي أنه سيرسل أحدا ليعرف قريتها، وبعد انطفاء الجمر، عادت لتنام، ونامت نوما عميقا، وهذه المرة حتى لوخرجت لتمشي وهي نائمة، فلن تضيع لأن البوابة الخارجية تغلق، أما تلك الأشجار فتعارض لها لوحات خشبية مرتفعة حوالي متر ونصف عن الأرض.

الفصل الخامس عشر: لغز الضيعة

" الفنّ ليس الحقيقة، الفن هوالكذبة التي تجعلنا نرى الحقيقة "

بابلوبيكاسو

في الصباح الباكر استيقظت إيستارا ونهضت من فراشها ولم تكن قد فتحت عينيها جيدا، وعندما فتحت الباب ونظرت في الساحة وجدت أن النسوة والرجال كلهم قد استيقظوا، وما إن رأتها روميتا حتى قالت لها: صباح الخير إيستارا، أرى أنك استيقظت باكرا، أليس كذلك؟ أم أن الفراش لم يكن مهيئا جيدا ؟. لترد إيستارا: لا، فقد نمت جيدا وشكرا على لطفك الكبير يا خالة، وأثناء الحديث استيقظ الصغار كلهم وأقبلوا نحوالبئر لغسل وجوههم منه، وشكلوا صفا ليغسل كلٌّ وجهه، الأول فالأول وما إن وضع أحدهم يديه بقرب الدلووضمهما، حتى مسكت روميتا بيديه قائلة: انتظر يا بني، فإيستارا استيقظت قبلك وهي أحق أن تكون أول من تغسل.

نادت روميتا إيستارا لكي تغسل وجهها، فقالت إيستارا: لا عليك، دعيهم يغسلوا وبعدها أغسل، فنظرت إليها روميتا وقد رفعت حواجبها وقالت: هيا يا إيستارا كوني فتاة مطيعة وتعالي اغسلي وجهك.

وهكذا غسلت إيستارا وجهها أولا. وكانت هناك منشفة لكل واحد، معلقة الواحدة تلوالأخرى على خيط متين مربوط بين شجرتين وبينما كان الجميع يتناولون فطور الصباح حتى قال شايريدي لآريناي وكايفيري: هيا قوما واذهبا حتى تستفسرا عن القرية التي تسكن فيها إيستارا، فنظرت إليه

إيستارا وقالت بصوت مؤدب: أستأذنك يا عم، ولكن دعهم يكملوا فطور الصباح بعدها يذهبوا، سيكون هذا جيدا ولن يأخذ وقتا طويلا.

– لا يا ابنتي، إذ لا تكاد تسيغ لي لقمة واحدة وأنا أعلم أن في بيتي فتاة ضائعة عن قريتها، وأكباد أهلها تحترق عليها، ولواستطعت لذهبت البارحة أستفسر عن قريتك، ولكن للأسف فكما ترين أنا شيخ كبير ولا يمكنني المشي إلا بضعة أمتار والجلوس بعدها لأخذ الراحة، وما إن أتم حديثه حتى أمر الاثنين مجددا أن يذهبا ويستفسرا عن موقع القرية ويخبرا أهل إيستارا أن هذه الأخيرة مقيمة عندهم وأنهم سيأتون بها، طبعا، هذا إن وجدوا القرية.

نهض الاثنان وقبلا رأس شايريدي وودعوا الجميع وانطلقوا أما الباقون فقد أتموا تناول الفطور وبعدها اتجه الصغار لكي يلعبوا وكانت معهم إيستارا وذهب جينيوسي ليرعى الغنم، واتجهت النسوة تقمن بعملهن إما لحلب البقرات أوغسيل الأواني والملابس وما إلى غير ذلك، أما شايريدي والآخرون فقد ارتشفوا كؤوسا من القهوة ثم اتجهوا إلى المرج المخصص لرعي الخيول والماشية.

كان شايريدي يبدوشارد الذهن، فابتسم أخوه ريوساي قائلا: ما بك يا شايريدي، لا تقل أنك تذكرت تلك الرسالة قبل عامين؟ أجاب شايريدي: لوكنت أنت المقصود فيها لما ابتسمت يا ريوساي، على كل حال أنا لا أفكر فيها، وكل ما علينا فعله هوأن نبقى حذرين من ذلك الشخص، فقد نفذ قوله في العام الفائت، ولا بد أنه سيحاول تنفيذه هذه السنة حتى يحقق ما قاله في الرسالة.

كانت الساحة كبيرة جدا وكانت لذلك المنزل نواحي كثيرة وكان الأطفال يجرون ويمرحون ومن دون شك أن إيستارا كانت نسيت أحزانها

وهي تلعب مع الصغار، وفجأة بينما كانت تركض وراء إحدى الفتيات وكانت ابنة سويريتا حتى وصلتا إلى إحدى النواحي وكان المدخل المؤدي لها هو المدخل الثالث دون أن ينتبه لهما أحد.

شدّت هاته الأخيرة على لباس إيستارا وجذبته برفق، فجأة قالت: عذرا يا إيستارا، لكن ما يوجد في جيبك؟.

أجابت إيستارا: إنه عطر أهدته لي أمي، على أية حال، ماذا هناك؟

– شددتُ على لباسك حتى أقول لك أنه تجدر بنا العودة. تابعت: هناك شيئان، الأول هوأن اسمي ميراي، والثاني هوأنه لورآنا جدي هنا لقام بضربنا فهولا يقبل أبدا أن نأتي إلى هنا، علينا أن نكون حذرتين عند الخروج وإلا فسوف نقع في ورطة كبيرة.

كانت ميراي تقريبا بعمر إيستارا، فتاة نحيفة، بيضاء البشرة، في طول إيستارا، ذات عينان رماديتين وشعر يميل للاصفرار ليس بالقصير، ترتدي سروالا فضفاضا بقميص يتجاوز حد الركبة أبيض اللون.

– لكن لماذا يا ميراي؟ هل هناك خطر إذا أتينا إلى هنا؟ أنا صراحة أرى أنها مكان هادئ، خصوصا أنها بعيدة نسبيا عن النواحي الأخرى، أليس كذلك؟

فردت ميراي عليها قائلة: حسنا سأطلعك على سر ولكن إياك أن تبوحي به، أوتخطئي وتبوحي به ويستحسن أن تنسيه ما إن أخبرك به مباشرة، فوافقت إيستارا.

– حسنا تعالي معي، ركضتا مسافة قصيرة قبل أن تصلا إلى شيء كان مغطى كليا بقماش أسود، لا يُعلم إن كان بناء خشبيا أوحديديا أوترابيا

أوشيئا غير ذلك، ولكن الخيارات الأولى هي التي تتبادر للذهن ما إن تقع على رؤيته العين، كان ارتفاعه يفوق العشرين مترا بقليل، وقالت إيستارا: ما هذا يا ميراي؟ أنا لا أرى إلا هذه القطعة القماشية السوداء، ما هذا الشيء الذي خلف هذا القماش الأسود؟

– للأسف يا إيستارا لا أحد من الأطفال يعلم، وقد حاولنا مرات عديدة أن نعرف ولكن دون جدوى، والأمر الذي لم نفهمه كذلك هوكيف لهذا القماش أن لا تقطعه السكين، حاولت ساديت أن تمزقه ولكنها فشلت في إحداث ولوثقب صغير. وقالت ميراي: حسنا دعينا الآن نذهب فسينتهي أمرنا لورآنا أحد، ولكن بينما كانت ميراي تتكلم حتى أحست الاثنتين بيد فوق كتفيهما وارتعبت ميراي وصار وجهها شاحبا وبدأت أصابعها الصغيرة بالارتعاش ودقات قلبها بدأت تتسارع وكادت لتصرخ من شدة الرعب الذي أحاط جوانح قلبها، أما إيستارا فقد تجمدت في مكانها وشعرت بخوف شديد ما إن تذكرت قول ميراي حول ما سيحدث لورآهما جدها، وكالعادة، ماذا يحدث للخوف إن رأى وجه إيستارا البديع، يتلاشى نهائيا!

سمعتا صوتا خافتا: ماذا تفعلان هنا يا مشاغبتين؟ لورآكما جدي سينتهي أمركما، والآن سينتهي أمرنا نحن الثلاث لورآنا هنا.

استدارت كل من إيستارا وميراي، من حسن حظهما أنه كان كايسوابن ماوريسي فهدأت الاثنتان وعادت الطمأنينة لتملأ نفسيهما وقالت ميراي: ماذا تفعل هنا يا كايسوإذ يجب أن تكون مع الأطفال الآخرين تلعب؟

كان كايسوفي الثانية عشر من العمر، قصير القامة، أبيض البشرة، ذووجه وسيم وعينين بنيتين، تكاد السمنة تخطفه، وقال: حري بي أنا أسألكما أنتما الاثنتان هذا السؤال، ولكن لا بأس، دعونا نعد وبعد ذلك أجيبك يا ميراي

ما الذي أتى بي إلى هنا.

عاد الثلاثة وبدأوا باللعب مع الصغار وما هي إلا لحظات قليلة جدا حتى رأت إيستارا وميراي وكايسوشايريدي وإخوته عائدين من المرج. قالت ميراي: تخيلوا ماذا كان سيحدث لنا لوكنا لا نزال هناك. فقال كايسو: ببساطة سيحدث لنا ما حدث لساديت منذ عامين، تتذكرين؟. وقبل

أن تضيف ميراي أي كلمة، نظرت إيستارا إلى كايسووسألته عما جرى لساديت هذه، فقال: منذ عامين، على ما أذكر، ذهبت ساديت لتلك الناحية وكانت شديدة الفضول لمعرفة ما ذلك الشيء المغطى بقماش أسود وشديد الإحكام عليه إلى درجة الظن أنه ملتصق به، كان هذا في أحد ليالي فصل الصيف حين أخذت شمعة معها وتسللت خلسة إلى تلك الناحية وبدأت في محاولة تمزيق القماش الأسود الذي يغطي الشيء الغامض الذي لا نعرف ما هو. تابع كايسويقول: لم يكن باستطاعتها أن تمزقه أوتحدث فيه ولوثقبا صغيرا وحاولت أن تنزعه من الأسفل وكذلك لم يجدي ذلك نفعا، فقد كان القماش ذاك أقرب ما يكون مدفونا في الأرض، وبينما هي كذلك حتى رآها أخ جدي فصرخ في وجهها وانهال عليها بالضرب وفي صباح الغد تعرضت لضرب شديد، حبست في إحدى الغرف، وصارت تضرب كل خمسة عشر يوما قبل الغروب بعصا غليظة، خمسين ضربة على يديها ومئة على رجليها لمدة عامين، وهذا العام فقط أين عادت حياتها إلى سابق عهدها وتوعدونا بعقاب أشد إن حاولنا الاقتراب من ذلك المكان، لذلك لا نقترب أبدا منه ثم قالت ميراي: الآن يا كايسو، لماذا أتيت إلى تلك الناحية فقد سألتك ولم تجب؟

– ميراي، أنت حقا بلهاء، كنت ألعب مع الأطفال وفجأة لم أركما وبحثت

عنكما في كل الأرجاء فلم أجدكما وتبقى خيار وحيد وهو تلك الناحية فأتيت ووجدتكما فيها، لكن لماذا ذهبتما إلى هناك، أقصد لماذا أخذت إيستارا إلى هناك وأنت تعلمين العقاب؟

– لقد كنا نلعب لعبة المطاردة ولم أنتبه بينما كنت أجري وإيستارا تطاردني حتى وصلنا لتلك الناحية، لقد قلت لإيستارا أن نذهب ولكن بدأت بطرح الأسئلة علي وأنا أجيب حتى أتيت أنت لحسن الحظ ورجعنا لمتابعة اللعب.

كانت إيستارا شاردة الذهن قليلا بعد أن أجابت ميراي كايسو، وبعدها ضربت على كتف كل من ميراي وكايسو قائلة: أصدقائي لقد وجدتها.

بدأ الاثنان بالضحك وقال كايسو: ما الذي وجدته يا إيستارا، هل عرفت ما الشيء المغطى بقماش أسود، هيا تكلمي؟

أنصتا إلي جيدا: أنا ضيفة عندكم ليس إلا، لذلك إن سرت صوب تلك الناحية لن أتعرض للعقاب وقد أضرب أو أطرد لا غير، لذلك سأذهب إلى تلك الناحية وأحاول كشف الحقيقة التي تقبع وراء ذلك القماش الأسود ما رأيكما بهذا؟

قالت ميراي: لا بد أنك مجنونة، هل تظنين أنهم سوف يتسامحوا معك وهم لم يتسامحوا معساديت؟ وأتبع كايسو قائلا: هم لم يتسامحوا مع القريب، فكيف يتسامحوا مع من يرونه غريبا، عجيب تفكيرك يا إيستارا، فردت عليهما إيستارا: لا تكونا غبيين، أنا لا أعلم بأن تلك الناحية يعاقب من يذهب إليها، لذلك لن يقع علي العقاب، فهمتما الآن، فهذه تكون ورقتنا الرابحة يا أصدقاء.

قال كايسو: مستحيل، أنت ضيفتنا ولن نتركك تخاطرين من أجل معرفة

شيء فيه خطر علينا فهم منعونا لأنهم يعلمون أن هناك خطرا علينا إذا ما ذهبنا، لذلك دعونا منه وهيا نستأنف اللعب من جديد.

- أنا أدري وأعلم كامل المعرفة أنهم يريدونكم أن لا تتعرضوا للخطر خصوصا أنهم طيبون، لكن لا تنسوا أننا صغار والصغار فضوليون، لذلك بعد الانتهاء من الغداء هذا اليوم سأذهب عمدا إلى تلك الناحية وعندما يأتي العم شايريدي أوغيره سأسأله عن الشيء المغطى بالقماش الأسود، بما أنه لم تتسنى لكم فرصة السؤال ثم قالت: ولكن لماذا لم يضعوا حاجزا على تلك الناحية إن رأوها خطيرة؟. تابعت: فالأجدر وضع حاجز أوما شابه، فهكذا لن يتجرأ أحد على الاقتراب وينتهي الأمر وهذا خير لكل من الطرفين.

بقيت إيستارا تفكر في السبب الذي منعهم من أن يضعوا حاجزا فيستحيل مخالفة أمرهم، وينتهي الأمر. لم تجد ميراي ولا حتى كايسوجوابا مقنعا لسؤال إيستارا، فجأة سمعوا صوت فتاة تصرخ بصوت عال وهي فاتحة ذراعيها وتجري بشكل متعرج فالتفت إيستارا لتراها، أما الصغار الآخرون فقام كل منهم برفع راحة يده وضرب جبهته ضربة خفيفة وقالت إيستارا: من هذه؟

فأجابها كايسو: إنها الفتاة التي تحلم أن تطير في كل لحظة لأنها فرحت يوما ما فرحة عارمة جعلتها تريد أن تطير من شدة الفرح ولكن لم تستطع الطيران فأخبرتنا أنها لم تستطع أن تعبر عن فرحتها الحقيقية لكنها ستبقى تحاول أن تطير ولوبالجري هكذا وما إن أتم هذا الأخير كلامه حتى وصلت هذه الفتاة ومدت يدها لإيستارا لتصافحها، فصافحتها إيستارا وقالت هذه الفتاة: اسميساديت، ماذا تريدين أن تعرفي؟

نظرت إيستارا إلى كل من ميراي وكايسو وقالت: هل هذه حقا ساديت،

ساديت؟ فردت ميراي: إنها ساديت وهي ابنة خالتي روميتا.

نظرت إيستارا إلى ساديت وقالت: إذن أنت هي ساديت.

كانت ساديت فتاة جميلة جدا، أطول من إيستارا، بيضاء البشرة ذات عينين شديدتا السواد، وواسعتين، نحيفة قليلا وشعر أسود حريري يصل حد منتصف ظهرها، في عمر إيستارا تقريبا أوتفوقها قليلا.

اقتربت ساديت من إيستارا ثم أمسكت وجنتيها وأخذت تجذبهما برقة في وسط دهشة إيستارا. قالت ساديت: يا ذات العيون الزرقاء الواسعة... كأن ملمس بشرتك أزرق، كزرقة عيناك!.

قالت إيستارا: رجاء لا تسترسلي في المديح ، فأنا أعلم، لوكان لي توأم حقيقي لكنت أجمل منه، وما أريد أن أعرفه... وقبل أن تكمل كلامها قالت ساديت: انتظري، لا تكوني مغرورة فأصحاب الغرور لا يتعلمون واثنان لا يتعلمان كما تعلمين الخجول والمتكبر.

ابتسمت إيستارا وقالت: معك حق ولكن من قال لك هذا نسي أنني استثناء، والآن أجيبي، لَمَ لمْ يضعوا حاجزا هناك وينتهوا من الأمر.

ارتسمت على وجه ساديت ابتسامة عريضة زادت من جمالها وقالت: للأسف لن أجيبك بما أنك تظنين أنك استثناء.

– على كل حال الجاهل هومن لا يجيب لذلك علينا الترفع عن جهله، وإطلاعه على السؤال الذي حاول التستر بمعرفة جوابه. قالت: إيستارا: قمة الطاعة أن نبقى بعيدين عما نهينا عنه برغم أننا نستطيع القيام به وما أرادوه منكم هوالطاعة فقط، فقالت ميراي: جميلة وذكية، عليك الاعتراف يا ساديت أنها ذكية. قالت ساديت: معك حق ولكن يجب عليها التخلي عن

غرورها هذا لأنه سوف يسقطها يوما ما.

قالت إيستارا: يا ويلي، يا ويلي لقد أخفتني، والآن اسمعي أنا لا أرتقي، لذلك لا أسقط.

ضحكتساديت وقالت: أخيرا دفعت ثمن غرورك وهوأنك غبية لأن من لا يرتقي يبقى في مكانه. فقالت إيستارا: معك حق في جملتك الأخيرة، يبقى في مكانه وهذا يعني أني سأبقى أعتلي القمة ولن أبرحها، لكي تعلمي، الذين أرادوا القمة هم من يسقطون ولكن مَنِ القمة أرادتهم فمستحيل أن يسقطوا.

قالت ساديت: ما هذا؟ لم ألتقي في حياتي شخصا يدافع عن غروره بهاته البسالة، هل هذا يعني أن الغرور جميل أم ماذا؟

- لا، كنت أمزح فالتواضع رفعة ولكن الحقيقة أنه في بعض الأحيان يُفهم أنه غرور يا صديقتي، وهنا صرخت ساديت بصوت جدّ عال وقالت: يووووي... يوووي لقد نادتني صديقتي، لقد نادتني صديقتي، وهذا ما جعل الجميع يضحك من غرابة رد فعل ساديت، أما ساديت فقد وضعت يدها على كتف إيستارا وقالت: أنا فضولية، وقبل أن تكمل قالت إيستارا: لذلك قلت صديقتي.

- تعنين أنك فضولية، إذن تعالي معي لأريك شيئا.

- رأيته وانتهيت، والآن أريد أن أعرف ماذا يوجد تحت ذلك القماش الأسود يا ساديت، لذلك يجب أن نستخدم ذكائنا حتى نرضي فضولنا.

- عامين وأنا أضرب، ولكن لا بأس، من أراد أن يعرف فعليه دفع الثمن، مسبقا أوآخرا، والآن ليست لدي أي فكرة يا إيستارا عما أفعله لكي أعرف،

ولأزيد فضولك يا إيستارا توجد عندنا سراديب ولا يدخلها سوى جدي شايريدي، حتى أنها تشد فضولي أكثر من هذا الشيء المغطى بهذا القماش الأسود، وكذلك أظن أنه لا أحد يعلم ما يوجد في السراديب سوى جدي.

قالت إيستارا: دعينا من السراديب الآن، كانت لدي فكرة وقد أخبرت كلا من ميراي وكايسوعنها ولكنهما رفضا أن أخاطر بنفسي، فقد أخبرتهم أنه بما أنني ضيفة هنا سأذهب وعندما يأتي الجد سأسأله، وأكثر شيء سيفعله حينها هوطردي، ما رأيك؟

قالتساديت: أنا لا أريدك أن تخاطري، ولكن هذه الفكرة كانت لتنجح لوكان جدي شايريدي غبيا، والآن اقترب موعد الغداء.

كان هناك في وسط الساحة جرس كبير يقرع إذا حان وقت تناول فطور الصباح أوالغداء، أوإذا حان وقت تناول العشاء وبعد الغداء كان الصغار مجبورين كلهم على أخذ القيلولة بعد الظهيرة.

اجتمع الجميع كما جرت العادة ليتناولوا الغداء وكان طعاما متواضعا وهذا بعد أن غسل الأطفال أيديهم وما إن انتهوا حتى اتجه الأطفال كلهم لأخذ القيلولة وكان الببر قد عاد من صيده واتجه مباشرة نحوإيستارا واحتار الجميع في ذلك التناغم بينه وبين إيستارا وعاد الصغار كلهم نحوإيستارا ليحظوا بلمس الببر الأبيض، ففروه الناعم كان يحرّك المشاعر، قبل أن يقول شايريدي: اذهبوا يا أبنائي لأخذ القيلولة، وبعدها يمكن أن تلعبوا معه إن رضيت ايستارا ثم ابتسم في وجه إيستارا وقال: وأنت يا ابنتي كذلك اذهبي لأخذ قسط من الراحة، وقالت روميتا: كوني مطيعة يا إيستارا حتى تستعيدي طاقتك وتكملي اليوم وأنت نشطة.

دخل الصغار الغرف واتجهت إيستارا نحوالغرفة التي نامت فيها بالأمس

وكان البر يمشي أمامها قبل أن يناديها شايريدي قائلا: إيستارا، هل يمكنك القدوم معي لخمسة دقائق فقط إن كنت لا تمانعين؟

- بالطبع يا عم شايريدي فلا يمكن أن أرفض لك طلب خصوصا بعد معاملتك الحسنة لي، فقال لها: ارجعي فأنا لا أحسن بالمقابل، وقالت إيستارا: لست قادمة لأنك عاملتني معاملة طيبة، أنا آتية لأنك طلبت قدومي، وذكر معاملتك كانت اعترافا بالجميل ليس إلا.

- ذلك واجب يا ابنتي. ما إن وصلت إليه إيستارا حتى أمسك يدها الصغيرة واتجها صوب تلك الناحية وقالت إيستارا في نفسها: لابد أنه سيقول لي أن لا أقترب من ذلك الشيء، لذلك لا بد أن أسبقه بالسؤال حتى أتمكن من الحصول على الإجابة وبينما هما ماشيان حتى قالت إيستارا: عم شايريدي إلى أين نتجه؟

رد شايريدي: سوف تعرفين يا ابنتي، ولكن لا تسأليني بعد هذا السؤال أي شيء اتفقنا. ردت إيستارا: حسنا اتفقنا، وهنا علمت إيستارا أن ذلك الشيخ كان شديد الفطنة فقد جعلها تخسر فرصة السؤال عن ذلك الشيء. قالت في سرّها: لكن لدي حل بديل.

ما إن رأت إيستارا ذلك الشيء المغطى بقماش أسود حتى سبقت الشيخ شايريدي بالسؤال وقالت: ما ذلك الشيء يا عم شايريدي؟

- ألم توافقي على أنك لن تسأليني أي سؤال يا ابنتي بعد سؤالك عن المكان الذي نتجه إليه؟

- نعم وافقت، ولكن نسيت لذلك سألتك ثانية فهلا أجبتني من فضلك؟. قال شايريدي: سؤالك الأول لم تحصلي على إجابته وها هي إجابته،

لقد كنا نتجه إلى هذا المكان، أما سؤالك الثاني فقد ذكّرتك أنك وافقت على أن لا تسألي أي سؤال آخر لذلك نحن متعادلان الآن.

ذهلت إيستارا بإجاباته ولكن لم تكن لتستسلم بسهولة خاصة أنها كانت مصممة على معرفة الإجابة فقالت: عم شايريدي لماذا لا تتكرم علي وتجيبني فعندما كنت بحاجة إلى مأوى آويتني دون شروط والآن عندما أردت إجابة عن سؤالي لم تتكرم بالجواب.

- حسنا، سأجيبك عن سؤالك، ولكن تفطنت إيستارا أنه من الممكن أن يكون بناء خشبيا أوما شابه من مظهره الذي يبدوعليه، لذلك قد يجيبها شايريدي بأنه بناء مغطى بقماش أسود، لذلك قبل أن يبدأ شايريدي بجوابها، قالت: انتظر يا عم شايريدي، انتظر قليلا.

نظر هذا الأخير إليها وقال: ماذا هناك يا ابنتي؟ هل تراجعت عن معرفة الجواب أم ماذا؟

- لا يا عم، ولكن أن يكون الإنسان معافى ليس كأن يقال له أنه معافى، لذلك ما رأيك أن تساعدني على رفع ذلك القماش وأعرف الإجابة بنفسي، ولا شك أن تقديم يد المساعدة شيء جميل، وبذلك لن تضطر لإعطاء الجواب وسأعرفه بنفسي، فما رأيك؟

ما إن سمع شايريدي ما قالته إيستارا حتى ضم أصابع إحدى يديه حتى صارت قبضة كاملة وبعد ذلك أخذ نفسا عميقا وأخرجه، وكأنه كظم غضبا عارما تولّد في داخله.

قال شايريدي: سامحيني يا ابنتي ولكن لا يمكنك أن تري ما يوجد هناك، لذلك الآن أنصحك أن لا تقتربي من هذا المكان أبدا وإن حدث ورأيتك هنا

فلست مسئولا عن العقاب الذي سنلحقه بك، أمَا والآن قد علمت أنه يجب عليك الابتعاد عن هذا المكان طيلة مكوثك هنا، هيا نعد لتأخذي قسطا من الراحة وتستأنفي اللعب مع الأطفال الأخرين يا ابنتي وأكرر اعتذراي لك مجددا.

– لا، أنا من يجب عليها أن تعتذر لأنك تريد النفع لي من وراء نصيحتك، ولوقلت لي من الأول أنه لا يجدر بي أن أعرف ما يوجد وراء القماش الأسود ذاك لما طرحت عليك أي سؤال ولقلت لك سمعا وطاعة والآن أكرر اعتذاري فأرجوك أن تسامحني.

تبسم شايريدي في وجه إيستارا وقال: شكرا لك يا ابنتي على تفهمك. ثم عادا من تلك الناحية حتى وصلا إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وقال: أتمنى لك يا ابنتي نوما هادئا، فقالت إيستارا: شكرا لك يا عم وأكرر اعتذاري منك فأرجوأن تسامحني، فرد شايريدي قائلا: لا عليك، لا عليك يا ابنتي. وذهب هوالآخر ليأخذ قسطا من الراحة وقبل أن تغلق إيستارا الباب استدار شايريدي وقال:عديني أن هذا سوف يبقى سرا ولا تخبري أيا من الآخرين من فضلك، فقالت: حسنا لن أخبر أحدا؟

– طلبت أن تعديني بأنك لن تخبري أحدا، فقالت إيستارا: أعدك يا عم شايريدي أني لن أبوح بأي شيء لأي من الآخرين، ولن أعود إلى تلك الناحية أبدا، أسعدك هذا؟

قال شايريدي: شكرا لك، وذهب، أما إيستارا فقالت في نفسها: سأرى فقط إن كانت ساديت ذكية أم لا؟

بعد حوالي ساعتين أوأقل بقليل استيقظ الجميع من القيلولة واستيقظ الأطفال كلهم واتجهوا نحوالغرفة التي كانت إيستارا نائمة فيها وبدأوا بقرع

الباب والمناداة باسمها لكي تخرج، فقد كانوا متحمسين جدا للعب مع البر الأبيض، فخرجت إيستارا إليهم وكأنها استيقظت للتوفقط، أما الحقيقة فهي أنها لم تغمض عينيها ولومرة واحدة إلا إن كانت رمشة للجفون فقد ظلت تفكر في ماهية ذلك الشيء المغطى بقماش أسود، ولماذا أراد شايريدي من الأطفال ومنها أن يظلوا بعيدين عنه وأن لا يقتربوا منه خطوة واحدة، حتى أنها فكرت في طريقة تمكنها من المكوث عندهم وقتا أطول، حتى تعرف السر المخبأ وراء القطعة القماشية السوداء العظيمة تلك فهي لن تهدأ حتى تعرف الإجابة. بعد الاستيقاظ من القيلولة تعالت أصوات الصغار في تلك الساحة الكبيرة الممتدة الأطراف، وبدأ الصغار يلحون على إيستارا حتى تسمح لهم باللعب مع البر الذي لم يسمح لهم بالاقتراب منه عندما كان قرب باب الغرفة التي تنام إيستارا فيها، فقالت: تعال يا بري الأبيض الجميل، ولا تكشر عن نابك الطويل، بدأت إيستارا تمسح على فروه، وألقتساديت يدها على فروه الرطب والناعم ولكنه كشر عن أنيابه في وجهها وارتعبت كثيرا وتراجعت بسرعة للوراء، وهنا ضربته إيستارا ضربة خفيفة على عنقه فجلس أرضا كأنه يطلب السماح من إيستارا، قالت هذه الأخيرة: ساديت تقدمي ولا تخافي.

فاقتربت منه ساديت ثانية وبدأت تقرب في يدها منه ببطء شديد وكانت لا تزال خائفة والأطفال الآخرون يترقبون بأعين خائفة وفجأة مسكت إيستارا يد ساديت وجذبتها حتى جعلتها تلامس الفروالناعم وقالت: قلت لك لا تخافي وانتهى الأمر، لن يؤذيك، وبدأت ساديت تمسح على فروه، لم تكن مصدقة كم أن فروه رطب فعلى الرغم من وضوح رطوبة فروه، إلا أنها عندما لامسته وجدته أرطب مما كانت تتوقع وأقبل كايسووالأطفال الآخرون بعدما استيقنوا أنه لن يؤذي أحدا وكانوا في أوج السعادة وكأنهم

لم يسعدوا في حياتهم سعادة كتلك، ورأى شايريدي فرح الأطفال فأقبل هوكذلك وقال لإيستارا: هل سيؤذيني لولمسته أنا يا ابنتي؟

- لا لن يؤذيك يا عم شايريدي، فأقبل هوكذلك يداعب بيده الببر ورأته روميتا وبعض من النسوة أثناء حلب البقرات فقالت روميتا: لا يزال يلعب مع الأطفال كعادته فقالت لها أختها: أجل يا روميتا ولكن يؤسفني أنه لم يستطع أن يتخلى هوواعمامي عن ... وقبل أن تكمل كلامها وضعت روميتا يدها على كتف سويريتا وقامت بدفعها دفعة قوية جعلتها تسقط، لتجد هذه الأخيرة عمها ريوساي يلقي إليها يده ويعينها على الوقوف، وقالت روميتا: سامحيني فقد فقدت توازني ووضعت يدي عليك دون قصد.

ردت عليها هذه الأخيرة: لا عليك ولكن في المرة القادمة احترسي، وقال ريوساي: هيا لا تكونا مثل فتاتين صغيرتين، وقالت سويريتا: شكرا لك يا عمي لأنك ساعدتني على الوقوف بعد أن سقطت.

- هيا أكملا عملكما ولا تنسيا أنه يجب عليكما مخضه ليصبح لبنا ولا تنسيا ترك كمية كافية من الحليب فلدينا ضيفة يجب إكرامها.

وتوجه نحوشايريدي الذي كان لا يزال مع الأطفال يحمل هذا تارة ويحمل ذاك تارة أخرى وقال: هل تسمحون لي باللعب أم لا؟

فقال شايريدي: حاول أن تمسك أحدنا إذن، وكم كانت تلك اللحظات لحظات رائعة جعلت طيور الفرح تبسط أجنحتها مجددا على قلب إيستارا وتشعره بالأنس وذوق الطمأنينة الذي فقدت طعمه في الأيام الماضية ورأت شايريدي يجري وراء أحد أحفاده فسقط أرضا واتجه الحفيد ليطمئن على جده فأمسكه شايريدي وضمه بين ذراعيه وقال: ها قد أمسكتك الآن أخيرا وهنا استرجعت إيستارا ذكرياتها مع أمها إيمي، واسترجعت ذكرى مثل

التي حدثت أمامها الآن تماما، وكادت الدمعة تسقط من عينها، حتى رفعتها ذراعا ريوساي في السماء، ثم أعاد مسكها بين يديه قائلا: نحن نلعب وأنت شاردة الذهن.

قالت إيستارا: لا، كنت أفكر فقط كيف أمسكساديت وهنا رفعها عاليا مرة أخرى لتعانق عنان السماء ومسكها مجددا ووضعها على الأرض قائلا: عندما نكون نلعب لا نفكر، نلعب وحسب فلا يهمنا فوز أوخسارة، لا يهمنا إلا شيء واحد فقط وهوأن نكون سعداء وأردف قائلا: تذكري جيدا، أثناء اللعب نسعد فحسب، وأكملوا اللعب أما سويريتا فقد شكرت أختها روميتا على دفعها وإلا لحدث شيء سيء لها لوسمعها عمها، وغيرتا الموضوع مباشرة وأكملتا حلب البقرات وما إلى غير ذلك وبعد الانتهاء التحقتا بالنسوة، وفي هاته اللحظات اتجهت ميراي نحوإيستارا وقالت: إيستارا، أريد أن أطلب منك شيئا صغيرا، أتمنى أن تتكرمي علي بتحقيق هذا المطلب الصغير، فردت إيستارا: طبعا يا ميراي اطلبي فقط، وإن استطعت فهذا واجب لأنك صديقتي فهمست ميراي في أذن إيستارا قبل أن تراهما ساديت وأتت مسرعة إليهما وأول ما قالت هو: ماذا همست في أذنك يا إيستارا، قولي لي رجاء؟ فردت إيستارا: لا، هذا مستحيل، وقالت ميراي: أحسنت يا إيستارا، لا تخبريها ودعي الأمر سرا بيننا. قالت إيستارا: أخطأت يا ميراي فالجملة وُجهت لكليكما وليست لساديت فقط.

- إنه طلب صغير جدا يا إيستارا فلماذا تبالغين كل هذا الحد؟ وقالت ساديت: لكن أخبريني يا ميراي ما هوهذا الطلب الصغير؟

- دعك، دعك يا ساديت فلوأخبرتك ستقولين أن إيستارا فتاة أنانية.

- ليست أنانية مني يا ميراي، لوكان شيئا آخر للبّيته بدون تردد، لكن

طلبك هذا لا أستطيع تلبيته، أنا آسفة، أسفة جدا يا صديقتي وعانقتها قائلة: يوما ما إن شاء الله سأهديك شيئا أجمل منه بكثير فافرحي.

ابتسمت ميراي وشعت عيونها فرحا وقالت: حقا ما تقولين، ما هوما هو؟

- ماذا دهاك يا ميراي؟ يجب أن يكون مفاجآة وإلا لن يكون جميلا ولن يفرح قلبك. قالتساديت: حسنا، سأعطيكما هدية الآن.

نظرت كل من إيستارا وميراي إلى ساديت وقالت ميراي: ما هذه الهدية فلا أتذكر أنك قدّمت لي هدية من قبل؟. فجأة تلقت الاثنتان ضربة خفيفة على رأسيهما من ساديت وقالت: ولا واحدة أرادت أن تخبرني، ما رأيكما بهديتي أليست جميلة؟. قبل أن تقول ميراي: لا تزالين هنا، ستأخذين مني هديتين وما إن همت ميراي بردّ الضربة لساديت حتى صرخت ساديت: ميراي، تعالي إلى هنا.

في هذه اللحظة ميراي تجمدت في مكانها وضربتها ساديت ضربة ثالثة خفيفة قائلة: أيتها الحمقاء. وهمّت ساديت بالركض قبل أن تجد يدا من الخلف تمسك يدها وكانت إيستارا التي قالت: نسيت أمري تماما، ماذا ستفعلين الآن؟ وقالت ميراي: انتظري قليلا حتى أريها من أكون... فجأة تركت إيستارا يد ساديت وقالت لميراي امسكي بها إن أردتِ الثأر، فأنا مسكتها لأجلي ولكن قررت مسامحتها.

قالت ميراي: ياااااه... ما أرقّ قلبك؟.

فجأة لمحت عيون ميراي ماوريسي تمشي في الأرجاء فاتجهت نحوها وهي تجري حتى احتار الصغار كلهم وقالت كل من إيستارا وساديت: هل هي

مجنونة أم ماذا؟. ما إن وصلت ميراي عند ماوريسي حتى قالت لها: أريد أن أقول لك شيئا ولكن اقتربي لأهمس لك. انحنت ماوريسي وهمست ميراي في أذنها بضع كلمات حتى صدرت ضحكة من ماوريسي، وقالت: بسيطة سأتكفل بالأمر يا ميراي وعادت ميراي نحو الصغار تلعب وقالت لإيستارا وساديت: لن أبوح لكما بأي شيء هذا لكي لا تسألاني وقالت لساديت: لا تتوسلي فلن أخبرك، فردت ساديت: لست مهتمة!.

الفصل السادس عشر: الشاب الصامت

" العدالة دون قوة عديمة الجدوى، والقوة دون عدالة استبداد "

بليز باسكال

بعد عصر ذلك اليوم بوقت قصير أتى لذلك المنزل شاب يرتدي لباسا رماديا، طويل القامة ومعتدل الجسم، وسيم الوجه، ممتلئ العضلات حسب ما يوحي منظره، ذوبشرة بيضاء وعيون واسعة شديدتا السواد، ولعل أن أكثر ما يميزه هوشعره الطويل الأسود المنسدل على كتفيه، رفع يده اليمنى محييا كلا من شايريدي وأخاه وبقي بعيدا عنهم حوالي ثلاثة أمتار.

رفع كل من شايريدي وأخوه يده اليمنى لرد التحية عليه، وأرسل شايريدي كايسوإلى النسوة فأحضر كيسا ليس بالصغير وليس بالكبير، كان كايسوقادرا على حمله دون مشقة أما الكيس فقد كان مملوءا بالصوف على الأرجح أوشيئا آخر من خيوط النسيج.

تقدم كايسونحوالشاب، لكن إيستارا طلبت من كايسوأن يسمح لها بحمل الكيس للشاب فوافق. حملت إيستارا الكيس لذلك الشاب، ووضعت الكيس أمامه، فرفع ذلك الشاب كُميه قليلا وكانا يغطيان راحة يده، إلا إذا قام برفعها. انحنى ثم وضع على الأرض قطعا ذهبية، وبينما هويتفحص محتوى الكيس، نزلت إيستارا إلى الأرض لتحمل القطع الذهبية. قال الشاب بصوت منخفض: لا يجب أن نعتقد في لحظات السعادة أن كل شيء يجري

على أحسن ما يرام، فلا ندري ما الذي تنسجه أيادي القدر

بخيوط فرحتنا لتُبديها لنا في المستقبل، وهذا لا يعني أن نضع الحسابات في كل مرة ولكن يجب فقط أن نحسن التعامل، في السعادة أوفي الحزن، أي أثناء السعادة لا تغتر وأثناء الحزن لا تحزن أكثر مما ينبغي، هذا كل شيء، اعرف كيف تتعامل مع الموقف، واحذري من الألعاب دون أن تقلقي.

نهض الشاب ووضع ذلك الكيس على كتفه، وهم بالمغادرة. استدار وبدأ يمشي، كانت في مشيته هيبة كبيرة، أما إيستارا فحملت القطع الذهبية في حين كان ذلك الشاب لم يتوارى بعد عن الأنظار، فجأة توقف واستدار ثانية. نظر بتمعن في كل من شايريدي وأخيه والأطفال حتى وقعت عينه على إيستارا مرة أخرى فنظر إليها وكأنه يتمعن فيها. رفع يده مودّعا إياهم وذهب بعدها مباشرة.

أما إيستارا فكانت تسترجع الكلمات التي قالها لها، خاصة " احذري من الألعاب دون أن تقلقي "، ثم توجهت إلى شايريدي وسلمته القطع الذهبية وواصلت اللعب، في حين أن شايريدي وأخاه جلسا تحت ظل شجرة يستريحان.

غربت الشمس، واجتمع الجميع على العشاء كالعادة، وانتهى العشاء كالعادة، والتغيير الوحيد هوأن إيستارا طلبت من روميتا أن تسمح لها بالنوم في غرفةساديت وميراي، وهوالشيء الذي وافقت عليه روميتا دون أن تستفسر لماذا أوأي شيء آخر.

لم تكن إيستارا تطلب ذلك عبثا، بل كانت تريد أن تضع خطة مع ساديت وميراي لكشف الشيء المغطى بالقماش الأسود واجتمعت الفتيات الثلاث في غرفة واحدة وبدأن يخططن لمعرفة ذلك الشيء دون أن تتعرض أي واحدة

للتعذيب، ودون أن يكشف أمرهن أوحتى أن يُشكَّ في نواياهن.

كانت الغرفة مضاءة بأنوار ثلاثة شموع كل واحدة موضوعة في صحن حديدي ومعلقة في وسط ثلاث جدران من البيت إلا الجدار الذي كانت الباب فيه فلم تكن هناك أية شمعة، جلست كل واحدة في مكانها وبدأن يتحدثن بصوت خافت حتى لا تصدر أية ضجة.

قالت إيستارا لساديت: كان معك حق يا ساديت فجدك ليس غبيا، إن كنت ذكية فافهمي.

ردت ساديت: كنت أعلم أنه ليس غبيا وأن خطتك السابقة ستفشل، ولا بد أنكما ذهبتما لتلك الناحية وأخبرك بعدم الاقتراب.

قالت إيستارا: جيد أنك فهمت، والآن من منكما لديها خطة لأرى إن كنا سننجح في تنفيذها أم لا؟

قالت ساديت: لدي خطة ولكن لا أدري إن كانت ستنجح أم لا، لتقول ميراي: قوليها فقط، وبعدها نقرر إن كانت ستنجح أم لا.

اسمعاني: ذلك الشاب الذي أتى اليوم هوالحل، ونظرت لميراي قائلة: أنت تعلمين أنه يأتي كل ثلاثة أيام ليشتري الصوف منا، لذلك عندما يأتي في المرة القادمة تذهب واحدة منا لتلهيهم فالجد شايريدي والأعيان سوف يكونون حاضرين، لأنهم دائما ما يكونون هناك عندما نسلمه الصوف، واثنتان تذهبان لتلك الناحية وتحاولان معرفة ما الشيء المغطى قطعة القماش الأسود، ما رأيكما؟.

ما إن أكملت ساديت كلامها حتى قالت ميراي: فكرة عبقرية يا ساديت، هكذا ستتمكن من معرفة السر فقالت إيستارا: إنها فكرة سيئة، سنقع في يد

التعذيب لو أخذنا بكلامساديت يا ميراي. قالت ميراي: لكن لماذا؟ وتابعت تقول: عند إلهائهم لا يمكن لأحد أن يرانا، أمّا الآخرون فيكونون مشغولين بالأعمال اليومية.

قالت إيستارا: تذكَّري أن ساديت وجدت القماش ذلك وكأنه ملتصق، لذلك سيكون الوقت قصيرا جدا لنرفع القماش ولوقليلا ونعرف إن كان بناء مشيدا بالطوب أوبلبنات حجرية.

قالت ميراي لساديت: لقد أخبرناها بالقصة، ثم نظرت إلى إيستارا وقالت: بما أن هذه الفكرة ليست سديدة، لدي فكرة أخرى ولكن يجب أن ننتظر حوالي خمسة عشر يوما أخرى للأسف، وهنا نهضت إيستارا من مكانها وأسرعت نحوميراي قائلة: أخيرا ربما فكرة جيدة، هيا أخبرينا بها يا ميراي؟

بعد خمسة عشر يوما من الآن ستقام الألعاب، وتذكرت إيستارا أن الشاب كان قد أخبرها أن تحذر من الألعاب، في ذلك الحين كانت ميراي تواصل حديثها قائلة: لكن دعينا من تلك الألعاب الآن، ما أقصده هوأنه خلال التحضيرات تتسلل واحدة أواثنتان إلى تلك الناحية وهكذا نعرف السر ذاك، أما الثالثة فتنبهنا إن كان هناك أحد قادم.

قالت ساديت: فكرتك سيئة كذلك، أنت تعيشين هنا، ألا تعلمين أنه لا توجد إلا طريق واحدة للعودة، والتنبيه لا يجدي نفعا حينها.

عادت إيستارا إلى فراشها وهي تفكر كيف يمكن التسلل ومعرفة السر ذاك وبينما هي تنظر نحوالسقف حتى رأت رقّا كان ألصق

في السقف، ومكتوب عليه بعض الجمل ولكن لم تستطع قراءتها، حتى بعد أن نهضت ورفعت بصرها. قالت لساديت وميراي: هاي صديقتي، من

منكما تخبرني عن ما هومكتوب؟ فأنا لا أستطيع القراءة من هنا، فردت عليها ساديت: في كل غرفة هناك رقّ كهذا ولكن لم نخبر عن محتوى أي منهم، جدي أخبرنا بأنها قوانين هذه الأسرة التي تطبق على كل من يخطأ، كبيرا كان أوحتى صغيرا ونحن لا نعرف القراءة لذلك لم نفكر بشأنها.

نظرت إيستارا لكلتا الفتاتين وابتسمت لهما وقالت: احملاني لأحاول قراءة محتواه، فوافقت الاثنتان وقابلت كل واحدة الأخرى وضمتا أيديها وصعدت إيستارا فوق أيديهما، ولكن سرعان ما سقطت وسقطت الاثنتان، وقالت إيستارا وهي تحاول أن تكتم الضحك: قلت احملاني، ولم أقل دغدغاني!

قالت ساديت: ما بك، يجب أن تتحملي، أنت تعلمين أن راحة القدم موضع من مواضع الدغدغة. وقالت ميراي: تذكري أن هذا الوقت ليس وقت الضحك يا إيستارا وبهذا لن تشعري بأي دغدغة.

- ربما. قالت إيستارا.

رفعت كل من ساديت وميراي إيستارا مرة أخرى وتحاملت هذه الأخيرة على رغبتها بالضحك وبدأت تقرأ، وما إن انتهت من القراءة حتى فقدت توازنها وسقطت على الفراش المعدّ لساديت وكذلك سقطت ساديت وميراي، وسرعان ما بدأت ثلاثتهن بالضحك بصوت خافت ولحسن الحظ لم تتأذى أية واحدة منهن.

قالت ميراي أخبرينا الآن يا إيستارا: ماذا كان مكتوبا على ذلك الرقّ فربما كان فيه شيء يساعدنا على معرفة ما هومغطى بقطعة القماش السوداء تلك.

- إنها بعض القوانين التي يجب أن لا تنتهك من قبل أي فرد كما قال لكم

العم شايريدي، وغير هذا لا شيء مهم، والآن دعونا ننام فقد تأخر الوقت وإن علم أحد أننا لم ننم سوف يحدث شيء لا يحمد عقباه، ونامت الفتيات نوما عميقا.

استيقظت إيستارا في الصباح قبل كل من ساديت وميراي اللتان استيقظتا بعد استيقاظ إيستارا بوقت قصير، وسرعان ما بدأتا بالتثاؤب، وتضع كل واحدة يدها على فمها، ونظرت كلتاهما إلى إيستارا وقالت ساديت: لماذا لم تغسلي وجهك بعد يا إيستارا؟

- ما بك؟ لم يدق جرس الاستيقاظ بعد، والآن اسمعا ما سأقوله وخاصة أنت يا ساديت: عند اجتماعنا لتناول فطور الصباح قولي لأمك روميتا أن قرطا من الأقراط التي أضعها قد ضاع مني، ولكن اهمسي في أذنها لأنك لوقلت ذلك مباشرة سيُشك أننا اتفقنا على هذا لأننا نمنا في الغرفة سوية، وبعدها لا تتفوهي بأية كلمة، أما أنت يا ميراي فسوف أقول لك ماذا ستفعلين. رفعت إيستارا يدها إلى أذنها وأزاحت خصلة من شعرها ثم نزعت قرط أذنها اليمنى، وقالت لميراي: تفضلي، خبئيه في مكان آمن وإياك أن يُكشف مكانه وتذكري، يجب ألا يعلم أي أحد مكانه إلا أنت وتذكري أنك ستعيدينه لي ما إن ننفذ فكرتنا.

قالت ساديت: ظننت أنك نسيت أمر ذلك الشيء، أما ميراي فقالت: هل تصنعين الأفكار عندما تكونين نائمة؟. فأجابت إيستارا: لكي أعرف يجب أن أخاطر، والأفكار لا أصنعها عندما أكون نائمة، بل أصنعها عندما أكون أفكر!. أمسكت ميراي القرط وقالت:لا تقلقي، يمكنك أن تسألي ساديت عني، إذا خبأت شيئا فسأموت ولن يُعرف مكانه إلا إن بحث بمكانه فقالت إيستارا: رائع يا ميراي.

لكن تذكرت إيستارا أنها قطعت وعدا لأمها أنها لن تكذب مجددا، فاسترجعت القرط من يد ميراي وقالت: يجب أن أضيّع القرط يا صديقتيّ، إني وعدت أمي أني لن أكذب مجددا، ونظرت لساديت وميراي وقالت: لا يهم فهومجرد قرط، صحيح أنه هدية من أمي، ولكن ماذا سأفعل؟ أنا جد فضولية، وابتسمت بعدها ورفعت كتفيها قائلة: أنا هكذا ولا أستطيع تغيير نفسي، ماذا سأفعل؟

ما إن فرغت من كلامها حتى سمعت الفتيات قرع الجرس للاستيقاظ، فخرجن مسرعات ومن شدة تدافعهن على من تخرج أولا سقط القرط الذي كانت تحمله إيستارا في يدها ولم تنتبه له في وسط تلك الأجواء الرائعة الأخوية بينها وبين ساديت وميراي واتجهن لغسل وجوههن وكانت ساديت قد سبقتهما.

غسلت وجهها أولا، وعندما حان دور إيستارا لتغسل وجهها انتبهت أن القرط ضاع منها وطارت من الفرحة وأخذت ترش في ميراي بالماء من شدة الفرحة التي غمرت قلبها، وقالت ميراي: توقفي يا إيستارا ماذا دهاك؟. فهمست إيستارا في أذنها: ضاع

القرط مني أخيرا يا ميراي، والآن لن ألجأ للكذب ونادت ميراي ساديت قائلة: تعالي يا ساديت، تعالي. وكانت ساديت تمسح في وجهها بالمنشفة وأقبلت تجري. قالت: ماذا جرى، أخبراني؟.

قالت ميراي: ضاع القرط ولم يتبقى سوى أن تفعلي ما أخبرتك به إيستارا.

أخذت كل واحدة ترش في الأخرى بالماء وهي تقول: مرحى، مرحى، وما إن أتى كايسووالأطفال الآخرون واصطفوا لغسل وجوههم حتى توقفت الفتيات الثلاث عن رش بعضهن البعض، واتجهن لمسح وجوهن

بالمناشف، وفي هاته اللحظات قالت

ساديت: ستذهبين مع جدي إلى تلك الناحية ثانية على أساس أن القرط ضاع هناك، ولكن بالأمس ذهبتما، وقالت ميراي: صحيحلا كلامها، فأي خطة هذه يا إيستارا؟

- صديقتيّ، لوكان لي توأم حقيقي لكنت أنا الأجمل، لذلك انتظروا فحسب، لا زلتم لا تعرفون إيستارا جايكوي، حتى إيستارا نفسها ليست أفضل مني. ثم نظرت إلى ساديت وقالت: هلا تكرمت وضفرت شعري ضفيرة واحدة. ابتسمت ساديت وقالت: بكل سرور يا أختاه، أنا جد ماهرة في هذه الأشياء.

اجتمع الجميع لتناول فطور الصباح، وبينما هم يتناولن إفطارهم حتى نظرت إيستارا إلى ساديت وأشارت لها أن تقول كما أخبرتها في الغرفة.

همست ساديت في أذن أمها: أمي انظري، إن أحد قرطي إيستارا مفقود، لا بد أنه سقط منها أثناء اللعب؟. نظرت روميتا إلى إيستارا قائلة: إيستارا ابنتي، هل فقدت أحد قرطيك ولم تتفطني بأنه سقط؟

رفعت إيستارا كلتا يديها وكان شايريدي ينظر إليها بعيون واسعة ولمست إيستارا أذنيها وقالت: معك حق فأحد قرطي مفقود يا خالة، وقامت وبدأت كأنها تبحث عنه وهي تقول: إنه هدية من أمي، كيف ضاع مني؟ لا بد أن أجده، فقال شايريدي: لا تقلقي سنبحث عنه، ونجده فنحن نعلم أنه ضاع منك هنا، هل كان معك ليلة البارحة؟

أجابت إيستارا دون تفكير: لا أذكر، أظن أنه سقط مني عندما كنت منغمسة في اللعب، ثم قالت في سرّها: آسفة يا أمي، إنه الفضول!

الفصل السابع عشر: الألعاب المسنونة في الضيعة

" ليس الفنان شيئا بدون الموهبة، ولكن لا تعني الموهبة أي شيء بدون العمل"

إميل زولا

علِمت الفتيات الثلاث أن القرط قد ضاع، ولكن تمنياتهم كانت أن لا يكونَ قد ضاع في الغرفة التي نمن فيها، وإن كان فيها فتمنين أن لا يظهر لعين أحد، أما إيستارا فكانت قد فتشت جيبي تنورتها جيدا حتى تتأكد أن القرط ليس معها، ولما انتهوا من تناول فطور الصباح نهضوا للبحث عن القرط، في حين انزلقت إيستارا لكن سرعان ما استعادت توازنها. بدأ الجميع بالبحث عن القرط وبدأوا بالغرفة التي نامت فيها الفتيات الثلاث.

فتشوا كل ركن منها وكل شبر ولم يعثروا على أي أثر للقرط، وفتشوا كل الأماكن وبقيت ناحية وحيدة، وهي تلك الناحية التي أمر شايريدي إيستارا أن لا تذهب إليها. قال شايريدي: حسنا ليذهب كل منكم إلى عمله، وليبدأ الصغار باللعب في الساحة، أما أنا وإيستارا فسوف نبحث عن القرط، وهكذا اتجهت روميتا لحلب البقرات، وسويريتا لمخض الحليب، وماوريسي اتجهت لتهيئة الغرف وتعلوها ابتسامة، وجينيوسي لرعي الغنم، وكل إلى عمله.

تفرغ الجميع لعمله وتفرغ الأطفال للعب، أما شايريدي فقد أمسك إيستارا من يدها برفق وقال: تعالي يا ابنتي، سنبحث عنه في تلك الناحية

فربما سقط منك البارحة هناك ولم تنتبهي عليه.

بعد دقائق قليلة وصل الاثنان إلى تلك الناحية، وقبل أن يبدئا بالبحث، قال: انتظري يا إيستارا قليلا قبل البدء بالبحث. واقترب منها وأدخل يديه في جيب فستانها، وهنا تفاجأ. كان قد استخرج قرطا من أحد جيوبها ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وابتسمت إيستارا كذلك. قال شايريدي: هل تعلمين لماذا لم أتفقد جيبيك أمام الجميع؟. أجابت إيستارا قائلة: لكي لا تحرجني أمامهم.

- أخطأت، فعلت ذلك كي أعلم هل كانت نيتك هي القدوم إلى هنا مجددا أم لا، وما إن أتم كلامه حتى دفع إيستارا دفعة قوية أسقطتها أرضا، واحمرّت وجنتاها البديعتان لا إراديا. لحظات وأمسكها شايريدي من عضدها وأخذها مباشرة إلى الساحة الرئيسية ونادى الجميع وانهال بالضرب على إيستارا باستعمال سوط جلبته له زوجته، وأخذ يقول: أردت خداعنا فقط لكي تذهبي إلى ذلك المكان الذي أخبرتك أن لا تقتربي منه...

تقدم ريوساي من شايريدي وقال: يكفي هذا يا أخي.ثم نظر إلى إيستارا وقال: هل هذا جزاءنا بعدما تكرمنا عليك وآويناك بصدر رحب، وجعلناك مثل فرد من عائلتنا. كانت إيستارا تشعر بألم شديد ودمعت عيناها البديعتين لا إراديا، وتمنّت لوأنها لم تُقدم على تلك الخطوة. كانت جوانحها ترتعد وهي تقول في سرها: توقفوا.. توقفوا أرجوكم.. إن لونفيرومجنون.. سينهي كل من يتجرأ على لمسي.. التجرأ عليّ كالتجرأ على نيمايسول!.لحظات وعادت إلى واقعها!. قالت: كل هذا بسبب عمتي إيزميليندا التي كانت تقول أني نيمايسول الصغيرة، وأمي رحمها الله التي كانت تقول أني نيمايسولة لونفيروالصغيرة.. لكنني كذلك!..

لم تنطق بكلمة واحدة وبقيت مطأطأة رأسها وسط ذهول الأطفال وتعاطفهم مع إيستارا، أماساديت وميراي فكانتا تبكيان على ما تتعرض له إيستارا، وللأسف فالببر الأبيض كان قد غادر الضيعة ليصطاد فلم يستطع أن يمنع الأذى الشديد عن إيستارا.

تقدمت جودفيتا من إيستارا وأمسكت فكها بشدة قائلة: الآن اذهبي قبل أن أفقد صوابي... وفي غمرة غضبها، دفعت إيستارا دفعة قوية، لتسقط نيمايسول الصغيرة على الأرض ثانية. ثم حدثت مفاجأة لم يتوقعها أحد وصدم الجميع عندما قالت روميتا: قرطها الثاني يا أبي أين هو؟ وهنا تكلمت إيستارا وقالت بابتسامة: إنه في يده.

كانت صدمة الجميع كبيرة، وشايريدي يحرك في رأسه يمينا ويسارا، وهويقول بذهول: لا يمكن، هذا لا يمكن... وقالت إيستارا: عندما رأيت أن القرط الأول قد ضاع مني، نزعت الثاني ووضعته في جيبي كي لا يسقط هوالآخر مني.

في تلك الأثناء كان أخ شايريدي الأصغر يستظل تحت ظل شجرة بعيدا عن الساحة ولم يعرف بم يجري، خاصة بعدما أنهكه التعب في البحث معهم عن القرط، فجأة لمح شايريدي يتقدم نحوه. قال شايريدي: عندما أنهينا الفطور ماذا فعلت إيستارا؟ وتابع يقول: أخبرني بكل صغيرة بدرت منها دون أن تنسى أية كلمة فقال دوكيجواي: أنهت فطورها وقامت بعدما، أسندت اليد اليمنى على الأرض لتساعدها على النهوض ولبست نعلها الصغير البني وقد انزلقت على الأرض لتقوم بعدها، ونزعت القرط الآخر من أذنها ووضعته في جيبها.

تغيرت ملامح شايريدي، وشعر بالخزي تجاه ما فعله عندما تيقن أن

إيستارا بريئة تماما، وبدأ شعور الذنب يعذب ضميره بقسوة وقال: لقد ظلمنا الفتاة إذن، وقبل أن يكمل قال دوكيجواي: ماذا قلت؟ ظلمنا الفتاة، ماذا جرى؟

– نعم لقد ظلمناها، وأسئنا الظن بها، فقد استخرجتُ قرطا من جيبها الأيمن وظننت أنها كانت تحاول خداعنا فقمت بضربها وكذلك زوجتي لايفيتا وأخي ريوساي وزوجته جودفيتا، وقص له ما جرى.

عاد شايريدي ودوكيجواي إلى ساحة المنزل الرئيسة، وقال شايريدي: لقد ظلمنا إيستارا، وبدأ الجميع يطلبون السماح من إيستارا ويمسحون على وجهها البديع، ولايفيتا وجودفيتا تنفضان في الغبار عن لباسها، وقالت روميتا وهي متحسرة على ما فعله أبوها بحق الفتاة: سوف ترتدي لباسا آخر، لا بأس يا أمي.

وفي هذه اللحظات همستساديت لميراي: إن كانت إيستارا ذكية جدا فإني أشعر بالغيرة تجاه الذكاء الذي تملكه، وهونفس الكلام الذي قالته ميراي بعدما سمعت قول ساديت التي تابعت تقول: لكن يا ميراي، لست أفهم ما الذي تنوي فعله حتى الآن.

قال شايريدي: سامحيني يا ابنتي، لكن لماذا لم تقولي أنه قرطك الثاني وبقيت صامتة حتى أنك ابتسمت عندما استخرجته من جيبك؟

– لقد كانت لديك فكرة مسبقة أني أحاول خداعك ولم تعطني فرصة التكلم لولحظة، فما كنت لأفعله؟ وانتبه شايريدي وقال: لكن عندما سألتك عن السبب الذي دفعني لعدم تفقد جيبيك أمامهم، لماذا قلت لي حتى لا تشعرني بالإحراج؟

أجابت إيستارا شايريدي قائلة: حتى لا تكتشف أنك تسيء الظن بي، ولكنك لم تفهم قصدي للأسف. ابتسمت إيستارا فابتسم شايريدي وقالت إيستارا: على كل حال، لقد خدعتك ولا أزال أخدعك.

قال شايريدي: خدعتني ولا زلت تخدعيني، فردت: أجل خدعتك حين ظننت أني كنت أخبئ القرط في جيبي وخدعتك الآن حين ظننت أني أبتسم لك لأني كنت أبتسم للخالة روميتا.

ضم شايريدي إيستارا وضمتها كذلك زوجته وأخوه وقاموا بالاعتذار منها مجددا وقام شايريدي قائلا: لقد ظلمنا ضيفتنا وأسئنا الظن بها وأنتم تعلمون ما الواجب فعله الآن، فأحنى الجميع رؤوسهم وطلبت روميتا من ابنتها ساديت أن تعطي لباسا آخر لإيستارا بعد أن اتسخ لباسها واتجه الجميع ما عدا الأطفال إلى إحدى الغرف الكبيرة ودخلوا، وأمروا الأطفال أن يغلقوا الباب من الخارج وكان ذلك بمثابة عقاب على الخطأ الذي ارتكبوه مع إيستارا.

بعد أن استحمت إيستارا، ارتدت تنورة بيضاء تصل إلى كعبها وقميصا حريريا أعطته لها ساديت. قالت هذه الأخيرة: لقد صرت أكثر جمالا، أصبحتِ مثلنا تماما. فتحت إيستارا ذراعيها مستفسرة وقالت: جمالي لا يتأثر بالتغيراَت التي تطرأ علي؟

قالت ساديت: لا بأس، سأتغاضى عن غرورك، للآن لا زلت لا أفهم كيف فعلت هذا لكن أعلم أن الطريق أمامنا مهيأ لمعرفة ذلك الشيء المغطى بالقماش الأسود.

قالت إيستارا: آسفة ولكن لن نذهب إلى تلك الناحية في المدخل الثالث، ولن أدع أي أحد يذهب ويجب أن تكوني في صفي يا ساديت، وقالت ميراي:

هل أنت مجنونة يا إيستارا؟ كنا متشوقين لمعرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود، ماذا دهاك؟

- يجب أن نكون عند حسن ظنهم لذا لن نذهب، وقالتساديت: لم أعد مهتمة لما يوجد تحت القماش الأسود، لكن كيف فعلت هذا؟

قالت بصوت منخفض: لست غبية حتى أخبرك خطتي أمام الكل، هم صغار وإذا علموا خطتي سيفضحونني لدى أهلهم لذا انتظري حتى ينسوا كل شيء وبعدها أخبرك أنت وميراي.

لعب الأطفال فيما بينهم، وكانوا مضطرين لطبخ الطعام بأنفسهم، تناولوا غداءا من صنع أيديهم وأثناء القيلولة تسنت لإيستارا فرصة الشرح لساديت وميراي وقالت: الخطة بسيطة، من بين القوانين التي قرأتها في ذلك الرق الملتصق بسقف الغرفة هي أنه إذا قام أحد منهم بظلم طفل صغير، فإن الكبار كلهم سيبقون مدة خمسة أيام في حجرة العقاب وهي الحجرة الوسطى من الجهة اليسرى، كانت أخبرتني أمك يا ساديت بأن تلك الحجرة مخصصة لهم إذا أخطأوا ولذلك سيبقون دون أكل، فقط يمكنهم شرب الماء عند الغروب، لذلك أردت منهم ظلمي، أضعنا القرط الأول، ثم وضعت الثاني في جيب فستاني ليظن العم شايريدي أني لم أفقد القرط، وبعد أن ضربوني وجدوا أنهم ظلموني وحبسوا أنفسهم، وبذلك صرنا قادرين على أن نرى ما ذلك الشيء تحت القماش الأسود، قبل أن أتراجع لأني لا أريد كسر الوعد الذي قطعته، والآن ما يحيرني هوأن القوانين تلك منها ما هومكتوب بلغة أفهمها ومنها ما هومكتوب بلغة لم أفهمها، حاولت مرارا وتكرارا قراءتها ولكن هذا كان دون فائدة ولكن لا يهمّ هذا الآن.

مضت الأيام بسرعة كبيرة بالنسبة للصغار، أما بالنسبة للرجال والنسوة

فقد كانت الثواني تبطئ كثيرا حتى تتحول إلى دقائق، وتبطئ الدقائق حتى تتحول إلى ساعات، أما الساعات فكانت كأنها لا تريد أن تودع يومها ذاك وتستقبل الغد، لكن رغم بطئ الوقت إلا أن الأيام الخمسة انقضت، وحان وقت خروج الرجال والنساء، ففترة العقاب انتهت وقد كفّروا عن ذنبهم الذي اقترفوه مع إيستارا، واتجه كل طفل يعانق أباه وأمه، فقد كان الاشتياق يمزق أكباد الكل، أما إيستارا فبقيت جالسة في مكانها ولم تتحرك، فلم يكن لديها أي شخص هناك حتى تذهب إليه فتعانقه، لكن فجأة رأت شايريدي يفتح ذراعيه لها وكأن طيرا قد فتح جناحيه وقال: ما بك يا إيستارا؟ ألن تأتي لمعانقتي؟. فرحت إيستارا واتجهت بسرعة لتعانق شايريدي وجلس شايريدي على إحدى ركبتيه معانقا إياها ووضعت إيستارا يديها فوق كتفيه وقالت: لقد سامحتكم وبذلك يكون ذنبكم قد سقط، لكن رغم ذلك عاقبتم أنفسكم؟

- ولكن للأسف لم نرد أن تسامحينا دون أن ندفع الثمن، ثم مسك إيستارا من يديها الصغيرتين برفق وقال: تذكري دائما أنك لست بعيدة عن أهلك، وإنما أنت بين أهلك ريثما يعاد جمع الشمل فابتسمت إيستارا ثم قالت: شكرا لك ولكن سامحني على هذا لأنني أظن أن أهلنا لا يعاقبوننا، إنما يحاولون شرح الأمور لنا وإقناعنا أليس كذلك؟

قال شايريدي: ولكن يا ابنتي في بعض الأحيان هناك أفعال تجعلنا لا نفكر في الحل وقد نفقد صوابنا ونفقد السيطرة على أنفسنا، لأن مشاعرنا المكبوتة في قلوبنا أشبه بحمم داخل بركان، والبركان قد يصدر دخانا في أول الأمر وهذا بمثابة أننا غضبنا ولكن كبتنا الغضب في داخلنا، والبركان قد ينفجر مباشرة وهذا بمثابة غضب لم نستطع أن نكبته في داخلنا.

قام شايريدي وقال: والآن هيا لكي نأكل شيئا، فإننا نعاني من شدة الجوع، وبالفعل كانت بطونهم خاوية وكانت ملامح وجوههم كأنها تداخلت قليلا، كانوا لا يتحركون إلا وهم يمسكون بطونهم، وكانوا لا يخطون الخطوة الواحدة إلا بصعوبة كبيرة لأن طاقتهم كادت تكون نفدت، بسبب أنهم لم يأكلوا طيلة الأيام الخمس المنقضية، ولم يداعب أي ذوق ألسنتهم حتى ولوكان مرا.

أسرعت النسوة لتحضير فطور الصباح بمساعدة الصغار، فكل النسوة كنّ متعبات فالعقاب سرى عليهن كذلك، وأخيرا وبعد مُضي وقت قصير انتهوا من تحضير فطور الصباح الذي كان متكونا من الحليب وقطع من الرغيف الذي أعدته النسوة على عجل، وبدأ الكل يمسك كوبا من الحليب بيد، وقطعة صغيرة من الرغيف باليد الأخرى، وبعد ثوان طربت بطونهم بعد أن حيّت المأكولات شفاههم ولامست ألسنتهم الجافة التي كانت تتوسل طيلة الأيام الخمس لقليل من الأكل.

وأخيرا شبعوا وارتووا، وقبل أن يهموا بقضاء اليوم كما كانوا يقضون الأيام الأخرى، كان قد قام شايريدي وقال: ألم تستجمعوا قوتكم بعد؟ هيا انهضوا ففي المستقبل القريب لن تكون الأيام عادية، وفي لحظة قفز الأطفال كلهم إلا إيستارا فهي لم تكن تدري ما هوالشيء المميز الذي ينتظرونه في الأيام القادمة، أما الرجال الآخرون والنساء فقد قاموا متبسمين وقالت إيستارا في سرها: كأن ابتساماتهم تلك ابتسامات مصطنعة لا غير، وكأنهم يخفون شيئا سيئا، ويحاولون أن يظهروه جميلا ولكن عادت وقالت: لا يا إيستارا، لا تسيئي الظن بهم هكذا، وأردفت تقول: حقا أنا فتاة سيئة، نسيت أنهم لم يأكلوا شيئا بسببي وهذا يعني أنهم بالكاد يستطيعون الابتسام من شدة الإرهاق، لماذا لا أرى الجانب المشرق منهم وهوأنهم ابتسموا رغم إرهاقهم؟

هل أنا سيئة لهذا الحد يا ترى؟ وتركت حديثها مع نفسها عندما وضعت ساديت وميراي يديهما فوق كتفي إيستارا وقالتا: ابتهجي يا إيستارا ففي الغد إن ظللنا على قيد الحياة سيبدأ التحضير للألعاب، الفائز فيها لديه الحق في لعب اللعبة الثانية ، والذي يفوز في اللعبة السابعة سيكون على موعد مع أشهى المأكولات، والرحيل إلى جزيرة الضياء التي ما إن تطأها قدماه حتى تتملكه روعتها، فلا يُحَبِّذ أن يرحل منها أبدا حتى يموت هناك ويدفن فيها، وما إن أنهت ساديت كلامها حتى قالت إيستارا: عمي شايريدي سألعب أنا كذلك فأدار شايريدي رأسه للخلف وابتسم ابتسامة كأن وراءها سر دفين، واستدار بعدها لإيستارا وقال: لا يا إيستارا ابنتي، سامحيني، ولكن لا يمكنك المشاركة.

قالت إيستارا: أرجوك يا عم، أرجوك، فأصرّ على أنها لن تشارك وكانت روميتا جالسة بالقرب منهم ولكن ما إن نظرت إيستارا نحوها كي تطلب منها أن تجعل شايريدي يوافق على أن تشارك في الألعاب حتى وجدت أن روميتا قد ذهبت دون أن تلحظ ذهابها، وقالت إيستارا في نفسها: بقي لدي ما أقنعه به مباشرة ولن يمانع مشاركتي في الألعاب، وقالت: عم شايريدي هل سيشارك كل الأطفال في هاته الألعاب التي ستقيمونها؟

طأطأ شايريدي برأسه للأمام كناية على أن كل الأطفال سيشاركون، ثم قالت إيستارا: الأطفال هؤلاء وسط أهلهم وكنت قلت لي أني مع أهلي، إذن، يمكنني المشاركة وإن كان السبب أني غريبة ولذلك لم تقبل مشاركتي فقد قطعت الخيط ذاك بكلامك.

تبسم شايريدي وقال: ما أشد فطنتك يا إيستارا، حسنا استطعت إقناعي، سوف تشاركين في الألعاب، وعانق الأطفال كلهم إيستارا، وقالت ساديت:

احذري يا إيستارا لأني لست سهلة، والتغلب علي صعب. فقالت إيستارا: أوتعلمين أن الفوز في كل شيء لا أريده ولكنه يريدني. فنطقت ميراي قائلة: يا لك من مغرورة؟

قالت إيستارا: أجل مغرورة، وأردفت: هل تعلمان لماذا لم أستطع كسر الغرور الذي لدي؟

رفعتساديت وميراي كتفيهمها كناية عن أنهما لا تعلمان، فقالت إيستارا: ليس لأنني لا أخسر، بل لأنه لم يتغلب علي أحد، صدقاني، لم يكن هناك من يجاريني، وكل من تحداني ندم وكل من أقنع نفسه أن يستطيع الوقوف في وجهي راجع نفسه واقتنع بضعفه.

قالت ساديت: أتحدّاك إذن أن تغلبيني، وكذلك قالت ميراي، فنظرت ساديت إلى ميراي وقالت: ابقي مكانك رجاء يا ميراي.

صمتت ميراي وقالت إيستارا: من الأفضل لوأنك تحديتني في أنك لن تخسري أمامي، على الأقل تبقى لديك فرصة التعادل ولو أنها فرصة صغيرة، وهنا وضعت ساديت يدها اليمنى على رقبة إيستارا وأحنتها للأسفل برفق، وقالت: مغرورة حقا أنت يا صديقتي، ثم اتجهن للعب والمرح.

وكانت النسوة قد اتجهن لأعمالهن، والرجال كذلك لأعمالهم، أما شايريدي والأعيان الآخرون فاتجهوا كعادتهم وجلسوا تحت ظلال إحدى الأشجار، وقال ريوساي: تلك الفتاة ذكية جدا وفطنتها تلك تجعلك تحتار، فرد عليه شايريدي: ولكن ذكائها ذاك وفطنتها تلك جعلاها تقع في الفخ بسهولة، فالإنسان في بعض الأحيان يقول أمورا طيبة للذكي حتى يُسَّهل طريق وقوعه، ولم أقل لها أننا أهلك إلا لتسهيل وقوعها في الفخ، ولم يبقَى سوى أن تفوز، أليس كذلك؟

قالت لايفيتا: ولكن لماذا لم تقبل مشاركتها من البداية، وبقيت مُصِّرا على رفض طلبها في المشاركة؟

نظر شايريدي إليها وقال: في بعض الأحيان تكونين أقرب للغبية، تلك الفتاة ذكية جدا، ولووافقت مباشرة على طلبها لشكّت في نوايانا، وتأخذ في سؤال نفسها لماذا وافق مباشرة على الرغم من أنها كانت السبب في معاقبة أنفسنا، وعلى الرغم من أنها غريبة، ستتفطن إلى أن هناك شيئا كامنا وراء الألعاب.

قال ريوساي: أتظن أنها ستتغلب على الأطفال الآخرين، لا تنسى أن ساديت بارعة في اللعب، وكادت تفوز العام الماضي وكذلك ميراي التي رغم أنها بلهاء قليلا إلا أنها تحدث المفاجآت، فقبل ثلاث سنوات كادت تفوز.

تبسم شايريدي وقال: اسمعني جيدا، ستركز هي الآن على الفوز فقط وتصرف نظرها عن كل شيء، صدقني ذكائها ذاك سوف يجعلها تفوز حتما ويجعلها تقع في شراكنا، وأنت تعلم، لووجدنا الغرباء في كل عام لأشركناهم مباشرة وتمنينا فوزهم ولولا أن الغش سيئ لكُنّا لجأنا إليه لجعلهم يفوزوا، ثم أكمل نحن سيئون ولكن في هذه الفترة فقط.

أثناء فترة لعب الأطفال نادت روميتا ابنتها ساديت فذهبت ساديت تجري عندها وقالت لها روميتا: ادخلي إلى الغرفة سوف آتي بعد دقائق، وكان النمر الأبيض نائما قرب تلك الغرفة، وهكذا انتظرت ساديت بضع دقائق حتى أتت أمها روميتا وأغلقت الباب ثم انهالت بالضرب على ساديت وهي تقول: لماذا تسرعت وقلت ذلك الكلام لإيستارا حتى طلبت المشاركة في الألعاب، ألم أقل لك أن لا تتفوهي بأي شيء عن الألعاب تلك خصوصا

للغرباء؟ كانتساديت تبكي وتقول: سامحيني يا أمي لقد نسيت، ولكن لماذا لا تريدينها أن تشارك إن كنا نحن كلنا سنشارك في الألعاب؟

جلست روميتا على الأرض وضمت كفّيها ووضعتهما على وجهها وهي تبكي أشد البكاء وتقول: لولا ذلك الوعد الذي جعلونا نقطعه لعلمتِ ولعلِم كل الأطفال، ولكن للأسف أنتم تفرحون في هذه الأيام وتتسلونَ وبعد انقضائها تنتظرون قدومها بفارغ الصبر في العام القادم، وتتمنون العيش لكي تبلغوها، أما نحن فتتقطع قلوبنا وتتمزق أوصالنا وتدمع عيوننا سرا في هذه الأيام ونتمنى الموت لأولئك الأعيان حتى لا تمزق قلوبنا مجددا، ثم مسحت دموعها ومسكت ابنتها ساديت بشدة وقالت: إياك وقول شيء عمّا قلته لك الآن وجعلتها تقطع وعدا لها أن تبقى صامتة.

انتظرت روميتا حتى عاد وجه ابنتها إلى عادته بشوشا، ثم تركتها تعود لكي تلعب مع الأطفال وقالت إيستارا: لقد أطلت الغياب يا ساديت، لماذا؟

أجابت ساديت بأن أمها كانت السبب وراء غيابها عنهم وأتموا اللعب والسعادة الكاذبة والمزيفة بتلك الألعاب التي اقترب موعدها تزيِّن قلوبهم، خاصة ساديت التي كانت تشعر بأن حملا ثقيلا يثقل كاهلها، وهوكلام أمها الذي للأسف لا تستطيع أن تدع أحدا يشاركها فيه بسبب الوعد الذي قطعته.

تناول الجميع غدائهم، حل الظلام وبعد العشاء اتجه الجميع لغرفته واتجهت كل من ساديت وميراي وإيستارا إلى نفس الغرفة وتبادلوا أطراف الحديث قليلا، ونامت ميراي أولا فقد كانت متعبة جدا بعد اليوم الطويل الذي قضته في الجري واللعب كسائر الأطفال، أما ساديت وإيستارا فتبادلتا أطراف الحديث قليلا، قبل أن تقول ساديت لإيستارا: إيستارا، ماذا لو قطعت

وعدا لشخص بأنك ستحفظين وعده خصوصا أن ما وراء ذلك الوعد شيء سيء يا صديقتي؟

- لا شك أنه يجب أن نحفظ وعودنا يا ساديت، لكن في بعض الأحيان هناك أشياء تغطى بثوب الوعود فيجب الحذر بين أن الإنسان يقطع وعدا وبين أن الإنسان يتستر عن الأشياء السيئة ويبقى يدنس رداء الحقيقة ويقول اقطع لي وعدا، وهنا همّت أن تقول ساديت لإيستارا ما قالته لها أمها، لكن قاطعتها إيستارا قائلة: لكن يا صديقتي مثل هذه الوعود حسب الشخص الذي جعلنا نقطعها فإن كان عزيزا وصادقا فإنه يجب حفظ الوعد الذي قطعناه له لأن نقض وعدنا له سوف يتسبب في مساوئ أكثر من المساوئ التي كانت ستحدث إن حفظنا وعدنا له، وإن كان الشخص سيئا فذلك لا يُسمى وعدا في رأيي على الإطلاق.

- لولا استثناءك الأخير يا إيستارا لقلت لك شيئا صار يثقلني وأتمنى لوأنني أستطيع مشاركته مع أحد يا إيستارا فردت عليها إيستارا قائلة:

أحيانا هناك من يشاركوننا نفس السعادة التي نشعر بها ولكن رؤيتهم تجعل سعادتنا ناقصة لأننا كنا نظن أن سعادتنا تلك لا مثيل لها، وأحيانا هناك من يشاركوننا نفس الألم الذي نعانيه ولكن صمتهم يجعل الألم الذي نعانيه كاملا لأننا نظن أنهم لا يتألمون وأحيانا نظن أن لا أحد يشاركنا في حملنا فنبقى نتألم، فإن علمنا أنه حقا يوجد من يشاركنا حملنا الثقيل سنشعر بالسعادة ويزول الحمل ذاك عن صدورنا.

- لكن كيف نعلم يا إيستارا أن هناك من يشاركنا حملنا الثقيل؟ قالت إيستارا: كلمة واحدة فقط تستطيع أن تجعلنا نعلم وهي أعلم.

استغربت ساديت وقالت: أعلم هي التي تجعلنا نعلم أن هناك من

يشاركنا الحمل الذي يثقل صدورنا، لم أفهم ما تريدين الوصول إليه؟.

- إن كلمة "أعلم" من الطرف الثاني يا ساديت يجعل حملنا يزول، وهنا اتجهت ساديت نحوإيستارا التي كانت جالسة فوق الأفرشة ومتكئة على الحائط وجلست ساديت على ركبتيها وقالت وهي تشير بسبابتها إلى إيستارا: هل تعلمين ما قالته أمي إذن ولكن كيف علمت؟

قالت إيستارا: كي تعلمي، أنا لم أتجسس، لكن عندما لم أرى ببري الأبيض بدأت بالبحث عنه وكان بقرب الغرفة نائما فسمعت ما قالته أمك، والآن قولي أنك فرحتِ لأني أعلم. عانقت ساديت إيستارا بشدة وضمتها إليها وهي تبكي بشدة وتقول: ماذا سنفعل؟...

ماذا سنفعل؟...

قالت إيستارا: اللباس جديد وارتديته قبل أيام قليلة، وأنت الآن تبكين فوق كتفي، هذا يعني أن أنفك يا عزيزتي يسيل، لذلك رجاء امسحي دموعك يا ساديت، هذا أولا، وثانيا علينا كشف الحقيقة تلك قبل فوات الأوان ومعرفة ما يخططون له قبل أن يقع أحد في براثنهم مجددا.

مسحت ساديت الدموع من عينيها، وقالت إيستارا: انظري قطعة قماشية وامسحي أنفك الذي لا يزال يسيل، وفجأة ضحكت ساديت وشع الجمال في محياها الباكي وقالت: ميراي نومها كالدب، إن نامت لن تستيقظ، ولكن فجأة نهضت ميراي والنعاس يؤرقها وقالت: ماذا قلت يا ساديت؟. اقتربت ميراي من ساديت وتابعت: أنا مثل الدب، وفي هذه اللحظة تمنت ميراي لوأنها لم تستيقظ فقد عطست ساديت في وجهها دون قصد، وقالت إيستارا يرحمك الله يا ساديت، وأتبعت: لحظة مقززة يا ميراي!. قبل أن تعطس ساديت مجددا في وجه إيستارا وبدأن يضحكن ولكن بصوت كن يحاولن

كتمانه.

خرجت الفتيات الثلاث وغسلن وجوههن ثم مسحنها بالمناشف. عدن إلى الغرفة وعادت ميراي إلى النوم، وعادت كل منساديت وإيستارا إلى الحديث.

قالت ساديت: لماذا لا نفرّ من هنا نحومكان مجهول نحن والصغار الآخرون وبذلك نتخلص من هذه الصور السوداء العالقة في أذهاننا.

– ليست صورا سوداء، إنها صور يكسوها الضباب ما دامت هناك حقائق، والحقائق لا بد أن تكشف، لا أن نتركها ونذهب، فأنا وأنت صرنا نعلم أنهم في هذه الفترة يصبحون سيئين، لكن تذكري أن معاملتهم لكم وكذلك لي كانت معاملة حسنة ورائعة لذا لا بد لنا من أن نعلم الشيء الذي يجعلهم سيئين في هذه الفترة.

– إذن، ما رأيك أن تجعلي الببر الأبيض يقتل الأعيان وبعد ذلك نسأل أمي ماذا كان وراء كل هذا، أليس حلا رائعا؟. أرجوك وافقي فليس لديك أي عذر الآن.

رفعت إيستارا ذراعيها جيدا حتى أصدرت عظامها صوتا ثم قالت: اسمعي يا ساديت، الحلول المباشرة قد تكون فخا فهم ليسوا أغبياء حتى يدعوا الببر جالسا أمامي دون أن تكون لهم خطة إن هاجمهم، وثانيا انزعي من رأسك فكرة القتل وإياك والتفكير بهذه الأمور مرة أخرى.

قالت ساديت: ماذا سنفعل إذن؟ هل لك أن تخبريني؟. وكان صوتها علا قليلا فقالت إيستارا: تكلمي بصوت خافت ولا تعليه مجددا فربما استيقظت ميراي التي أشعر بالشفقة عليها أكثر من أي أحد فرغم أنها تبين بلهاء قليلا

إلا أنها طيبة القلب وصادقة، كذلك ربما يكون أحدهم ما يستمع في الخارج، لذلك يجب أن نحذر جيدا وقالت: هل سألتم العم شايريدي كيف هي تلك الجزيرة التي يذهب إليها الفائز ولم يرسلونه إليها وليس إلى مكان آخر؟ وتابعت قائلة: جزيرة الضياء، اسم جميل ولكن ما الذي يخفيه وراءه؟

الفصل الثامن عشر: جزيرة الضياء

" الذكاء هوماذا تستعمل عندما لا تعرف ماذا تفعل "

جان بياجيه

قالتساديت: أجل، لقد سأل كايسوجدي مرة من المرات وكنا مجتمعين عنده، فأجاب بثقة لا يعتريها أي تغيّر في الملامح أو شحوب في الوجه وقال لنا: إنها جزيرة رائعة وخلابة يقيم بها أقارب لنا وهم من أحفاد جدنا الأول، وتقع في مكان بعيد جدا، وقال أن جدنا الأول كان له أخ وحيد فقط، جدنا الأول هذا لديه ثلاثة أولاد، أما أخوه فلم يكن له أولاد، وكانوا يسكنون في جزيرة الضياء هذه، كانوا يرتحلون ثلاث مرات في العام لرحلات تجارية، وفي أحد الأيام عندما حان يوم ذهابهم لرحلتهم الثانية في فصل الشتاء كان الأخ الذي ليس لديه أولاد مريضا جدا، فذهب جدنا الأول مع أبناءه الثلاثة، وعندما كانوا عائدين من رحلتهم التجارية تلك صادفتهم ريح عاصفة وأمطار شديدة الغزارة فاحتموا في هذه الأرض، وهنا قالت إيستارا: تعنين هذه الأرض التي تقيمون بها الآن؟ ردّت ساديت قائلة: نعم، وأكملت: وأخبرنا أن جدنا الأكبر وأبناءه الثلاثة احتموا في هذه الأرض لمدة تقارب الشهر، وخلال فترة إقامتهم قرر جدنا الأول أن يعمرها، فقد كانت بها منازل قليلة، ثم بنى منازلا أخرى، وقال أنه كما آوتهم في ذلك الجو الماطر، سيعمرونها ولن تبقى مهجورة.

عادوا إلى جزيرة الضياء قصد أن يرحلوا منها ويأتوا لهذه الأرض، ولكن

عند عودتهم كان الأخ قد مات، وكانت هناك عادة وهي أنه إذا توفي الزوج في أرض ما فإن زوجته لن تغادر تلك الأرض حتى تموت، فكان قرار جدي أن يأتي بزوجته إلى هذه الأرض، ويقيم مسابقة بين أبناءه الثلاث والفائز يرسله إلى جزيرة الضياء ليعين زوجة عمه هناك على العيش.

قالت إيستارا: أظن أن هناك الكثير من الأكاذيب يا ساديت.

كانت الساعة حوالي منتصف الليل، وبعد وقت قصير سمعت إيستارا وساديت صوت خطى في الخارج، وفجأة سمعت صوتا يقول: تعاليا من هنا ولا تصدرا أي ضجة فالصغار نائمون، آريناي تعال من هنا، كايفيري تحرك ببطء كي لا توقظ الأطفال.

قالت ساديت: لقد عاد أبي، وكذلك زوج خالتي، لا بد أنهم عرفوا مكان قريتك يا إيستارا؟

قالت إيستارا: جدك كان مخادعا، ولكن لن أستعمل الخداع معه، وقالت ساديت: هل هذا جزاءه لأنه أرسلهما للبحث عن قريتك؟

قالت إيستارا: لم يرسلهما بتاتا، ومن حسن حظك أنت وميراي أنه لم يرسلهما، جدك كان كاذبا ومخادعا من البداية، لقد خدعني ولكن لن أخدعه فأنا لم أكسر وعده حين تسنت لنا معرفة الشيء المغطى وراء القماش الأسود، لكن جدّك، مخادع منذ البداية.

– لم أفهم أي شيء، كيف يكون من حسن حظي أنا وميراي أنه لم يرسل أبي وزوج خالتي للبحث عن قريتك؟

قالت إيستارا: لوأرسلهما لكنتُ تسببت في قتلهما، وهنا قالت ساديت: لا تقولي فقط أنه إن عاقبوا أنفسهم وكان أحدهم غائبا فإنه سيقتل عند عودته؟

وتابعت تقول: وأبي وزوج خالتي كانا غائبين.

– مثلما قلت تماما، هذا يعني أنه كان يريدني أن أبقى هنا منذ البداية، والآن أصبحت متأكدة أن جدك يريدني أن أكون الفائزة في الألعاب، ثم قالت: لذلك عندما التقيتُ أمك تحاورت مع النسوة كثيرا في شأن أخذي معهنّ أم لا، ولذلك ماوريسي قالت لن نمنعك من القدوم ولكن أنصحك بعدم القدوم وتمنت أن يجدني أهلي يومها عندكم، والشاب حذرني من الألعاب، أي سر هذا الذي يخفيه جدك شايريدي وراء الألعاب، ولماذا يريدني أن أكون الفائزة؟.

قالتساديت: أشعر بالأسف عليك يا إيستارا، وأشعر بالخزي من هذا الذي يخفيه جدي والآخرون.

ابتسمت إيستارا وقالت: لا تشعري بالأسف على من يملكون الذكاء، أقصد العباقرة، وتمني أن يعود المخطأ إلى رشده وإلى الطريق السوي، من يدري ربما جدك مجبر.

– لا تحاولي أن تجعليه بريئا يا إيستارا.

– أحاول أن أحسن الظن به، لا تبرئته، وهناك أمر يا ساديت، أريد أن تقطعي لي وعدا بتنفيذه، فوافقت ساديت، وقالت إيستارا: إذا انحصرت المنافسة بيننا نحن الاثنتين فدعيني أكون الفائزة، اتفقنا، ولا تنسي، يجب أن نبذل قصارى جهدنا للفوز فالآخرون لا يعلمون شيئا عن الخطر الكامن، وكذلك ميراي يجب أن لا تفوز، أفَهِمت؟

– فهمت، فهمت، يجب أن نفوز نحن الاثنتين وبعدها أدع الفوز لك، لكن لماذا تريدين المخاطرة بنفسك دائما؟. سامحيني ولكن لن أخاطر بك يا

دميتي.

– لن تخاطري بي، ولكن إذا فزتُ ستكون فرصة نجاتي أكبر من فرصة نجاتك أنت إذا فزتِ، ثم قالت: أرجوك، أرجوك... أرجوك...

وافقتساديت أخيرا على طلب إيستارا، وقالت إيستارا في سرها: لم يبحثوا عن قريتي حتى، وأنا فكرت أن أسألهم عن قرية ريتومي فربما عرفوها وأخذوني إليها، على أية حال، بهذا لن أندم حتى على عدم سؤالي للعم مالفي عن اسم قريتهم الجديدة، ولكن لا بأس، سأرى ماذا يمكنني أن أفعل فشايريدي لم يكن ليأخذني إلى قريتي أوإلى قرية آيراغسيكوناس، أوحتى القرية التي تقطن بها خالتي كوريسي وزوجها.

في صباح ذلك اليوم، قال شايريدي لإيستارا أن زوجي ابنتيه قد ذهبا ولم يعرفا مكان قريتها، لتمثل إيستارا أنها حزنت بعد سماعها هذا الخبر، فهي علمت ليلة البارحة أنه لم يرسلهما، وقال ريوساي: لا تقلقي يا ابنتي، واصبري ريثما نجدها فنحن لن نيأس من البحث عن قريتك.

قالت إيستارا: شكرا لكم، وآسفة على التعب الذي أسببه لكم. ليقول شايريدي: لا، أنت لا تسبّبين لنا أي تعب يا ابنتي.

اتجهت إيستارا بعدها للعب وقالت لساديت: هل تعلمين أن أعيش أسعد لحظات حياتي؟ أنا لم أكن أعلم أن هناك من يكذب علي وأنا أعلم كذبته وأستطيع التحكم في ملامحي، وتابعت: لقد أخبرني جدك أنه أرسل كلا من أبيك وزوج خالتك للبحث عن قريتي ولكنهما لم يعرفا موقعها، لذلك كان يجب أن أمثل أني حزنت، فغيرت ملامحي، وجعلت وجهي البديع يبدوشاحبا، هل تعلمين؟ لم أكن أعلم أني أجيد التمثيل بتلك البراعة، حتى أني كدت أن أسقط الدموع هناك.

- جيد أني لم أكن معك عندما أخبروك بهذا، وإلا لكنت انفجرت ضاحكة، يكذبون علنًا على من يعلم كذبتهم!.

الفصل التاسع عشر: النباريس الخمسة

"فقط هؤلاء الذين سيخاطرون بالذهاب بعيدا من الممكن أن يجدوا كم أن المرء يستطيع الذهاب بعيدا"

توماس ستيرنز إليوت

قضت إيستارا أياما قليلة في هذه القرية، وبعد الإعلان عن اقتراب موعد الألعاب لاحظت أن شايريدي ولايفيتا وأخوه ريوساي وزوجته جودفيتا ودوكيجواي وزوجته رياكشا كانوا يجلسون تحت شجرة كبيرة ويستظلون بظلها وخمسة منهم يحمل بين يديه شيئا لا ينفك يمسحه بقطعة قماشية شديدة البياض، لتحمل رياكشا تلك القطعة لرميها، وتعطي واحدة أخرى نقية، وظلوا يفعلون هذا مرات عدة.

ولما رأتهم إيستار قالت في سرّها: تُرى ما تلك الأشياء التي يفرطوا في الاعتناء بها طوال الوقت؟ منذ الصباح وحتى حلول وقت الغداء، في الأيام الأولى كانوا يجلسون تحت الشجرة ليستظلوا بظلها، ولكن ليس لوقت طويل، أما الآن فجلّ ما يفعلونه هوالاعتناء بتلك الأشياء التي لا تتسنى لي فرصة رؤيتها. رغم فضولها إلا أنها لم تسألهم واكتفت بسؤال نفسها لا غير وقالت: هذا ليس من شأني وأنا مجرد غريبة عندهم فكيف أسأل؟

سألتساديت وميراي وكان جواب الأخيرتين هوأن شايريدي نهاهم عن السؤال عنها وبذلك لم تُرفع ستارات تساؤلاتها خاصة أنها كانت فتاة

فضولية جدا، ولا يمكنها كبح فضولها طويلا.

رأتهم إيستارا على ذلك الحال لثلاثة أيام فقررت أن تسأل شايريدي عن تلك الأشياء التي لا يتركونها من بين أيديهم إلا فترات قصيرة من النهار، حين يتناولون فطور الصباح أوحين الغداء، وحين لعبهم مع الصغار.

وفي اليوم الثالث اتجهت إيستارا نحوهم وقالت: عم شايريدي، هل لي أن أطرح عليك سؤالا يجول في رأسي وبات يحيرني كثيرا هذه الأيام؟. طأطأ رأسه كناية على أنه يمكنها السؤال، فقالت: أريد أن أعرف ما هذه الأشياء التي تظلون تمسحون عليها أغلب الأوقات؟. في هذه اللحظة أسقط دكيجواي قطعته القماشية البيضاء وقالت إيستارا: آه، حسنا لا تجبني، إنها نباريس مضيئة لا غير، ثم قالت باستهزاء: لماذا كل هذا الاهتمام؟

قال شايريدي: إيستارا ابنتي، نسيت أن أخبرك شيئا آخر بعد أن أخبرتك أن لا تقتربي من تلك الناحية، وهذا الشيء هوأن لا تسألي مجددا هذا السؤال، ولا تتكلمي عنه أمام الأطفال الآخرين، ولا تقولي أي شيء، كأنك لم تري أي شيء، هل فهمت ما أقوله لك؟

قالت إيستارا: إنها مجرد نباريس لا غير ولكي تعلم، لقد كنت سألت الجميع قبل أن أسألك وكلهم يجهلون ماهيتها، فسألتك، لذا لا تغضب.

نظر شايريدي إلى إيستارا نظرة حادة وقال: لقد سمعت قولي فكوني فتاة مطيعة وعودي لتلعبي مع الأطفال، إنهم في انتظارك.

- حسنا سأذهب لأني قد عرفت وحدي ولن أكثر الكلام، وتابعت: أحيانا تكون رائعا وأحيانا أقرب ما تكون فظا، دعني منك.

- قالت لايفيتا بنبرة صوت حادة: إيستارا، احترسي مما تتفوهين به.

ردت إيستارا: هل تعلمين يا خالتي لايفيتا أنه عندما نثبت للإنسان خطأه فسوف يعترف بخطأه، والخطأ يستلزم الندم، والندم يستلزم تأنيب الضمير، وتأنيب الضمير يسبب الألم.

قال شايريدي: إيستارا ابنتي، هناك أشياء جهلها خير، لذلك قلت لك ذلك، واعذريني إن كنت فظا معك، فمحاولة معرفة كل شيء قد يأخذنا إلى ما لا يحمد عقباه.

- عم شايريدي لقد أخطأت، فمن المستحيل أن يكون الخير في الجهل، هذا أولا، وثانيا محاولة معرفة كل شيء يأخذنا إلى معرفة اتخاذ القرارات الصائبة، ولكن لا بأس سأذهب للعب.

عادت إيستارا إلى الآخرين لتلعب معهم أما ريوساي فقال: جيد أنها قالت نباريس ولم تعرف الكلمة التي تأتي بعد النباريس، وقال: تلك الفتاة شديدة الذكاء وعلينا أن نعترف، ونظر إلى لايفيتا التي صمتت بعد كلام إيستارا مباشرة ولم تنطق بكلمة وقال: ما بك يا لايفيتا، فتاة في ذلك العمر جعلتك تصمتين؟

- الشيء الوحيد الذي كنت سأفعله هوأن أقوم من مكاني وأضربها، ولكن بضربها سأبين ضعفي، لذلك الصمت أمامها خير، وقال شايريدي بعيون تملئها الحيرة: قالت نباريس وهذا لا ينفي أنها عرفت نصف الاسم لأن الكلمة التي تتبعه غير متوقعة.

بينما كانت إيستارا غارقة في اللعب مع الأطفال حتى نادت عليها ماوريسي فأسرعت إيستارا إليها. قالت: ها قد أتيت يا خالة، هل من طلب أنفذه برحابة صدر؟

قالت ماوريسي: دعينا نذهب إلى حجرتي الخاصة، فأرجومنك مساعدة بسيطة وبعدها ستعودين للعب.

الفصل العشرون: سهم أخطأ الهدف

" هناك طريقة واحدة لرؤية الأشياء، حتى يرينا شخص ما كيف ننظر إليها بعيون مختلفة "

بابلوبيكاسو

لم يكن قد تبقى على بداية الألعاب المنتظرة سوى ستة أيام على الأرجح، فكان الصغار متحمسون جدا حتى أنهم كانوا يجرون هنا وهناك دون كلل ودون ملل، فيسقطون تارة ويعاودون النهوض تارة أخرى والبهجة تملأ صدورهم، إلا إيستارا وساديت اللتان كانتا تعلمان أن ما وراء هذه الألعاب هي نوايا خبيثة، خاصة بعد ما قالته روميتا لابنتها ساديت والذي سمعته إيستارا.

مضى هذا اليوم كالعادة، لكن في الليل وبعدما نام الأطفال كانت هناك حركة غير مسبوقة وهذا ما جعل إيستارا تستيقظ من نومها ونهضت من الفراش وكانت عيناها شبه مغلقتين فاستمرت بحكهما برسغي يديها حتى ترى الباب.

بعدما بدأ نور الشموع يدخل إلى عيونها، وبدأت ترى اتجهت نحوالباب وقامت بفتحه، وكانت ساديت وميراي تغطان في نوم عميق.

ما إن فتحت إيستارا الباب حتى رأت الرجال قد أتوا بحزم كثيرة من الأخشاب.

رفعت سبابتها وقامت بحك وجنتها الناعمة برفق، وهي تقول: لا بدّ أنهم يحضرون لاستقبال فصل الشتاء؟

اتجهت إلى شايريدي الذي كان جالسا على كرسي خشبي يراقب في الآخرين وهم ينقلون حزما من الأخشاب إلى المدخل الأول الذي به الإسطبلات، وقالت: السلام عليك يا عم شايريدي، أرى أنك لم تنم بعد، أم أنك استيقظت بسبب هذه الجلبة؟

– لا يا ابنتي، أرى أنك لم تستطيعي النوم، أم أن نقل الأخشاب تسبب بجلبة كبيرة جعلتك تستيقظين من نومك ؟

– أجل يا عم، ولكن لا بأس فلست بحاجة إلى النوم، هل تدخرون كل هذه الحزم لفصل الشتاء؟ طبعا إذا لم تمانع بأن تجيبني.

قال شايريدي لإيستارا: البعض نعم والبعض الآخر لا، على أية حال، هل تحضرين لكي تكوني الفائزة في هاته الألعاب أم لا؟

– لست أعلم طبيعة الألعاب يا عم، لذلك فلا أعلم كيف أحضر ولم أنتبه حتى أسأل الأطفال الآخرين عن طبيعتها وربما تسارع الأحداث في هذه الآونة الأخيرة جعلني أنسى أن أسألهم.

– لا عليك يا ابنتي، ستكون ألعابا عادية جدا، تتسابقون فيها بينكم وتختبر كذلك قدراتكم على التحمل، إنها ألعاب عادية ولكنها ليست سهلة خصوصا أنكم لا تزالون صغارا نسبيا، والآن اذهبي وأكملي نومك يا ابنتي لتبدئي بالتحضير للألعاب فكما تعلمين كل الصغار قد بدأوا بالتحضير وكل واحد منهم متحمس للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

لم تُنقل كل الحزم، وإضافة إلى الحزم الباقية بقي اثنا عشر جذعا. سألت

إيستارا: ألن يكملوا نقل الحزم والجذوع، أم نالهم التعب؟

- تسألين كثيرا، لكن لا بأس، هذه الجذوع الاثني عشر لن تُنقل يا ابنتي وسوف تجوف، وبعدها نربطها بقضبان حديدية لأننا سنضعها في فرع من فروع نهر يصب في بحيرة تدعى البحيرة الزاخرة. فجأة قال ريوساي مخاطبا أخاه شايريدي: أظن أننا نقلنا ما يكفي لندخره؟ هل ننقل الباقي إلى ... فجأة قاطعه شايريدي وقال: حسنا، ارتاحوا قليلا الآن ثم واصلوا العمل.

قالت إيستارا بنبرة صوت مستغربة: تجوفون هذه الجذوع وتضعونها في النهر، لوقلت تضعونها كما هي، لقلت لتسدوا فرعا من فروع النهر، أولتنقصوا نسبة تدفق المياه، ولكن أن تضعوا جذوعا مجوفة فهذا أمر غريب جدا؟

قال شايريدي: غريب أم عجيب، أخبرتك ماذا سنفعل بهذهِ الجذوع كما سألت تماما، ولن تعرفي لماذا نفعل هذا، وهناك اثنان يعلمان لمَ وهما أنا وريوساي، أما الآن فعودي للنوم رجاء دون أن تفكري ما الهدف من وضع جذوع مجوفة في النهر فلن تهتدي للسبب أبدا وتابع: وكما أخبرتك قومي بالتحضير للألعاب فكل واحد متحمس للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

وما إن أكمل شايريدي كلامه هذا حتى تمتمت إيستارا بشفتيها: لا، أنت مخطئ، ليسوا كلهم أيها الكاذب الهادئ، أتمنى أن تعرف الصواب، هذا لأن لديّ مشكلة واحدة وهي أني لا أستطيع أن أكره أحدا، وربّ العرش لا أستطيع إلا أن أحبّ... تماما مثل لونفيرو!.

- ماذا تقولين يا إيستارا، هلا أسمعتني ما تقولين؟

– لا شيء يا عم، سأذهب وأكمل نومي خصوصا أنكم أكملتم نقل الأخشاب كلها ولن تحدث أية جلبة مجددا تجعلني أستيقظ، عِمت مساء وأتمنى لك ليلة هادئة وأحلاما سعيدة. فقال شايريدي: عمت مساء يا ابنتي.

فجأة قالت إيستارا: إذا فزت، هل أعود لقريتي أم أذهب إلى جزيرة الضياء؟

التفت شايريدي إلى إيستارا، بدا وكأنه يفكر ثم قال: لهذا السبب لم أوافق على جعلك تشاركين في الألعاب عندما طلبت مني الموافقة، لكن بما أنك جعلتني أوافق فسوف تذهبين إلى جزيرة الضياء يا ابنتي، هذه هي القواعد، لكن لا تقلقي، الكل يتمنى أن يعيش هناك ولو لحظة واحدة فقط، من تطأ قدماه تلك الجزيرة سينسى كل أقاربه، تمني الفوز فقط!.

عادت إيستارا لتنام، فكرت كثيرا في الذي يمكن فعله بجذوع مجوفة، ولكن في الأخير نامت دون أن تفهم ما الهدف من وراء ذلك.

لم يكن سهلا تجويف الجذوع، بل كان صعبا جدا ومرهقا، لكن في ظرف يومين استطاعوا تجويف الاثني عشر جذعا وكانوا قد دعّموا كل جذع بقضبان حديدية تناسب طول الجذع تماما، وناموا نوم الشخص الذي ينتظر بشدة ألا يأتي الغد بسبب عمل شاق ينتظره، ولكن الغد أتى واستيقظوا في الصباح الباكر وقاموا بتحميل الجذوع فوق أظهر الحمير، وقال شايريدي: لنذهب مشيا فالمشي في الصباح الباكر مفيد خاصة لنا نحن المسنين وقال جينيوسي: هل هذا يعني استثناء بالنسبة لي ولآريناي وكايفيري، و يمكنني امتطاء حصان أوالقدوم على ظهر الحمار؟

رد شايريدي بنبرة صوت غير مبالية: افعل ما شئت فلست في مزاج للمناقشة في هذا الصباح، فصمت جينيوسي وخرجوا والهواء النقي يبهج

الأجواء ورائحة الفلّ تعطر الأرجاء.

كانت الحمير تمشي بهدوء وتأني وقال شايريدي: ألا توافقونني الرأي في أن الحمير حيوانات رائعة وظريفة إلى درجة كبيرة؟

رد ريوساي: معك حق ولكن ليس إن قامت برفس من يزعجها أوإن قامت بالعضّ فعضتها جد مؤلمة وهنا نطق جينيوسي مخاطبا شايريدي وقال: قبل أن نخرج قلت أنك لست في مزاج للمناقشة يا عمي والآن أنت تتكلم، فقال شايريدي: أجل، الآن أتكلم لأني في مزاج جيد، وقال شايريدي مخاطبا أخاه ريوساي: قلت أن عضتها مؤلمة، فهل عضتك يوما ما؟

- لا يا أخي ولكن من فكيها تعرف أن عضتها مؤلمة وبعض الأشياء نعرف نتائجها دون تجريبها فقال شايريدي: أصبت.

تبادلوا أطراف الحديث حتى وصلوا إلى أحد الأنهار وهناك توقفوا وقام جينيوسي بإنزال الجذوع الإثني عشر من على ظهر الحمير وقال شايريدي: سنقوم بوضع الجذوع على طبقتين لأن طبقتين تكفيان لتقاربا ارتفاع الماء في هذا النهر.

كانت صفحات المياه نقية ويمكن أن تميز قاع النهر واستفسر جينيوسي عن سبب وضع الجذوع المجوفة في النهر، فاكتفى شايريدي بأن قال: يوما ما ستعرفون لم نقوم بهذا.

نزل جينيوسي وكايفيري إلى النهر وتبللا حد الركبة، نصبوا أوتادا في تربة النهر حتى لا يأخذ التيار المائي الجذوع التي كانت مدعمة بقضبان حديدية حتى تبقى غائصة في المياه ولا تطفو، وضعوا ستة جذوع وشكلت الطبقة الأولى، ثم وضعوا الجذوع الستة المتبقية التي شكلت الطبقة الثانية، حتى

صار بإمكان المرء أن يمشي من طرف إلى طرف بكل سهولة والماء يصل إلى كعبيه على الأكثر وعادوا بعد شروق الشمس بنحوساعة فالمسافة لذلك النهر لم تستغرق وقتا طويلا.

استيقظ الأطفال عند وصول شايريدي، وبعدما أنهوا فطور الصباح اتجهوا للعب والفرحة تملأهم إلا إيستارا وساديت اللتان كانتا تلهوان مع سائر الأطفال ولكن أجواء السعادة في قلبيهما كانت جافة. قالت ساديت: لقد سئمت اللعب، دعينا نذهب إلى المرج، سيكون منظر الخيول والماشية ترعى منظرا رائعا، هيا تعالي. كان شايريدي هناك وما إن رأى الفتاتين تركضان حتى ابتسم ابتسامة صادقة وقال: من تصل إليّ أولا؟

ركضت كل من ساديت وإيستارا بأقصى سرعة، وسبقت إيستارا ساديت بخطوات وما إن اقتربت من الوصول إلى شايريدي حتى انحنى بظهره، وفي لحظة رفعها إلى أعلى وفتحت ذراعيها وهي تتحسس جمال تلك اللحظات. كان يمسكها ثم يعاود رفعها، وتلك اللحظات ذكّرت إيستارا بطيبة قلب شايريدي في أيامها الأولى في هذه القرية. كانت ساديت تقول: جدي، لقد حان دوري الآن ... وشايريدي يقول: انتهى يا إيستارا ... أما نيمايسولة لونفيروالصغيرة فكانت تقول في كل مرة: إنها الأخيرة... وحين قطعَت له وعدا بأنه سيرفعها للمرة الأخيرة تغير كل شيء.

في تلك الأثناء التي كان شايريدي يرفع إيستارا ثم يمسكها ويعيد رفعها، كان هناك شخص متسلق شجرة ويراقب شايريدي، كان وجهه مغطى بلثام ولا يمكن للمرء إلا أن يلاحظ جمال عينيه. كان مُحَضرا قوسه ويمسك السهم بين إبهامه وسبابته ووُسطاه، ينتظر فقط في اللحظة المناسبة ليطلق سهمه.

وبالعودة إلى المرة الأخيرة التي كان شايريدي سيرفع فيها إيستارا، لم

يتمكن من رفعها فقد تعبت ذراعاه من رفعها في المرات السابقة.

ظن الشخص الملثم أن شايريدي سيرفع إيستارا عاليا وما إن هم شايريدي برفعها حتى انطلق السهم من أصابع ذلك الشخص يشق الهواء شقا، لكن للأسف، فعندما لم يستطع شايريدي رفع إيستارا في المرة الأخيرة بعدما همّ برفعها ضمها إلى صدره ليصيب السهم إيستارا مباشرة، وبدأ اللون الأحمر يلون أيادي شايريدي الذي لم يصدق ما يجري في تلك اللحظات، وإيستارا التي كانت قبل لحظات طائرا محلقا صارت طائرا جريحا بدأ ضياء عيونه يخفت.

كانت إيستارا بين يدي شايريدي دون حراك، وعاد شايريدي إلى وعيه وبدأ بمناداة الجميع بصوت عال وأقبل الجميع رجالا ونساء وكذلك الأطفال الذين لم يصدقوا ما تريه لهم أعينهم، وكأن الوقت توقف في تلك اللحظات.

قالت روميتا: تحسس نبضها يا أبي، هل ما يزال ينبض؟. وكان نسي تماما أن يتحسس نبضها بسبب فزعه ثم قال: أجل، أجل، لا يزال ينبض يا ابنتي، ثم أسرع ريوساي وانتزع السهم بقوة.

نزعت روميتا وشاحها بسرعة وقامت بلفّه في موضع الجرح بسرعة كبيرة حتى يتوقف النزيف، ولا تفقد إيستارا المزيد من الدماء ثم أسرعت وأخذت إيستارا إلى إحدى الحجرات وقامت ماوريسي بإحضار بعض الأعشاب المفيدة وأمرت بغليها، لتبلل بعدها قطعة قماشية بها وتوضع على الجرح وهذا لتعقيم الجرح تحسبا أن يكون السهم المطلق مسموما.

ضُمدت جراح إيستارا وتركت في إحدى الحجرات وكانت روميتا هناك ولا تنفك تبقى بقربها، أما إيستارا فكانت لا تزال فاقدة الوعي، فقد كانت

بين الحياة والموت.

جلس الأطفال كلهم والحزن يمزق قلوبهم وهم يدارون في دموعهم التي كانت تنسكب من عيونهم لا سيماساديت وميراي، أما الرجال والنسوة فقد تأثروا كثيرا وصارت قلوبهم تتقطع على إيستارا، أما شايريدي فقد ذهب إلى غرفته وأغلق على نفسه وأخذ يبكي ويبكي بحرقة على ما أصاب إيستارا، وجعل يفكر ماذا لوأن السهم أصاب قلبه ولم يصب كتف إيستارا، إذ أن السهم كاد يخترق قلبها، ولولا رأفة الله بها لتمزق القلب في تلك اللحظة.

كان الجميع يتمنى نجاة إيستارا، وفي نفس الوقت يحاولون معرفة الشخص الذي أطلق السهم وحاول قتل شايريدي، خاصة أن هذه هي المرة الثانية التي يُراد شايريدي فيها بسوء فقد حدث أمر مشابه في السنة الماضية، وفي الأخير قال شايريدي: علينا أن نبقى حذرين وانتهى الأمر.

مرّت على إيستارا أوقات عصيبة، وما إن حل الليل حتى استفاقت وكانت تتصبب عرقا وارتفعت عليها الحمى وأسرعت روميتا وأتت بقطعة قماشية وبعض الماء البارد وأخذت تبللها وتضعها على جبين إيستارا، وأقبلت النساء الأخريات لإعانة روميتا وأحضرن بعض الأشربة المفيدة التي كانت تدخل جوف إيستارا بصعوبة كبيرة بعد أن تضع أم ميراي يدها تحت ظهر إيستارا وتقوم برفعها ببطء شديد لتجعلها تشرب ولوقليلا، فذلك يجعلها تتحسن وتتعافى من هذا الذي أصابها.

لطف الله تعالى بإيستارا وتعافت بعد أيام قليلة وكان الجميع يعتنون بها على أكمل وجه، أما شايريدي فقد كان شديد الحرص عليها وصار يعتني بها أكثر من الكل، حتى قالت له إيستارا أنه يبالغ في الاعتناء بها فقد تعافت، ولكن شايريدي كان لا يتركها تقوم من مكانها ويقول: لا تتحركي، جلّ ما

عليك فعله هوأن تأمري ريثما تستعيدين عافيتك كلها وتشفي تماما.

مضت حوالي عشرين يوما وكانت قد تأجلت الألعاب بعد الذي جرى لإيستارا، وعندما استعادت إيستارا عافيتها وصارت تسير وتجري كما كانت في السابق، اجتمع الرجال كلهم والنسوة في غرفة المشورة بعد ظُهر أحد الأيام وكان الأطفال قد اتجهوا لغرفهم لأخذ القيلولة، وكذلك إيستارا. لكن قبل أن تدخل إيستارا الغرفة نادتها روميتا وطلبت منها أن لا تنام إلا بعد حوالي ساعة لأن لديها أمرا تريد أن تطلعها عليه فوافقت إيستارا.

اجتمع الجميع يترأسهم شايريدي وافتتح الكلام بقوله: بعد تلك الحادثة نعود الآن إلى الألعاب التي كان من المقرر إجرائها قبل أيام مضت، ولكن كما تعلمون فقد كنت على مقربة من الموت، لولا أن السهم أصاب إيستارا، أما الآن فأنا في حيرة كبيرة من أمري فأنا أريد رد الدَّين لها، ولكن لم أجد أي حل، فمن منكم يدلني على حل يجعلني أرد ديني هذا؟

قال ريوساي: قبل كل شيء، ألا تملك أدنى فكرة عن الشخص الذي رمى السهم، هل كان يريد إصابتك أنت، أوإصابة إيستارا؟

قال شايريدي: ريوساي، ذلك الشخص لم تلحقوا به ولم نرى وجهه ونحن ليست لنا أي مناوشات مع قرى أخرى، لذلك وفيما يخصّ هذا الموضوع يجب علينا تمني الأفضل فقط، والآن أعود إلى سؤالي: من يدلني على طريقة لأعيد بها ديني؟

قالت روميتا: أرى يا أبي أن لا نجعلها تشارك في الألعاب وهكذا تردّ دَينك كاملا، ثم طأطأت رأسها وقالت: أجل سترد الدين كاملا.

- لكن يا ابنتي، كانت قررت بنفسها أن تشارك ولم أضغط عليها أبدا

ولذلك لا يمكنني أن أمنعها من المشاركة مع الأطفال الآخرين.

هنا قال ريوساي: صحيح أن روميتا ذهبت ذلك اليوم، ولكنك تذكر كيف أقنعتك إيستارا، صحيح أننا لم نضغط عليها، ولكن الحقيقة هي أننا أردناها أن تشارك بأي طريقة.

- حسنا، سنأخذ رأيها، فإن قررت العدول عن المشاركة رددت ديني كاملا، ولكن إن قررت المشاركة فماذا سنفعل حينها، تكلموا؟

قالت روميتا: انتظر يا أبي سنأخذ رأيها، ثم نفكر فيم سنفعله إن قررت المشاركة وسأذهب الآن لأعلم رأيها.

- لكن ألا تظنين أنها نائمة، دعينا نأخذ رأيها بعد أن تستيقظ من نومها وهذا سيكون أفضل يا روميتا.

لكن روميتا نهضت وقالت: ما بكم؟ سآخذ رأيها فقط وأعود إليكم، وتعود هي إلى النوم، انتظروني قليلا ريثما أرجع بقرارها.

خرجت روميتا وعاد الأمل إليها، خصوصا أنها كانت خائفة من أن لا يسمع أبوها شايريدي رأيها ولكن بعدما سمع رأيها ووافق قالت في سرّها: لم يتبقى سوى أن أقنع إيستارا بعدم المشاركة في الألعاب، وبهذا تنجومن ورطتها هذه.

طرقت روميتا الباب بأدب ففتحت لها إيستارا الباب وقالت: تفضلي يا خالة بالدخول.

- شكرا لك يا إيستارا، ومن الرائع أنك لم تنامي بعد، فقد خفت أن تنسي ما قلته لك وتنامي نوما عميقا وأضطر بعدها لإيقاظك.

- لكن يا خالة، لم قلت لي أن أنتظر حوالي ساعة حتى أنام، وكذلك ما الأمر الذي أنت بصدد إخباري به، وعذرا إن كنت متسرعة؟

- لست متسرعة يا إيستارا، أما جواب السؤال الأول فقد طلبت أن تنتظري حوالي ساعة لأرى إن كنت سأتمكن من إقناع أبي برأيي ومن الجيد أنه سمعه، فلولم يسمعه مني لما أتيت إليك ولما كان هناك أي شيء لأخبرك به، وأتبعت تقول: والآن أرجوأن تسمعيني جيدا يا ابنتي: إن تلك الألعاب ستقام ونتيجتها جدّ خطرة وبما أنك غريبة فلا أريد أن تتعرضي للخطر، وبصعوبة أقنعت أبي أن نعطيك فرصة الانسحاب من الألعاب، ولولم يحدث ذلك الحادث لك لما استطعت أن تنسحبي، والآن أرجوك يا ابنتي قولي بأنك موافقة على الانسحاب، ولا تنسي أنك أصبت قبل أيام قليلة، لذلك فلن تكوني قادرة كفاية على اللعب، هيا، أجيبيني يا ابنتي؟

- لدي سؤال يا خالة، ماذا هناك وراء هذه الألعاب فهي مجرد ألعاب ليس إلا؟ أليس كذلك؟ وقد سألت العم شايريدي عنها وفهمت أنها ألعاب جد عادية.

مسكت روميتا إيستارا من عضديها برفق وقالت: اسمعيني، نتيجتها جد خطرة وللأسف لا أستطيع سوى أن أخبرك بهذا، وأرجوك وافقي على الانسحاب، إنه خير لك وفوق هذا، لوكان بيدنا كيف نلغي هذه الألعاب لألغيناها فقرري إذن يا ابنتي.

قالت إيستارا: صعب جدا أن لا تستطيع الأم إنقاذ ابنتها وكم هوجميل أن تحاول إنقاذ فتاة غريبة عوض إنقاذ ابنتها، خالتي روميتا أنت لا تستطيعين إنقاذ ابنتك ساديت، ولولم تقولي لي في كلامك الأخير يا " ابنتي " لكنت انسحبت، سامحيني سأشارك مهما كان الثمن.

ضمت روميتا إيستارا إلى صدرها ولم تستطع أن تحبس الدموع التي غلبتها وقالت: أتمنى من كل قلبي لوكانت لي فتاة مثلك.

مسحت روميتا دموعها وعادت تقول: إيستارا هذه ليست مزحة، هل أنت مجنونة؟ قلت لك أن الألعاب خطرة ولا تزالين متشبثة بقرارك، والآن نفذي أمري، وانسحبي من الألعاب دون كلمة.

ردت إيستارا: إن لم تكن مزحة يا خالتي روميتا فأريد أن أعرف الكذبة، أما الجنون فلا تقلقي، الجنون هومن سيصاب بي ولست أنا من ستصاب به.

كان الكل ينتظر عودة روميتا وعندما أطالت الغياب نهض شايريدي ليذهب عندها، وما إن فتح الباب حتى رأى روميتا وقال: أخيرا عدت يا ابنتي، ماذا كان جواب إيستارا، أتمنى أن تكوني علمت؟

– لقد وافقت.

أخذ شايريدي نفسا عميقا جدا ثم قال: رائع، يا لهذا الخبر الرائع؟ وأخيرا يمكن أن أقول أنه لا دين لي الآن على إيستارا، لقد استرحت حقا. لتقول روميتا: لقد وافقت يا أبي على أن تبقى من المشاركين في الألعاب التي ستقام وليس على الانسحاب.

تغيرت ملامح شايريدي في تلك اللحظة، واندهش واتسعت عيناه قليلا وقال وهويتلعثم: ماذا؟... ماذا؟... أبت أن تنسحب حقا؟

– أجل، قد حاولت إقناعها بكل الطرق ولكن دون جدوى يا أبي، إنها مصرّة على المشاركة ومحاولاتي لإقناعها بضرورة الانسحاب باءت كلها بالفشل.

شعر شايريدي بخيبة كبيرة، ولم يصدق الآخرون أن إيستارا لا تزال

ترغب بالمشاركة وبدأ شايريدي يمشي يمينا ويسارا وهو يفرك في لحيته التي كاد ينتزعها من ذقنه، وهويقول: ماذا أفعل الآن؟ ماذا سأفعل؟ كنت أعلم أنها عنيدة، ماذا سأفعل؟

وهنا نطق ريوساي وقال: دعوها إذن تشارك ما دامت مصرة على المشاركة ولنتمنى أن تخسر، هذا كل شيء.

اتجه شايريدي نحوأخيه وعلامات الغضب تملأ وجهه، ثم جعل يضغط على ظهر أخيه بكل قوته وهويقول: ذلك الدَّين أثقل علي من هذا يا أخي، هل فهمت؟

قالت روميتا: لماذا لا نلغي هاته الألعاب إذن يا أبي، سيكون هذا حلا جيدا أليس كذلك؟

ما إن سمع شايريدي هذا الكلام حتى قال لروميتا: تعالي يا ابنتي، تعالي، قلت نلغي الألعاب أليس كذلك؟

- أجل يا... وقبل أن تكمل كلامها نظرة إليها شايريدي نظرة قاسية وباردة، ثم دفعها بيده لتصطدم بالحائط وتسقط على الأرض، ولحسن الحظ أنها لم تتأذى وأسرعت أختها سويريتا نحوها. قال وهوفي فورة الغضب: إياك، إياك أن تعيدي هذا الكلام يا ابنتي الحبيبة، رجاء لا تعيديه. تابع شايريدي قائلا: والآن هيا اخرجوا من هنا، ودعوني أفكر، فعدم إقامة الألعاب ليس حلا، وإشراكها ليس عدلا، لكن ستشارك في الألعاب.

بقي شايريدي في الغرفة الرئيسية لوحده منذ الظهيرة واستيقظ الأطفال من القيلولة، وهولا يزال جالسا في تلك الغرفة لوحده.

كان الأطفال يمرحون كعادتهم، وقالت إيستارا لساديت: أتعلمين أن

أمك طلبت مني الانسحاب من الألعاب؟

قالت ساديت: حقا ما تقولين يا إيستارا؟

– صدقيني، طلبت مني الانسحاب وقالت أن نتيجة جدّ الألعاب خطرة، ولكن لن يهدأ لي بال حتى أعرف السر الكامن وراء هذه الألعاب. ثم تابعت إيستارا قائلة: ساديت، أين ميراي، فلست أراها؟.

– كنت رأيتها مع الخالة ماوريسي قبل قليل، بعدها عادت إلى الغرفة، أتوقع أنها ذهبت للنوم من جديد. قالت إيستارا: سوف أذهب وأوقظها.

اتجهت إيستارا إلى الغرفة مباشرة وما إن فتحت الباب حتى رأت ميراي متدثرة بغطائها. قالت إيستارا: خرجتِ ثم عدت للنوم، هيا بنا نخرج يا ميراي.

قالت ميراي: دعيني أنام يا إيستارا ولا تكوني مزعجة. لكن إيستارا أبت إلا أن توقظ ميراي، فنهضت ميراي، وقالت: يوما ما ستعرفين أني ذكية جدا يا إيستارا، وسوف تعترفين. احتارت إيستارا ومسكت رأس ميراي بيديها وبدأت تقول: حرارتك معتدلة ولم تسقطي على رأسك أوما شابه، أتمنى أن لا تكوني قد فقدت عقلك ثم عانقتها قائلة: هيا لنخرج يا صغيرتي.

كان الأطفال كلهم غارقون في اللعب، أما شايريدي فكان يتمشى في الأرجاء، فاتجهت ساديت وميراي وكايسووإيستارا نحوه ليسألوه عن الشخص الذي يحاول قتله. قالت ميراي: جدي ألست خائفا من عودة ذاك الشخص الشرير الذي حاول قتلك في العام الماضي وقد حاول مرة أخرى قبل أيام قليلة فقط؟

نظر شايريدي إلى ميراي وقال: فكرت كثيرا كي أهتدي إلى هذا الشخص

لكن دون جدوى، خوفي فقط أن لا أعرف من هو ولِمَ يريد أن يقتلني.

عاد شايريدي بذاكرته إلى الوراء حينما كان جالسا مع أخيه ريوساي في فناء المنزل وسقط بقرب قدميه سهم كانت قد ربطت حوله مخطوطة صغيرة.

قبل عامين..

قال شايريدي: ما هذا يا ريوساي، كأن أحدهم أرسل لنا رسالة؟

– حسنا يا أخي، إذن انزع هذه المخطوطة ودعنا نقرأ ما هومكتوب بداخلها. فتح شايريدي المخطوطة تلك ليجد مكتوبا عليها:

أولا: في لحظة تسعدُك إني سأغدر بك.

ثانيا: أعاهدك، ما حييت، لا مخارج لك.

ثالثا: فقط مرة في العام أرمي، لأقتلك.

رابعا: إذا مت قبلك فالبديل سيقتلك.

قال ريوساي: رسالة تهديد يا أخي، ولكن لمن يا ترى؟ هل هوقاتل مأجور وأخطأ في الشخص الذي وكلت إليه مهمة قتله؟

– لا أظن هذا يا ريوساي، لا بد أن هذا الشخص يقصدني، ولكن لماذا يقصدني يا ترى؟ لا أذكر أن هناك أي شخص حاقد علي.

– بما أن السهم انطلق من خلف الأشجار الخلفية لضيعتنا فلا أظن أنه قد ابتعد كثيرا، ولا بد أنه رآنا حتى رمى السهم في موضع قدميك، لذلك

سأذهب مع الآخرين للتفتيش بين الأشجار، وربما وجدنا هذا الشخص.

نهض ريوساي من مكانه وما إن استقام واقفا حتى أمسك شايريدي يده وقال: اجلس يا ريوساي ولا تكن غبيا، لا بد أنه رحل، كل ما علينا فعله هوتوخي الحذر، ومحاولة إيقاعه في الفخ في اليوم الذي ينفذ فيه قوله. رجع شايريدي بذاكرته إلى الحاضر وقال كايسو: أتمنى أن يموت هذا الشخص الذي يحاول قتلك يا جدي.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: حتى أنا لا أريده أن يموت، فكيف تتمنى أن يموت؟. تمنى لوأستطيع معرفته فقط، هذه محاولته الثانية، إذ في العام الماضي حاول وكاد يقتلني لولا أن الطائر ذاك مر في مستوى قلبي على بعد قليل فقط وأصاب السهم الطائر المسكين ونجوت، وهذه السنة كاد يقتلني لولا أن السهم أصاب إيستارا، كل هذا يدل على أن هذا الشخص رام ماهر، وليس من الرماة الذين يخطئون أهدافهم، بل من الرماة الذين لا يوفقون في مبتغاهم، ولكن على هذا النحوسيأتي اليوم الذي ينال فيه مبتغاه دون شك، ثم قال في نفسه: حذرني أنه سيحاول الغدر بي في لحظة الفرح، وكان معه حق، وقد وعدني أنه سيرمي سهما واحدا كل عام ولا زال معه حق، كأنه يلمح إلى أنه قاتل شريف، يا لهذا العجب؟ ثم قال: حسنا يا أبنائي دعونا من هذه القصة وأتموا اللعب لأني سأنضم إليكم.

الفصل الواحد والعشرون: أخيرا... إقامة الألعاب

" نمت وأنا أقرأ كتابا مملا ورأيت في المنام أني لا زلت أقرأه فاستيقظت من الملل "

هاينرش هاينه

وأخيرا حل الصباح الذي كان ينتظره معظم الأطفال بفارغ الصبر، وهوصباح اليوم الذي ستشهد عشيّته فائزا ليذهب إلى جزيرة الضياء على حسب قول شايريدي، واليوم الذي لا تتمناه روميتا والنسوة الأخريات خصوصا بعد ما قالته روميتا لابنتها ساديت.

استيقظ الأطفال في ساعة مبكرة من الفجر، وبسرعة غسلوا وجوههم وتوجهوا لتناول فطور الصباح، ولكن هذه المرة تناولوه مع الأمهات، فالرجال كانوا تناولوا الفطور مع الفجر وتوجهوا للناحية التي سيقيمون فيها الألعاب لإتمام التحضيرات الأخيرة وكانت في المدخل الثاني.

اتجه الجميع بعد إنهاء فطور الصباح إلى مكان إقامة الألعاب ليجدوا شايريدي والرجال الآخرين هناك في انتظار قدومهم.

ما إن وصلوا حتى رأوا بساطا من الأعشاب الخضراء ممتدة طولا وعرضا مفروشة على الأرض، واتجه كايسونحوالأعشاب يجري وما إن كادت قدماه تلامس تلك الأعشاب حتى مسكه شايريدي من يده وقال: انتظر، لم أعلن البدأ بعد، إياك والتسرع إذن.

طلب شايريدي من الأطفال أن يصطفوا على خط واحد وهوما فعله الجميع بما فيهم إيستارا التي كانت متشوقة للمرحلة الثانية، فهي كانت تعلم أنه لا يمكن أن يُتفوق عليها في الجري وكانت ميراي على الجانب الأيمن لإيستارا وساديت على الجانب الأيسر وقالت إيستارا: يجب أن نمر للمرحلة الثانية مهما كان الثمن لذلك ابذلا قصارى جهدكما يا صديقتي، اتفقنا؟. وما إن أتمت كلامها حتى قالت ساديت: حسنا اتفقنا، ولكن لا تغتري كثيرا يا إيستارا فهناك الصبية، ولا تنسي أنهم سريعون في الركض جدا.

ابتسمت إيستارا وقالت: حتى وإن كانوا سريعين جدا فلن يستطيعوا سبقي، وسوف ترين أني على حق في ما أقوله، انتظري فقط.

قال شايريدي: استعدوا وعندما أقول انطلقوا، انطلقوا يا أبنائي والفائزون سيذهبون للمرحلة الثانية.

كانت قلوب الجميع تتسارع في نبضها إلا إيستارا فكانت نبضات قلبها عادية وكأنها متأكدة أنها ستذهب للمرحلة الثانية وما هي إلا لحظات حتى قال شايريدي انطلقوا، فانطلق الجميع بأقصى سرعة ولكن حدث ما لم تتوقعه النسوة ولا الأطفال، فاللعبة الأولى كانت تظهر أنها سباق والأوائل يتأهلون للمرحلة الثانية ولكن الذي يبقى هوالذي يتأهل للمرحلة الثانية فالأرض تحت الأعشاب الخضراء تلك كانت مملوءة بالحفر وكل صبي يسقط داخل الحفرة يُقصى، وما إن بدأ الأطفال بالسقوط حتى ارتعب الأطفال الذين كانوا فوق العشب الأخضر ولم يسقطوا. في هذه اللحظات التفت شايريدي لروميتا والآخرين ثم قال: هكذا ديني يسدد والحظ فقط هوالمسئول عن الفائزين، وإن فازت إيستارا فلا دخل لي، حظها فقط هوالمسئول عما سيحدث لها إن فازت، تغيرت الألعاب والحقيقة أنها لم تتغير

أبدا، ستفهمون، لا تستعجلوا واصبروا فقط.

أقصي الأطفال الذين سقطوا وعشرة فقط لم يسقطوا من بينهم إيستارا ورفيقتيها وقد عبروا فوق العشب إلى الطرف الآخر ونجوا من السقوط وكذلك الصبي كايسو، أما روميتا فالتفت إلى النسوة الأخريات وقالت: أليس من العجيب أن من سقط حظه جميل ومن لم يسقط فحظه سيء؟.

فردت عليها ماوريسي: معك حق يا روميتا، ولكن أباك شايريدي يحيرني في الأفكار هذه، من أين يأتي بها؟ جعل الألعاب مختلفة عما كانت عليه من أجل إيستارا، ولكن من توقع أنه سيجعلها ألعابا احتمالية؟. ردّت عليها سويريتا: إننا فقط لم نألفه، ثم أردفت تقول: نعم من ظن أنه سيجعلها ألعابا احتمالية؟ بكل صدق، رغم أن ما بعد الألعاب سيكون سيئا للفائز إلا أن فكرته هذه تجعلنا نقرّ بدهائه.

وهنا سمعها شايريدي فقال: يا ابنتي، إيستارا جعلتني أغير الألعاب، لذلك هناك قليل من الذكاء، انتظروا فقط لتروا، لا يزال الكثير لتروه، كل ما عليكن فعله هوالانتظار، ثم تابع: صحيح أنها احتمالية ولكن سوف يتخللها بعض الذكاء لأننا غيّرنا نمط الألعاب وفي النهاية سوف تجدون أنها لم تتغير!

قال شايريدي: حسنا يا أطفال، دعونا نواصل الآن فلا تزال الفرحة مبكرة، هيا استعدوا للعبة الثانية ثم ابتسم قائلا: لا تقلقوا، لن تكون كسابقتها التي كانت تخطف الأنفاس حين السقوط داخل أي حفرة من الحفر تلك.

طلب من أخيه ريوساي أن يعصب عيون الذين اجتازوا المرحلة الأولى وهذا لبدأ اللعبة الثانية التي كانت سهلة.

صُمّم طريق طوله حوالي عشرة أمتار وعرضه حوالي ثلاثة أمتار، وكانوا قد وضعوا قطعا خشبية مربعة الشكل في نهايته وتمّ تغليفها بقماش أسود، وطرفا الطريق مغلق بألواح خشبية لكي لا يحيد أي من الأطفال الفائزين عن ذلك الطريق، أما اللعبة فهي كما يلي: ينادى على أحد الفائزين ثم تعصب عيونه ويُترك ليمشي في ذلك الطريق، ويتوقف حين يسمع اسمه وهذا يعني أنه وصل إلى نهاية الطريق، كل ما يتبقى عليه فعله هونزع العصابة وحمل قطعة خشبية من تلك القطع الموجودة في نهاية الطريق ذاك بمحض إرادته، وفعل الأطفال الذين فازوا كما تقول شروط اللعبة تلك.

كانت كل الألواح مغلفة بقطعة قماشية سوداء، ولا ينزع القماش حتى يختار كل من تأهل لوحة من الألواح، وكان عدد القطع الخشبية أحد عشر قطعة، هذا لكي لا يكون الأخير مجبرا على أخذ اللوحة الأخيرة المتبقية ويختار بين لوحتين.

بعدها أمِروا أن ينزعوا القماش عن القطع الخشبية، وهوما فعله كل واحد على مرأى من الجميع الذين كانوا ينتظرون ما ستسفر عنه هذه اللعبة التي لا تعطي أي تلميحات عن فائز أوخاسر، وما إن نزع الأطفال القماش الأسود حتى وجدوا أن تلك الألواح الخشبية ملونة إما بلون أحمر أوأزرق أوأخضر وكانت اللوحتان اللتان تحملهما كل من إيستارا وساديت ملونتان باللون الأحمر أما ميراي وكايسووآخران فكانت ألواحهم ملونة باللون الأزرق، والأربعة الباقون فكانت لوحاتهم ملونة باللون الأخضر ولم يفهم الجميع ما الهدف من هذه اللعبة التي ظن الكل أنها دون أي جدوى سوى شايريدي الذي اقترحها وكان يبدوأنه لم يطلع إخوته عن الهدف من هذه اللعبة حتى نطق هذا الأخير قائلا: إذن، لدينا إيستارا وساديت في اللعبة الثالثة ولن تلعبا اللعبة الثانية أما الآخرون فسوف يواصلوا اللعبة الثانية.

استغرب الجميع من قول شايريدي وقال ريوساي: ما هذه اللعبة يا أخي؟ هل لأن إيستارا وساديت لهما نفس اللون على اللوحة تتأهلان ولأن عددهما هو الأقل؟ سامحني يا أخي ولكن أظن أن هذه مهزلة.

ابتسم شايريدي قائلا: يجب أن تطبق فمك عندما لا تعلم، وتطلب الشرح إن لم تفهم، لا أن تفسر الأمور بنفسك وتعطي قرارات خاطئة على حسب نظرتك للأمور، هنا قال آريناي: لا بد أنك يا عمي وضعت في ذهنك أن من تكون لوحته ملونة بالأحمر يفوز، أليس كذلك؟

- لا شيء من هذا ولا ذاك، ونظرتك الأخيرة تجعلني أظلم الآخرين إذا اخترت لونا أقرر به الفائز، حينئذ يصبح لي دخل في اللعبة وهذا يجعلني مخادعا لأني قلت أن الألعاب احتمالية، ولا يتدخل فيها سوى الحظ اصبروا، اصبروا حتى تعلموا.

اتجه شايريدي إلى أحد الجهات وقال اتبعوني. نصب سبعة أبواب خشبية بجانب بعضها ثمّ علّم بابا باللون الأحمر، وثلاثة أبواب باللون الأزرق وثلاثة باللون الأخضر. قال كايسومخاطبا ميراي: أحمر- أزرق - أزرق - أزرق - أخضر - أخضر - أخضر وتابع كايسوقائلا: لكنني لم أفهم ماذا يريد جدي من خلال هذا.

قال شايريدي: اللعبة الثانية مقررة كما يلي:لدينا ثلاث مجموعات، مجموعة اللون الأحمر ومجموعة اللون الأزرق ومجموعة اللون الأخضر، ولدي ثمانية أوراق مطوية، أربعة منها فيها أسماء الذين كانت لوحاتهم زرقاء، وأربعة لمن كانت لوحاتهم خضراء. سأسحب عشوائيا ورقة من كل مجموعة وبعدها أقرأ الاسم، والشخص الذي وقع عليه الاختيارِ يبقى في مكانه، أما الآخرون من مجموعته فيدخل كل واحد منهم باب عُلِم بنفس

لون لوحته. قال: لدي هنا أربعة أوراق مدونة فيها أسماء من تحصلوا على لوحات زرقاء، سأختار ورقة.

اختار شايريدي ورقة وقام بفتحها وقرأ الاسم. كان الاسم المدون هوميراي. قال شايريدي: روميتا، اعصبي عيني ميراي والثلاثة الباقون الذين كانت لهم لوحات زرقاء فليدخل كل واحد منهم إلى باب قد عُلم بلون أزرق.

فعل الأطفال ما قاله لهم شايريدي، ثم اختار من بين الأوراق الثلاثة الباقية اسما عشوائيا وكان الاسم هوكايسو. نزع شايريدي العصابة عن عيون ميراي وقال: افتحي بابا واحدا من الأبواب المعلَّمة بالأزرق، إن كان كايسوخلفه تأهلت للمرحلة القادمة، إن لم تصيبي فانتظري حتى يكون لك دور ثان، هذا إن لم يُصِب أي أحد بعدك، وإذا كان لك دور ثان وأخفقت مجددا فإنك سوف تُقصين مباشرة ونفس الشيء بالنسبة للآخرين، فهمت؟

قالت ميراي: نعم فهمت يا جدي، واختارت ميراي بابا عُلِّم بالأزرق، وما إن فتحته حتى طارت من الفرحة وقالت: لقد أصبت، لقد أصبتُ يا جدي. تجاهل شايريدي فرحة ميراي وقال: الثلاثة الباقون قد أقصوا من اللعبة تلقائيا لأن ميراي أصابت من أول فرصة.

قالت روميتا: فهمت الآن لم قال أبي أنه لدينا متأهلتان، وهذا يعني أنه إذا كانت إيستارا أمام الباب ستكون واديت فقط وراء الباب وإذا كانت ساديت أمام الباب ستكون إيستارا هي الوحيدة خلفه، وبذلك تصيب كل واحدة منهما وتتأهل إلى المرحلة الثالثة أما الآخرون فيضطروا للاختيار. ولم يردّ شايريدي على قول ابنته، فالأمر صار بديهيا بعد أن اتضحت لهم قواعد اللعبة.

كان قد تبقى أربعة أطفال لهم لوحات خضراء، ولم يفلح أي منهم في التأهل، في الدور الأول أخفقوا كلهم، وفي الدور الثاني كذلك أخفقوا كلهم، ولا أحد تمكن من فتح الباب المناسب، وبهذا تأهلت إيستارا وساديت وميراي للمرحلة الثالثة وقالت إيستارا في نفسها: لا بد أني سأكون الفائزة دون شك؟

أما اللعبة الثالثة فكانت كذلك لعبة عشوائية، وهي أن تختار كل واحدة الفتاة التي تريدها أن تفوز، ما عدا نفسها وأن تكتب اسم الفتاة التي اختارتها في ورقة وتطويها وتعطيها فيها بعد لشايريدي فاختارت ساديت أن تفوز إيستارا وكذلك ميراي اختارت أن تفوز إيستارا أما إيستارا فقالت في سرها: بما أن الفائز لن يرى إلا الشر فلن أخاطر بصديقتيّ، إذا كان شايريدي وضع أن الفائز هو الشخص الذي يختاره اثنان فهذا يعني أني إذا اخترت أي واحدة منهما قد أكون السبب في فوزها لذلك خياري هوأن لا أختار.

فتح شايريدي الأوراق الثلاث وتفاجأ عندما رأى أن إيستارا لم تختر وقال: كم أنت ذكية يا إيستارا؟ إذن تأهلت إلى المرحلة الأخيرة من الألعاب فقد اختارت كل من ساديت وميراي أن تكوني أنت الفائزة، هذا يعني أنك حتى ولواخترت واحدة منهما كنت ستعبري للمرحلة الأخيرة، على أية حال، أنت ستختارين.

قال شايريدي: عليك أن تختاري منافسة لك في اللعبة الأخيرة، إما ساديت.. وبدون تفكير قالت إيستارا: أنا أختار ساديت يا عم. وهذا لأنها اتفقت مسبقا مع ساديت أنه إذا انحصرت المنافسة بينهما فلتدع ساديت الفوز ليكون من نصيب إيستارا.

ما إن أتمت إيستارا قولها بأنها تختار ساديت حتى ابتسم شايريدي وقال:

انتظري يا ابنتي فالاختيار ليس هكذا وليس بهذه السرعة.

صدمت إيستارا لأنها ظنت أن خطتها قد فشلت تماما وقالت: إذن كيف يتم الاختيار، أرجوك قل يا عم شايريدي؟

كتب شايريدي اسم ساديت في ورقة صغيرة وكذلك اسم ميراي في ورقة أخرى صغيرة ثم قام بطي كل ورقة، وضعهما على الأرض وقال: الآن يمكنك الاختيار يا إيستارا، فاختاري واحدة والتي يكون اسمها مكتوبا في الورقة التي تختارينها ستكون منافستك، فكما قلت سابقا إن الألعاب ستكون ألعابا احتمالية في جزئها الأول.

حملت إيستارا ورقة من الاثنتين وقامت بفتحها وسرعان ما انتابتها فرحة غامرة وسلمت الورقة لشايريدي.

صفق شايريدي بيديه وقال: حسنا نكاد ننتهي من معرفة الفائز، انحصرت المنافسة بين إيستارا وميراي ولم تتبقى سوى مرحلة واحدة سنكملها بعد تناول الغداء فهذا سيكون مريحا، أليس كذلك؟ واتجهت النسوة مباشرة لتحضير طعام الغداء.

أكل الجميع على مضض، فالكل كان ينتظر في اللعبة الأخيرة وما ستسفر عنه وكان أغلب الأطفال يريدون فوز إيستارا ولعل ميراي كذلك كانت تريد لإيستارا الفوز، أما ساديت فكانت تتمنى أن لا يكون هنالك أي فائز.

انتهى ذلك الغداء سريعا جدا وعاد الجميع إلى مكان إقامة الألعاب. عبروا المدخل الثاني واتجهوا إلى الجزء المخصص للأطفال والذي لا يدخلونه إلا إذا أقيمت الألعاب. قال شايريدي: إيستارا، ميراي، هل أنتما مستعدتان لخوض غمار اللعبة الأخيرة؟.

قالت ميراي: أجل يا جدي. أما إيستارا فبقت صامتة.

- حسنا، اسمعاني جيدا. قبل كل شيء، هذه اللعبة فيها خدعتان، ثم جثى على الأرض ووضع راحة يده اليسرى على الكتف الأيمن لإيستارا وراحة يده اليمنى على الكتف الأيسر لميراي وقال: هناك خدعتان... وفي تلك اللحظة همت إيستارا بقول شيء قبل أن ينزل شايريدي يده عن كتفها ويضع سبابته على شفتيها وقال: اصمتي يا ابنتي فلم أنهي كلامي بعد. تابع شايريدي كلامه: كما قلت، خدعتان، والطريق السهل خدعة، وهناك شيء يعتمد على الذكاء فاحذرا. ثم قال لإيستارا: ابنتي، ما الذي كنت تريدين قوله؟

ردت إيستارا بابتسامة تخفي في ثناياها حزنا دفينا: لا شيء... لا شيء أوبالأحرى نسيته، ثم سالت دمعة من عينها سرعان ما مسحتها.

- حسنا، لا عليك يا ابنتي، أما اللعبة فتكون كالتالي. أشار إلى حبلين موضوعين على الأرض وقال: أترييان ذلكما الحبلين هناك؟

كان كل حبل من الحبلين متداخل مع بعضه تداخلا شديدا ولكنه ليس معقودا، وكان لونهما أسود فاحم. قالت ميراي: نعم يا جدي، نحن نراهما، ثم التفتت إلى إيستارا وقالت: أليس كذلك يا إيستارا؟

- بلى يا ميراي، ولكنني أتساءل، ما الذي سنفعله بحبلين متداخلين ثم نظرت إلى شايريدي قائلة: لا تقل لي يا عم أنه يجب علينا فك ذلك التداخل الذي هوفي غاية التعقيد؟.

- أصبت يا إيستارا.

توسط شايريدي بين ميراي وإيستارا ومسك بأيديهما وقال: تعاليا معي

الآن.

مشى مسافة قصيرة حتى وصل إلى بئرين جافين وكانت في قاع كل واحد منهما نار متقدة، وقال: من تتمكن من فك التداخل في حبلها يجب أن تأتي إلى هنا وتقوم بإلقاء طرف من طرفي الحبل في النار وبعدها تخرجه وتضعه على الأرض ومن يحترق حبلها أولا... وقبل أن يكمل قالت إيستارا: فهمنا يا عم، من يحترق حبلها أولا تكون الفائزة، هيا بنا إذن يا ميراي لنبدأ اللعبة.

حملت إيستارا حبلا من الحبلين وكذلك ميراي، وقبل أن تبدأ كل فتاة في محاولة فك التداخل قالت ميراي لإيستارا: أرجوك يا إيستارا أعطني حبلك فهذا الحبل جدّ متداخل وسمعها شايريدي فقال: إن كلاهما متداخل جدا ولكن إن أرادت إيستارا أن تعطيك حبلها فلا مانع عندي.

قالت إيستارا: تفضلي يا ميراي وكانت إيستارا شبه متأكدة أن ميراي لن تستطيع فك التداخل الذي بين الحبلين، سواء الحبل الذي اختارته أولا أوالحبل الذي كانت تحمله في يديها قبل أن تعطيه لها، فميراي بلهاء قليلا رغم أنها يمكن أن تحدث المفاجآت أحيانا.

بدأت الاثنتان في محاولة فك التداخل وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخطأت ميراي وشكلت في حبلها عقدة وأخذ جميع الأطفال يضحكون عليها إلا إيستارا التي قالت لها: حاولي أن تفكي العقدة التي شكلتها فلا يزال الوقت متاحا لك يا ميراي.

أما إيستارا فكانت تدخل طرفا تارة وتخرجه تارة أخرى حتى أزالت التداخل وصار الحبل حبلا عاديا دون تداخل ودون أية عقدة فيه، واتجهت مباشرة إلى أحد البئرين ولم تتسارع نبضاتها وهي ترى نفسها على مقربة من الفوز.

أمسكت طرفا من الحبل بيدها وألقت بالطرف الآخر في البئر لكي تقوم بحرق الطرف ذاك وتخرج الحبل بعدها وتتركه يحترق على الأرض، ولكنها تفاجأت بأن الحبل لا يصل إلى قاع البئر وحتى ألسنة النار لم تتمكن من إمساك الطرف ولسعه ولو قليلا.

احتارت إيستارا ماذا تفعل وأخذت تمد يدها أكثر وأكثر لأسفل ولكن دون أي جدوى وكان جليا أن الحبل ذلك لن يصل إلى تلك النار التي تتأجج في قاع البئر ذاك، ونظرت إلى شايريدي قائلة: يا عم، من المستحيل أن يصل هذا الحبل فإنه قصير جدا وكان الكل قد ذهب بصره نحوشايريدي الذي كان يستظل تحت ظلال إحدى الأشجار بالقرب من موقع الألعاب، إلا ميراي التي كانت لا تزال تحاول أن تفك العقدة التي شكلتها في حبلها.

نظر شايريدي لإيستارا ورفع كلتا يديه قليلا وأخرج شفتاه الرقيقتين نسبيا كناية على أنه لا يعلم شيئا ولم ينطق بكلمة واحدة ونظر إلى الآخرين وقال: لا تحاولوا أن تستفسروا فقد قلت كل ما لدي وجميل منكم أن تبقوا صامتين، شاهدوا فقط.

بقيت إيستارا تحاول دون جدوى إلى أن استسلمت واستلقت على الأرض ومدت بصرها للسماء وهي تقول: هل يعقل أنه كان يستهزئ بنا أم أن هذه خدعة من الخدعتان اللتان تكلم عنهما قبل أن نبدأ؟

في تلك اللحظات كانت ميراي فكت حبلها ولكن تركت فيه عقدة وحيدة وكانت قد سمعت من إيستارا أن الحبل لا يصل إلى البئر فاتجهت نحوحبل إيستارا وحملته وأخذت تحاول ربط إحدى طرفيه مع طرف من طرفي حبلها وكانت إيستارا لا تزال مستلقية على الأرض وقد أغمضت عينيها وهي غارقة في التفكير: ما الحل كي تحرق الحبل؟ وفجأة أتتها فكرة

فنهضت مسرعة ولكن رأت أن ميراي قد ربطت الحبلين ببعضهما وتهمّ بإلقاء طرف من طرف حبلها في قاع البئر الذي تتوقد النار داخله وألقت طرف حبلها لأنها تعلم أن الفائز هومن يحترق حبله أولا وبذلك تفوز، ولكن لحسن حظ إيستارا أنها وصلت وأخرجت الحبل دون أن تتذوقه ألسنة النار وقالت لميراي: قال أن هناك خدعتان والخدعة الأولى هي التعاون وبما أنك ربطت حبلينا فهذا يعني أننا تعاونّا وبذلك نقع في الخدعة الأولى، فالحل السهل خدعة، والآن يا ميراي دعينا نكمل اللعب وأرجوأن تفهمي عن قريب أنك صديقتي والصديقة لا تحب لصديقتها إلا الخير وإلا فليست صديقة.

فكت إيستارا الحبلين وأخذت حبلها وقالت لا بد أن الذكاء الذي تكلم عنه يكمن في الحبل وفجأة انتبهت أن الحبل عبارة عن أكثر من حبلين قد تم ضفرهم مع بعضهم البعض واللون الأسود هوما منعها أن تلاحظ أن الحبل مضفور، وبدأت إيستارا بفكه أما شايريدي فقد نهض وبدأ يصفق وقال:أحسنت، وابتسم الجميع وهم مندهشون مما تفعله إيستارا.

فكت إيستارا الحبل لأربعة حبال وبدأت بعقد أطراف الحبال الأربع حتى صار حبلا واحدا طويلا كفاية ليصل إلى ألسنة النار أما ميراي فكانت العقدة التي تركتها عائقا لكي تفك الحبل المضفور وأخذت تحاول أن تفك العقدة التي شكلتها، في الوقت الذي كانت إيستارا قد أحرقت طرف الحبل وأخرجته تاركة إياه على الأرض يحترق ولم تمضي لحظات حتى احترق الحبل تماما واتجه الأطفال كلهم نحوإيستارا يعانقونها ويهنئونها بفوزها وكذلك ميراي فقد تركت حبلها، واتجهت نحوإيستارا تهنئها، أما إيستارا فكان بالها مشغولا بالخدعة الثانية التي تكلم عنها شايريدي.

اتجه شايريدي نحوالأطفال وقال: حسنا يا أبنائي، والآن أعلن الفائزة، وقبل أن يعلن شايريدي اسم الفائزة قالت إيستارا:عذرا يا عم ولكن ما هي الخدعة الثانية التي كلمتنا عنها فأظن أنه لا توجد إلا خدعة واحدة لا غير أم أنا مخطئة؟

– الخدعة " الثانية " هي التعاون يا ابنتي، ثم قال: اصمتي، سوف تفهمين كل شيء. قال بعدها: أما الآن، فالفائزة في الألعاب لهذه السنة والتي سوف تذهب إلى جزيرة الضياء هي " ميراي "... وهنا ذهبت سويريتا وانهمرت دموعها دون سابق إنذار وزوجها كايفيري مباشرة وكان جليا أن سويريتا ذهبت إلى الغرفة لتبكي وكايفيري لمواساتها.

صُدم الجميع، وذهلوا وكذبوا آذانهم والتفت كل شخص إلى الآخر يسأله هل صحيح أن شايريدي قال أن ميراي هي الفائزة هذه السنة، ونظر شايريدي إليهم قائلا: أجل، لا تحتاروا، فميراي هي الفائزة.

قالت إيستارا بصوت عال وناقم على شايريدي: ما هذا، أنت تغش، قلت أن من يحترق حبلها أولا هي الفائزة ثم تقول أن ميراي هي الفائزة وهي لم يحترق حبلها بتاتا وأتبعت: لا، بل حتى أن ألسنة النار لم تداعب حبلها، وبان عدم الرضى على قرار الجد شايريدي من الجميع وحتى من ميراي نفسها.

قال شايريدي: أولا، أنت يا إيستارا من قلتِ: " فهمنا، الفائزة من يحترق حبلها أولا "، ولست أنا القائل، وقبل أن يكمل قالت إيستارا: لا تحاول التلاعب بالكلمات، فحتى ولولم أقل أنا ذلك الكلام، كنتَ ستقوله على أية حال لذلك لا تحاول التذاكي علي.

اندهش الجميع من ردة فعل إيستارا، وكيف لا، وهم يرون الجمال المتجسد في محياها البديع غير راضٍ وقال شايريدي: لقد جعلتك تصمتين

في المرة الأولى ووضعت سبابتي على شفتيك لتصمتي وفي الثانية تسرعت ولم يكن بمقدوري جعلك تصمتين وعلى أية حال، كنتُ قلت لك دعيني أَكمل كلامي في المرة الأولى، ولكن أنت لا تتعلمين، فماذا أفعل لك؟.

كانت نيمايسول الصغيرة غير راضية البتّة، وقالت بنبرة صوت حادة: لنفترض إذن أنك لم تكن تريد قول "أن من يحترق حبلها أولا ستفوز"، ماذا كنت ستقول إذن؟ هيا أخبرنا رجاء دون تردد أوتفكير حتى نرى إن كنت صادقا.

- ببساطة كنت سأقول أن من يحترق حبلها أولا، وأدع لك المجال لتكمليها لأنك متسرعة دائما وتلك الخدعة الأولى ووقعت فيها والتعاون كان الخدعة الثانية وحسبته الخدعة الأولى ولعل الجميع فكر أن التعاون هوالخدعة الأولى، والآن، ما رأيك؟ ألست مبدعا يا ابنتي؟

نظر شايريدي إلى الجميع وقال: لكي لا تقولوا أني مخطأ، أنا كنت سأختار الخاسر ليكون فائزا، هذا لأني جعلت الألعاب تعتمد على الحظ ونحن نعلم أن الحظ يجعل أناسا تستحق الخسارة تفوز، وأناسا تستحق الفوز تخسر، وهذا ما دفعني لاختيار الخاسر.

دهش الجميع لطريقة تفكير شايريدي وقالت روميتا: لكن يا أبي، لماذا جعلت المرحلة الأخيرة تعتمد على الذكاء وجعلت فيها خدعتين؟

ظن الجميع أن روميتا أوقعت أباها في الفخ أخيرا، وقال ريوساي: أجل يا أخي، لماذا جعلت اللعبة الأخيرة لعبة ذكاء إذن؟

ابتسم شايريدي ثم قال: عجبا، كيف لم تفهموا؟ غيّرت طبيعة الألعاب، كيف لا أضع فيها عنصر الذكاء والتمويه، ما بكم، هل فقدتم عقولكم

يا ترى؟ غيرت الألعاب لذلك وجب أن أدخل الذكاء، ولولاحظتم، فالألعاب لم تتغير وقال: كنا نختار الفائز، تغيرت طبيعة الألعاب، فمن البديهي أن نأخذ الخاسر!

أما إيستارا فقد ذهبت إلى الغرفة، وتبعتها ساديت، لم تكن إيستارا غاضبة لأنها لم تفز، بل لأن ميراي قد وقعت في ورطة كبيرة، إذ قِياسا على كلام روميتا حول الألعاب وما أخبرتها به ماوريسي عند أول لقاء وما أخبرها به الشاب الذي يأتي لشراء الصوف، وردة فعل والدي ميراي عند إعلان شايريدي اسم الفائزة.

الفصل الثاني والعشرون: بهجة في غير مكانها

" لن توجد السعادة أبدا ما دامت الأشياء التي نؤمن بها تختلف عن الأشياء التي نقوم بها "

ألبير كامو

سادت الفرحة الغامرة صدر ميراي وتمنى كل الأطفال لوكانوا مكانها، إلا إيستارا وساديت اللتان كانت ضلوع صدرهما تتفتت لأنهما تعلمان أن ما سوف يحصل لميراي هوشيء سيء، وليس شيئا جميلا كما يظنه جميع الأطفال، ولم تمضي إلا ثواني قليلة حتى حملت ميراي فوق سرير حريري مطرز بخيوط جميلة تبهج العين، وحُمل السرير ذلك فوق أكتاف أربعة رجال وصارت ميراي كأنها أميرة محمولة على عرشها وكل العيون موجهة صوبها وكان ذلك السرير مملوءا ببراعم الأزهار والورود، وبدأت ميراي تلقي بتلك البراعم فوق رؤوس الأطفال الآخرين وهي تقول: شكرا لأن لا أحد منكم يزاحمني فوق عرشي، أما أمها فكانت تكبح سيل الدموع في كل لحظة، وذلك كان بادٍ من خلال تعابير وجهها، وروميتا وماوريسي كن حولها لمواساتها، وحتى من لا يستطيع أن يقرأ لغة العيون وتمتمات الشفاه سيعلم أن الأمهات والآباء تتقطع قلوبهن وتتمزق.

أخذت ميراي فوق ذلك السرير إلى غرفة الفائز، وسميّت كذلك لأنه لا يمكن لأي صبي دخولها إلا إذا فاز في الألعاب، كان منظرها من الخارج يوحي بأنها شاسعة جدا من الداخل، وطريقة تشييدها فخمة جدا حتى

أن فخامتها كانت تضاهي فخامة الغرفة الرئيسية التي يجتمع فيها الأعيان لمناقشة أمر أوإقرار أي قرار ما.

لحظات قليلة مرّت حتى وصل الرجال الأربعة بميراي إلى تلك الغرفة وجثوا على ركبهم ببطء شديد حتى تتمكن ميراي من النزول دون أن تسقط، فيصيبها مكروه وكانوا حذرين جدا من لحظة حملها حتى لحظة جعلها تنزل من السرير، وبعد ذلك تقدم شايريدي وأخرج مفتاحا نحاسيا لا يشبه المفاتيح التي نعرفها من أحد جيوبه، وقام بفتح الباب، وما إن رأت ميراي الغرفة من الداخل حتى بدأت بالصراخ بأعلى صوتها حتى كان ليظن سامعها أن أحبالها الصوتية تكاد تنقطع وهي تقول: ما أجملها، يا لروعتها، ما هذا النعيم الذي سأعيشه في هذه الأيام الثلاث؟. قال شايريدي: لم تري بعد النعيم الذي ستعيشينه يا ابنتي في جزيرة الضياء، لم تريه بعد وسوف تنسين هذا النعيم تماما.

كانت تلك الغرفة شديدة الاتساع بما تعنيه الكلمة من معنى، وجدرانها كانت مزخرفة بزخرفات جميلة ورسومات جميلة وأسرة حريرية ما إن تجلس عليها حتى تحس أنك فوق صفحة مياه ناعمة وليس على أسرة، أما خارجا فقد أمر شايريدي جينيوسي بحراسة ميراي، وبدأت الأطعمة الشهية واللذيذة تتأتى لميراي من كل الألوان وكل الأذواق التي ما إن تبتلع لقمة واحدة من تلك المأكولات الشهية حتى تحس بالشبع التام، وكانت ميراي تعيش لحظات مليئة بالسعادة وأي سعادة تعادل سعادة أن يكون للإنسان ما يرغب به دون أن يبوح به.

هذا بالنسبة لميراي، أما إيستارا وساديت فكانتا تفكران في طريقة تستطيعان بها إنقاذ ميراي من ورطتها تلك التي تظن ميراي أنها نعمة وكانتا

جالستين وحدهما في الغرفة تفكران ما الحل الذي يمكن أن ينجي ميراي، وقالتساديت لإيستارا: لدي اقتراح ولكن لا أعلم إن كان مجديا أم لا.

- قولي هذا الاقتراح، نحن لسنا في وقت يسمح لنا أن نفكر في اقتراحاتنا قبل أن نبوح بها، هات ما عندك فالوقت قصير جدا والأيام الثلاثة ستنقضي عن قريب، ولا أريد أن يحدث أي مكروه لميراي، لذا تكلمي؟

قالت ساديت: ما رأيك يا إيستارا أن تجعلي الببر يهجم على حراس تلك الغرفة ليلا وبعدها نتسلل إلى الداخل ونخرج ميراي ونهرب من هنا بأقصى سرعة دون رجعة؟ أرى أن هذا حل سديد يا إيستارا.

- الببر، الببر يهاجم، الببر يقتل، أليست لديك أية أفكار أخرى؟. وقالت ساديت: لا أرى أي مشكل في هذا الحل؟

- لا يا صديقتي، هذا حل غبي فقد رأيت أباك يصعد لسطح الغرفة الفاخرة تلك ولا بد أنه يراقب الآن كل النواحي وبذلك إن جعلنا الببر يهجم على جينيوسي سينادي الرجال الآخرين، ومن ثم فأمر مؤكد أن الآخرين سيحضرون كل أسلحة لديهم لقتل الببر وربما قتلي وهذا يقضي على فرصة التسلل لتلك الغرفة، ثم أخذت إيستارا نفسا عميقا جدا وأخرجته قائلة: يجب التفكير بخطة تكون سديدة وفي نفس الوقت تكون ناجحة حتى نتمكن من إنقاذ ميراي.

قالت ساديت: ولكن حتى ولوتمكنا من إخراج ميراي، كيف نذهب بعدها أوبالأحرى كيف نهرب وإلى أين سنهرب؟

ابتسمت إيستارا في وجه ساديت وقالت: ببساطة أنا لا أعلم؟ ولكن يجب أن نخرج ميراي أولا من ذلك السجن الذي بداخله النعيم.

- لا، لا أوافقك الرأي أبدا يا إيستارا، يجب أن نبني خطة محكمة وكاملة، لا أن نضع خطة ناقصة ونفشل بعدها في مسعانا الذي نريد الوصول إليه.

قالت إيستارا: ماذا سنفعل؟ أرى كل النواحي أمامنا مغلقة يا صديقتي، هل نكمل مسيرنا في هذه الحياة ونترك ميراي لتواجه مصيرا معقدا، ثم قالت: هذا المجنون جعلني في ورطة حقيقية، دعيه هويحل هذه المشكلة!

قالتساديت: من هذا المجنون؟

- المجنون الذي رمى السهم وبذلك غيّر جدك الألعاب وصارت ألعاب حظ، لولا تدخله لكانت جرت الألعاب عادية وفوزي يكون محتما، لقد خرّب الخطة بأكملها. ثم نظرت إلى ساديت قائلة: هل عرفتم أي شيء عن الشخص الذي أطلق السهم؟

- لم نعرف أي شيء يا إيستارا، وكيف سنعرف خاصة أنه أطلق السهم من خلف الأشجار دون يترك دليلا واحدا؟. فجأة قالت: آه، لقد تذكرت، قال عمي ريوساي أن السهم لم يكن سهما عاديا، هذا كل شيء.

- على كل حال، السهم لم يكن سهما عاديا، ولولم تتعب يدا جدك لكان رامي سهام عبقري، ولكنا أقمنا جنازة العم شايريدي، ولكن من الجيد أنه نجا، أتمنى أن يصحح أخطاءه قبل موته أما نحن فلا شيء لنفعله وكما قلت لك، دعي ميراي تواجه مصيرها.

- لا تقولي هذا الكلام يا إيستارا فمصيرها كان ليكون مصيرنا وربما سنواجه مصيرها هذا يوما ما إن لم نقم بوضع حد لهذا المصير السيئ، ووضع حد هوالصواب، أليس كذلك؟

- أجل، هذا هوالصواب بعينه ولكن ما باليد حيلة، ولم تراودنا أية فكرة

سديدة. نظرت إيستارا من خلال النافذة إلى الشمس الغاربة وقالت: انظري إلى الشمس، إنها تكاد تغرب دون أن نصل إلى شيء يساعد في إراحة عقولنا من التفكير، والأهم أنه يساعد في إنقاذ ميراي.

- هناك قول كانت تقوله لي أمي يا إيستارا وهو: اصبري قليلا ولا تستسلمي، تراجعي قليلا ولا تنسحبي، إذن يجب أن نصبر قليلا ومن المكن أن تأتينا فكرة لامعة بحلول الليل.

حل الليل وتناول الجميع عشائهم وقالت إيستارا لساديت: ميراي في عيشة هنيّة ما فيها بأس ولا بليّة، لكن قد تكون وصية لشيء بدون سجية وقد تصير للشرور هدية.

- ليس وقت قوافيك، فكري في حلّ، فردت إيستارا: إنها الفطرة يا ساديت، تسمى الفطرة، ماذا سأفعل؟ ساديت ذكية، ولكن قربي تكون غبية، فأقول لها يا صديقتي الوفية، لديك إيستارا، الفتاة الجنية التي لديها كل التعاويذ السحرية لتجعلك غير مرئية!. أما الآن فهيا نتجه إلى غرفتنا لنفكر في حل ينجي ميراي.

دخل الجميع إلى غرفهم للنوم واتجهت ساديت وإيستارا إلى غرفتهما التي تغيرت أجواء لياليها فميراي التي كانت تنام معهما قد صارت في تلك الغرفة الفاخرة، تنام لوحدها دون دفء الشعور وربما دون الشعور بالسرور وألوان الحبور.

استلقت كل من إيستارا وساديت على فراشيهما وقالت ساديت بصوت خافت: إيستارا، إيستارا، وجدت فكرة رائعة ومتأكدة أنها ستعجبك كثيرا.

قفزت إيستارا نحوساديت وقالت: هيا أطلعيني عليها لأرى إن كانت

ستعجبني أم أرفضها كما رفضت اقتراحك الأول الذي كان اقتراحا غبيا، لكن لنقل أنه كان دون تمحيص وتمعن في نتائجه، والآن قولي رجاء اقتراحك الثاني علّنا سننجح إن أخذنا به؟

قالتساديت: آسفة، ولكنني نسيته فقد تكلمتِ كثيرا لدرجة جعلتني أنسى، لماذا قفزت من مكانك إلى هنا؟

– هيا تذكري، لقد قلت أن لديك اقتراحا ثانيا لإنقاذ ميراي، قولي رجاء أنك تذكرت اقتراحك ذاك؟

– حسنا تذكرت، والآن اسمعيني جيدا. الغرفة محروسة من كل الجوانب وكذلك من أعلى، ولا يمكن الاقتراب من الباب، سيكون هذا أشبه بأمر مستحيل، إذن اقتراحي أن نحاول إنقاذها بعد انقضاء الأيام الثلاث، لذلك يجب أن نعلم أين ستذهب بعد انقضاء الأيام الثلاث، ما رأيك؟.

مسكت إيستارا ساديت من وجنتيها وقالت: ساديت اخلدي للنوم وإن لم تستطيعي النوم فلا تتكلمي كلمة واحدة اتفقنا، وحتى لوكان اقتراحا ورأيت أنه سديد فابقي صامتة.

ردت ساديت بنبرة صوت ناعسة: أظن أني سأنام فقد تعبت من التفكير في حلول سديدة دون جدوى، تصبحين على خير.

قالت إيستارا: نحن لا نتعب من التفكير نفسه، ولكن نتعب من الأشياء التي تستدعي التفكير بشأنها.

نامت ساديت وبقيت إيستارا شاردة الذهن تفكر في طريقة لإنقاذ ميراي ولعل الشيء الذي زاد من إصرارها على الوصول لحل هو عندما سمعت ساديت تقول وهي نائمة: لا يا ميراي، لا تصنعيها هكذا، انتظري سأعلمك

ولن يضحك عليك أحد بعدها.. في تلك اللحظات ألقت الدموع تحية على عيون إيستارا وبدأت تسيل لتروي وجنتيها الناعمتين، ولكن سرعان ما مسحت دموعها وقالت: لا بد أن أجد حلا، لا أن أبكي، إنقاذ ميراي سيكون بمثابة تحقيق أسمى أمنية لديّ في الواقع الذي أحياه، أمي رحمها الله أنقذت الببر الأبيض وهوعلى مشارف الموت، لذلك لن أخذل ثقة أمي أبدا.

جلست إيستارا طول الليل وهي تفكر وتفكر ولم تترك فراشات النعاس لكي تداعب جفونها لوللحظة وظلت تفكر وتضع في الفرضيات والنتائج حتى نهضت وتمطّت وسمعت صوتا لعظامها وهي تقول بصوت ناعم: آه... ما أجمل هذا الإحساس الرائع، تحس كأنك ولدت من جديد...يااااه.

كانتساديت لا تزال نائمة وتغط في نوم عميق جدا وبخطوات صغيرة هادئة اتجهت إيستارا نحوها وبدأت تهز في أحد كتفي ساديت ببطء شديد كي لا تسبب الخوف لهذه الأخيرة فتصرخ في جنح تلك الليلة وأخذت تقول: ساديت استيقظي، هيا استيقظي يا كسولة.

– دعيني أنم، ثم تقلبت على جنبها الآخر وبدأت تأخذ في أنفاس عميقة نسبيا وهي تستشعر متعة النوم ولكن إيستارا بقيت تحركها يمينا وشمالا حتى أفقدتها متعة النوم وأخذت تحك ساديت في عيونها وهي تقول: ماذا يا إيستارا؟ هل هاجمك الشبح؟

– لا تعلمين شيئا غير الببر الأبيض والسؤال، هلا أفقت رجاء أم علي أن أصبّ دلوماء فوقك حتى تستفيقي وتسمعي الكلام الذي سأقوله لك؟

– حسنا، لا داعي لذلك، أنا كلي آذان صاغية لم ستقولينه، فقط قولي عسى أن يستطيع كلامك هذا أن ينقذ ميراي المسكينة.

– جيد، بما أنك تذكرت، فيمكنني البدء بما سوف تفعليه صباح الغد إن شاء الله. قالت إيستارا: لا شك أنك تذكرين ذلك الشاب ذوالبنية القوية الذي قلت لي أنه يأتي كل ثلاثة أيام، لكي يأخذ بعض الصوف والزاد من هنا دون أن يتلفظ ولوبكلمة واحدة.

– أجل، كيف لا أتذكره وهويأتي إلى هنا منذ سنين ليأخذ الصوف وخيوط النسيج وبعض الزاد، ولكن نحن نريد إنقاذ ميراي فما شأنه هوفي هذه القصة؟.

– شأنه شأن كبير في هذه القصة، وأظن أنه يستطيع مساعدتنا يا ساديت وليس لنا حل سوى أن يكون حلقة رئيسية في مصيبتنا.

– لكن كيف يكون هذا يا إيستارا؟ لم أفهم ما تريدين قوله وهو لا يتكلم أية كلمة فكيف يكون إذن حلقة رئيسية؟ أوضحي لي رجاء.

– حسنا سأوضح لك، لا شك أنك تذكرين أنه في إحدى المرات التي أتى فيها كنت أنا من أخذت الكيس له. قالت ساديت: أجل، إنني أتذكر، إنه نفس اليوم الذي تعارفنا فيه.

– تماما، والآن ركزي جيدا فيما أقوله: عندما أعطيته الكيس في ذلك اليوم قال لي كلمات ومن ضمنها: احذري من الألعاب دون أن تقلقي، وقالت ساديت: في أي شيء تفيدنا جملته، وأظن أنه قد انتهى كل شيء ولا حل لإنقاذ ميراي.

– اصبري يا ساديت، لم ينتهي أي شيء ولكن قد بدأ كل شيء فاسمعيني ولا تقاطعيني رجاء لأن لديك عملا صعبا عليك القيام به هذا اليوم.

– قولي وأعدك أني سأسمع كلامك هذه المرة دون أن أقاطعك ولولمرة

واحدة.

- الكل يعلم أنه سوف يأتي اليوم، إذن احرصي على أن يكون الأطفال كلهم حاضرون عند قدومه، هذا أولا، وثانيا احرصي وبأي طريقة على أن تكونين أنت من يقدم له الكيس، وعندما يسألك عني فقولي له لقد فازت في الألعاب يا سيدي.

قالت ساديت: سامحيني يا إيستارا ولكن لم أفهم فيم سيفيدنا هذا كله، خاصة أننا سوف نكذب والكذب خلق سيء وتذكري أنك قلت لنا أنك لن تكذبي مجددا بعد أن قطعت وعدا لأمك بعدم الكذب.

- أنا أعلم ولكن في هذه الحالة قد نتسبب بإنقاذ شخص ولا شك أن الكذب لتحصيل أمور خيّرة لا بأس به ثم قالت: أريد الابتعاد قدر المستطاع عنه حتى وإن كان لأمر طيب لكن في هذه الحالة يجب الإقدام عليه، أما عن حضور جميع الأطفال فهذا يجعله لا يستطيع تمييز ميراي إن كانت غائبة أولا، وأما غيابي فسوف يكون جليا له لأني غريبة عنكم ولوتتذكرين في المرة السابقة حدّق بي كثيرا لذلك سأكون غائبة وذلك حتى يلاحظ غيابي ويستنتج أنني فزت وتؤكدين له فوزي.

- حسنا فهمت، لكن ماذا لولم تجري الأمور كما نريد لها أن تجري؟ وتخيلي لوأن جدي شايريدي أصرّ على حضورك أوأن الشاب ذاك لن يأتي، ألن تكون خطة فاشلة؟

- لن تكون خطة فاشلة ولكن تكون خطة لم يقدر لها الاكتمال، ونكون قد فعلنا ما بوسعنا فعله ولكن القدر سيد حياتنا يا صديقتي.

- لا يزال يراودني سؤال يا إيستارا وهوما نفع هذا الذي سنقوم به وإن

جرت الخطة كما نتمنى فكيف ننقذ ميراي حينها ثم انتبهت وقالت: مهلا، مهلا، حينها، الشاب ذاك سيريد إنقاذك وهذا يعني أنه أنقذ ميراي، سيأخذ ميراي معه لأنه لوأبقاها هنا فهذا يعني أن الأمر السيئ ذاك سوف يحدث دون شك.

قالت إيستارا: تماما، وذلك الشاب سوف يأخذ ميراي معه.

– إذن، سوف ننقذها لكن ستعيش بعيدة عنا ونحن بعيدون عنها، هذا ما تعنيه. ثم أردفت تقول: صحيح أني أريد إنقاذها ولكن لا أريد أن تكون هناك مسافات بيننا.

قالت إيستارا: تمهلي قليلا، من قال أنها ستعيش بعيدة عنا؟ ستعيش معنا، ولكن أنا وأنت فقط في الوقت الراهن، ربثما يعود جدك شايريدي إلى رشده ويلغي هذه الألعاب أويتدخل شخص ما ويلغيها.

قالتساديت: سنعيش ثلاثتنا معا، ولكن كيف يكون هذا؟ فالشاب لن ينقذ إلا فتاة واحدة، لم أفهم ما ترمين إليه؟

– صحيح، هوسينقذ فتاة واحدة ولكنه سيأخذ ثلاثة، هذا كل ما في الأمر.

– أظن أن أفكارك وكلماتك مبهمة وجد معقدة، أرجوك تكلمي بكلام أفهمه، فكيف يكون إنقاذه لفتاة هوأخذه لثلاثة، أنت تمزحين؟.

– أظن أنك نسيت ببري الأبيض الجميل والوديع، سيكون بطل المرحلة الثانية من هذه الخطة، سوف أشرح لك فاسمعيني، وقالت إيستارا: سأرسله ليتبع الشاب وبعدها يعود ويرشدنا إلى أين ذهب الشاب. تابعت إيستارا تقول:

وهذه الخطة كاملة رسمتها وكل ما بقي لنا هوأن نتمنى سيرها كما أردنا دون خطأ واحد وقالت: صحيح أن جدك جعل الألعاب احتمالية ومزج فيها عنصر الذكاء والخداع، لكن سوف يرى، سأنقذ ميراي، هزمته مرة عندما جعلته يحبس نفسه وأهله، لذلك لن تصعب عليّ هزيمته مجددا.

– من أين تأتين بكل هذه الأفكار يا عبقرية؟.

أجابت إيستارا: لا تمدحيني رجاء فأنا أعلم أني عبقرية، هذا ليس غرورا مني إنه الواقع والواقع حقيقة والحقيقة واقعة، إذن لا تنسي ما قلته لك وحاولي تنفيذ الخطة بحذافيرها فأنت ساديت، الشعاع الذي سيهزم الضياء الكاذب الذي تعيشه ميراي المسكينة.

الفصل الثالث والعشرون: ارتباك ساديت

" اللباقة تكمن في معرفتنا إلى أيّ حدّ يمكن أن نذهب في تخطّينا الحدود "

جان كوكتو

في الصباح نهض الكل كالعادة، ونهض الأطفال كذلك أما إيستارا فلم تخرج وبقيت في الغرفة بعدما أوصت ساديت بالخطة التي يجب تنفيذها.

كان الأطفال يلعبون في الساحة الواسعة تلك على مرأى من شايريدي الذي لاحظ عدم وجود إيستارا معهم تلعب، فنادى ساديت التي لبّت نداءه مباشرة واتجهت نحوه قائلة: ها أنا ذا يا جدي، ما الأمر؟

قال شايريدي: لا أرى إيستارا تلعب معكم، أين هي يا ترى؟

– لقد تركتها نائمة في الغرفة وحاولت إيقاظها مرات عدة لكنها أصرّت على أنها تريد النوم فتركتها تنام دون أن ألح عليها فتنزعج.

– حسنا يا ابنتي، شكرا لك يمكنك العودة واللعب. وهوما فعلته ساديت مباشرة.

بقي شايريدي جالسا في مكانه للحظات، ثم نهض واتجه إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وطرق الباب ثلاث طرقات ولكن الباب لم يفتح ثم نادى بصوت مؤدب: إيستارا يا ابنتي، هل أنت بخير؟ ولكن لم يتغير أي شيء، فلا إيستارا خرجت ولا الباب فُتح وقرر شايريدي أن يفتح الباب، وبدأ بدفعه ببطء لكن الباب لم يتحرك وكأنه مغلق بإحكام، وهنا ظن شايريدي

أن إيستارا هربت خاصة أنه لم يرى البر الأبيض في الأرجاء والذي كان قد ذهب يصطاد.

دفع الباب بقوة بإحدى كتفيه وفتح الباب الذي لم يكن مغلقا بتاتا إنما كان يحتكُّ بأحد الأفرشة وهوما منع فتحه بسهولة ليجد بعدها شايريدي إيستارا نائمة في مكانها وهدّأ من روعه.

اقترب من إيستارا وحاول إيقاظها ولكنها لم تستيقظ، فعاد بخطواته إلى الوراء ببطء وأغلق الباب من جديد تاركا إيستارا نائمة.

كانتساديت تلعب مع الأطفال وتراها وهي تنظر هنا وهناك، في انتظار أن يأتي ذلك الشاب لتخبره أن إيستارا فازت وبذلك ينقذ ميراي، ولكن فجأة سمعت أمها تنادي عليها، فشعرت ببعض القلق وقالت في نفسها: الآن تناديني يا أمي وفي هذا الوقت الجدّ الحرج. قالت: سأذهب مسرعة حتى لا يأتي ذلك الشاب في غيابي وبعدها تفشل خطتنا، ولكن فكرت قليلا وقالت لكايسو: اذهب إلى أمي وأخبرها أنني أرسلتك بدلا عني، وهوالأمر الذي فعله كايسودون تردد فقد كان فتى سريعا مرحا يكاد لا يتعب أبدا وعندما وصل عند روميتا قال لها: لقد أتيت بدلا عن ساديت يا خالة، فهل من شيء تودين منا فعله؟

نظرت إليه روميتا بابتسامة وقالت: شكرا لك يا كايسوولكن عد إلى ساديت وقل لها أن تأتي هي لا أحد غيرها، هيا أسرع.

أخبر كايسوساديت بما قالته له أمها فذهبت إليها وما إن وصلت حتى قالت كأنها مستعجلة: قولي رجاء ماذا تريدين يا أمي؟

قالت ساديت ذلك لأنها كانت خائفة من أن يأتي الشاب أثناء غيابها،

بذلك يأخذ الكيس صبي آخر وتفشل الخطة التي رسمتها إيستارا لإنقاذ ميراي.

قالت روميتا: ماذا دهاك يا ابنتي؟ أنا حتى لم أقل لك كلمة واحدة بعد.

قالتساديت بصوت مؤدب ولكن كأنها مستعجلة: إذن، ماذا يا أمي؟ أرجوك قولي لكي أعود للعب.

- اليوم لا تستطيع خالتك سويريتا أن تحضر الصوف لذلك الشاب لذلك قمت أنا بتحضيره بدلا عنها، إذن تفضلي هذا الكيس وإذا جاء الشاب ذاك فأعطِيه له وعودي للعب، هذا كل شيء.

احتارت ساديت في التوافق بين رغبتها وحلاوة الأقدار وقالت: منذ اليوم لن أترك أي شيء فِعلُه خير حتى ولوكنت مستعجلة وأخذت الكيس مباشرة!

وبينما كان الصبية يلعبون حتى جاء ذلك الشاب لأخذ الصوف وكعادته رفع يده محييا بها الجميع دون التلفظ ولوبكلمة وردّ الكبار التحية عليه بأن رفعوا أيديهم، وما هي إلا لحظات حتى لمح ساديت حاملة الكيس وهي تتقدم به بخطوات ثابتة وكانت تقول في نفسها: سأنقذ ميراي، كل ما يلزم هونجاح الخطة وسيرها كما نرجوأنا وإيستارا... فجأة تمتمت: أقصد أنه هومن سينقذ ميراي!

لحظات وأصبحت ساديت أمام الشاب مباشرة وهي تنظر في عينيه السوداوتين وقالت: تفضل يا سيدي. فجثى الشاب على إحدى ركبتيه ووضع القطع الذهبية، ثم حمل الكيس واستدار مباشرة. خطى خطوة ولم يتلفظ بكلمة ولم يسأل أبدا عن إيستارا ولكن فجأة استدار ونظر في عيون

ساديت دون ابتسامة بل بوجه فيه حزم شديد ثم نظر نحو الصبية وشايريدي والأعيان.

في تلك اللحظة التي استدار فيها داعب ساديت شعور بالفرحة لأنها ظنت أنه سيسألها عن إيستارا، ولكن لغة عيونها كانت كأنها تتوسل للمساعدة، لكن بعدها انكسر شعاع الأمل لدى ساديت في إنقاذ ميراي فالشاب ذاك تابع مسيره دون التلفظ بكلمة، ودون السؤال أما استدارته تلك فكانت عبارة عن تحية ذهابه بعد أن رفع يده محييا إياهم من جديد، وذلك لأنه نسي أن يحيّهم ما إن حمل الكيس واستقام واقفا، لأن عادته كانت تحيتهم عندما يستقيم مباشرة ولكن المرة هذه كان قد تقدم خطوة قبل تحيتهم.

أكمل الأطفال اللعب، أما ساديت فذهبت مسرعة عند إيستارا والدموع تذرف من عينيها وما إن دفعت الباب حتى وجدت إيستارا مستيقظة تنتظر في عودتها بخبر سارّ، ولكن ما إن رأت الدموع على وجنتي ساديت حتى قالت: ماذا جرى يا ساديت؟ ولماذا أنت تبكين هكذا؟

ردت ساديت بنبرة صوت باكية: لقد فشلت خطتنا يا إيستارا وحدث ما لم نكن نتوقعه وأظن أنه لا سبيل لنا الآن لكي ننقذ ميراي.

- تكلمي وقولي ماذا جرى؟

- لقد أتى ذلك الشاب وأخذ الكيس ثم ذهب مباشرة بعد تحية الذهاب، هذا الذي جرى ثم أتبعت: ماذا بقي لكي نفعله الآن؟ كان قليل من الأمل وقد اندثر، لم يتبقى أي شيء والخطة التي ظننا أنها موضوعة بإحكام بائت بالفشل.

صُدِمت إيستارا بكلام ساديت ولم تدري ماذا تفعل، هل تبكي على

ميراي التي هي في مواجهة مصير مجهول، أم تواسيساديت التي تبكي أمامها؟ ولكنها استجمعت قوتها ومسحت عيون ساديت وقالت: لقد فعلنا ما بوسعنا فعله، دعينا نتمنى حدوث معجزة تنقذ ميراي.

اختفت الدموع من عيون ساديت وبقيت آثارها على وجنتيها وقالت: كان الأطفال كلهم حاضرون، والمرحلة الثانية من الخطة التي قلت لي أن أفعلها لم أستطع فعلها يا إيستارا رغم أني قدمت له كيس الصوف، لأنه وضع القطع الذهبية على الأرض وقام مباشرة دون أن يتفقد الصوف حتى.

وهنا لم تتمالك إيستارا أعصابها وأمسكت بتلابيب ثوب ساديت وقالت بحدّة: غبية، غبية ولا تنفعين لشيء، ظننت أن المرحلة الثانية تُبقي على أمل ضئيل، ولكن دمرت كل شيء، ثم تابعت: أنا من أخطأت عندما ظننتُ أنك قادرة على تنفيذ الخطة، ظننت أن ساديت سوف تقول له أن الفتاة الغريبة قد فازت، ولكن ساديت كانت تنتظر أن يقول لها ذلك الشاب: أين الفتاة الغريبة يا صغيرة؟ هل فازت في الألعاب حتى أنقذها؟.. أخبريني يا ساديت؟.. هل فازت الفتاة الغريبة لأني أريد إنقاذها؟.. وتابعت تلوم ساديت وتقول: غبية..

بقيت ساديت تبكي وهي تقول: أنا آسفة.. آسفة..

الفصل الرابع والعشرون: ذكاء أم عزاء؟

" ثلاث أفزعتني وأضحكتني: مؤمِّل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يُغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربّه "

سلمان الفارسي رضي الله عنه

قالت إيستارا: اصمتي، ودعيني أفكر في أي شيء يمكن فعله الآن رغم أني لا أجد غير أن أستسلم لهذا الواقع المرّ، وفجأة أتى شايريدي وقال: ماذا هناك، لقد سمعت صراخكما فأتيت، هل من مشكلة؟

قالت إيستارا بعد أن ذهب الغضب الذي كان يترجاها في كل لحظة أن تطرده: كنت نائمة وأتت إلي وصرخت في أذني؟ كيف لا أنزعج من هذا التصرف، كاد نبض قلبي يتوقف، والآن لا تريد أن تعتذر مني.

طلب شايريدي منساديت أن تعتذر لإيستارا وهوالأمر الذي فعلته ساديت دون أن تبدي أي استياء، وقال شايريدي: جيد، والآن اذهبا للعب يا ابنتيّ؟

خرجت الاثنتان من الغرفة وقالت ساديت لإيستارا: لماذا كذبت على جدي يا إيستارا، ألم تقولي أنك لن تكذبي مجددا؟

قالت إيستارا بنبرة صوت حادة: ماذا كنت سأقول له؟ هل أقول له أن الخطة التي رسمتُها لإنقاذ ميراي قد فشلت بسبب ساديت؟

اتجهت ساديت إلى البئر وملأت دلوا لتغسل وجهها، أما إيستارا فقالت:

لا تبحثي عني رجاء، لأني أريد الجلوس لوحدي.

وفجأة لاحظ كايسوأن إيستارا ليست معهم، فسأل ساديت لأنها خرجت معها من الغرفة قبل حوالي عشرين دقيقة فقط، فأجابت ساديت بأنها لا تعلم أين ذهبت ولم تلاحظ حتى ذهابها، وسمع شايريدي كلامهم فأخذ يبحث عن إيستارا في الأرجاء، لحظات فقط قبل أن يجدها مع النسوة اللاتي كن يعددن الطعام لميراي، وقال: ما الذي أتى بك يا إيستارا إلى هنا؟ وتابع كلامه: خاصة أنك استيقظت قبل قليل على ما أظن، أولنقل أن ساديت أيقظتك.

- كنت بصدد غسل وجهي، قبل أن تداعب أنفي هذه الرائحة الطيبة والزكية، فاتبعتها حتى وجدت نفسي هنا، بتّ أريد تذوق لقمة واحدة من هذا الطعام الشهي، فهلا سمحت لي؟

- لا يا ابنتي، فحتى نحن لا نستطيع تذوقه لأنه مخصص فقط لمن يفوز في الألعاب وميراي كانت الفائزة. قالت إيستارا: لقد أخطأت فالطعام الشهي في هذه السنة خصص للخاسرة، ولم يخصص للفائزة، وبما أنك قلت قبل لحظات قليلة أن الطعام هذا مخصص لمن يفوز في الألعاب فيمكن لي أن أتذوقه على الأقل، لأني كنت أنا الفائزة في الحقيقة لولا فلسفتك تلك.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: على كل شخص يتكلم معك أن ينتقي كلماته بحذر، حسنا، احملي صحنا من الصحون التي هناك، واتجهي عند روميتا لتملأه لك ولكن قبلها اشربي القليل من العصير فهوجيد لك لأن معدتك لا تزال خاوية.

- سمعا وطاعة يا عم شايريدي، وشكرا جزيلا لك لأنك وافقت على طلبي.

– لا تشكريني بتاتا، فأنا وافقت لأنك كنت شديدة الفطنة وهذا كل ما في الأمر.

اتجهت إيستارا لتحمل صحنا من الصحون، وكان هناك صنفان من الصحون موضوعة جنب بعضها البعض وما إن كادت إيستارا تحمل صحنا حتى قال شايريدي: لا تأخذي من ذلك الصنف يا إيستارا فذلك الصنف من الصحون مخصص للخاسرة حسب مفهومك.

نظرت إيستارا إليه وقالت: أمممم.. ولكن كلنا لدينا هفوات.

بقي شايريدي ينظر لإيستارا وهومبتسم ولحظة فقط حتى رآها تسقط وانزلق الصحن الذي كانت تحمله من يديها فأسرع نحوها وساعدها على النهوض، وأخذ شايريدي يمسح على يديها الصغيرتين ويقول: امشي برفق يا إيستارا مرة أخرى، فردت عليه: تذكرني يا عم شايريدي بخالتي كوريسي، فعندما كنت أسقط كانت تمسح على يدي وتقول لي امشي برفق يا إيستارا ولا تستعجلي كي لا تسقطي مرة أخرى. ليقول شايريدي: إذن تعلمي أن تسمعي كلام الكبار.

شربت إيستارا كأسا من العصير وأكلت قليلا من الطعام المخصص لميراي، وعادت نحوالأطفال الذين كانوا يلعبون ويمرحون لكي تلعب معهم، ورأتساديت جالسة وحدها تحت إحدى الأشجار فأسرعت نحوها وقالت: ساديت، أنا آسفة، أرسلني لونفيرو شخصيا لأعتذر عمّا بدر مني!.

رفعت ساديت بصرها وقالت بصوت فيه الكثير من الحزن: ألم يخبرك بأي فكرة قد تُنجي ميراي!؟.. أقصد هل لديك أية فكرة أخرى لكي ننقذ ميراي؟ وتابعت: أنا خائفة جدا عليها.

قالت إيستارا: سأطلعك على شيء ولكن يجب أن يبقى سرا بيننا وإياك أن تبوحي به لأي أحد مهما كان، وهوالأمر الذي وافقت عليهساديت دون تردد، وقالت: أعدك أنه سوف يبقى سرا بيننا.

– لقد تذوقت قليلا من الطعام الذي تتناوله ميراي هذه الأيام، ولا يمكن أن تتخيلي كيف كان طعمه، كان لذيذا جدا لدرجة أنك تنسين أنك تعرفين المذاق الحلووتشعرين أن هناك شيئا يفوق الحلاوة، ثم رفعت رأسها قليلا وقالت أمم، كم كان طعمه رائعا وأريد تذوقه ثانية؟. وهنا قالت ساديت: ولكن كيف حدث هذا يا إيستارا؟ فهم لا يتركون أي صبي يتناول من طعام الفائز ولم يحدث هذا أبدا.

أجابت إيستارا: لكن أنت تعلمين أني ذكية، وهذا ما قد حصل يا صديقتي.

قالت ساديت: ولكن هذا لا يفيدنا في أي شيء وطبعا لن يفيدنا في إنقاذ ميراي، فأرجوك دعينا من هذا، وفكري بطريقة لننقذها، أرجوك يا إيستارا، أرجوك.

– كم أنت غبية يا ساديت؟ ألم تفهمي بعد أن ميراي تعيش في نعيم ورخاء لا يمكن لنا أن نتخيله؟ لا شك أن السعادة تغمر قلبها، آه حتى إني لأحسدها على ما تعيشه الآن وأتمنى لوكنت مكانها، لكن ماذا أفعل، يجب أن أصبر، " يا حسرتي لأني فزت هذه السنة! ".

– ماذا دهاك؟ أنسيت أنه بعد انقضاء الأيام الثلاث سيحل مكروه بالفائز، أم أن الطعام أنساك هذا، وأكثر، هل نسيت أن أمي بكت وقالت أنها تتمنى لوأمكنها إيقاف الألعاب، هل نسيت كل هذا؟ إلا إذا كنت تفضلين العيش الهنيء لثلاثة أيام وبعدها لا يهمّك ماذا سيحصل لك حتى وإن كان

سيئا، وتذكري ما قالته أمي لي عندما ضربتني، وما قالته لك عندما أرادت منك أن تنسحبي.

- كم أنت غبية ياساديت؟ قلتها وسأعيدها: غبية لأبعد حد، لا وجود أبدا للمكروه، إنما الفائز سيحصل على النعيم فقط في الثلاثة أيام وبعدها كذلك في الجزيرة، وأمك روميتا قالت لك ذلك لأنها لم تردني أن أفوز لأني غريبة عنكم، وقالت لكِ ذلك لأنها كانت تعلم أنك صديقة مقربة مني أكثر من أي فتاة أخرى، وبذلَك ضمنت أنك ستقولين لي ذلك الكلام لكي أفقد الرغبة في المشاركة.

صُدمت ساديت بالذي تسمعه، لحظات قليلة وقالت: لكن تذكري أنها جعلتني أقطع وعدا بأن لا أقول لك أية كلمة، فكيف تكون قد ضمنت أني سأخبرك بما قالته لي؟. هناك تناقض واضح في كلامك.

- اسمعيني: أولا، هي جعلتك تقطعين لها وعدا بأن لا تقولي شيئا لأنها تعلم أن الوعود تكسر وخاصة من طرفنا، نحن في السادسة عشر ولكننا لا نزال صغيرات نوعا ما، والدتك كانت تعلم أننا لا نستطيع حفظ الأسرار وتذكري أنك كنت قريبة جدا من البوح لي بما قالته لك رغم وعدك لها، لكن لحسن حظك أني كنت هناك وسمعت ما قالته لك، وبذلك جنّبتُكِ نكث الوعد الذي قطعتِه لها.

احتارت ساديت حيرة كبيرة وتغيرت ألوان وجهها واحتارت من تصدق، أمها أم إيستارا التي كل أقوالها كانت أقوالا مقنعة وفجأة قالت: لقد قلت أن أمي لم تكن تريد الفوز لك لأنك غريبة، لكن لماذا لم تفسري أنها لم ترد أن يصيبك مكروه لأنك غريبة؟

- فكري قليلا، هل يرضى الأهل أن يقع مكروه لأبنائهم أم أن يقع على

الغرباء؟ وأتبعت: مؤكد يريدون الخير لأبنائهم دائما ودائما، ولوكان هناك مكروه للفائز لحاول الأهل إنقاذ ابنهم أوابنتهم.

– أجل معك حق فيم قلته آنفا، ولكن ما الذي يجعلها تكره أن تفوزي في الألعاب، ألا تجدين أن هذا سخيف بعض الشيء؟

أجابت إيستارا: ببساطة، إنها الغيرة.

– ضحكت ساديت من كلام إيستارا الأخير وقالت: الغيرة، وسرعان ما بدأت تضحك من جديد وهي تقول: الغيرة، أمي تغار منك يا إيستارا، لقد أضحكتني حقا؟

– الأغبياء عندما لا يفهمون قول الأذكياء يفسرونه على أساس أنه غباء وهذا ما حصل معك، لقد قرأت في إحدى الكتب أن الغيرة شديدة لدى النساء ولا شك أن ذكائي جعل أمك تغار مني لأني ذكية أكثر منها ومن كل الأطفال، فلم تُرد لي المشاركة لأني سوف أفوز وبذلك تخسر ابنتها فرصة الفوز وحتى أبناء أقاربها، أصدِقيني القول، ألم تشعري بالغيرة تجاهي ذكائي؟ بدأت ساديت تتذكر، وتذكرت عندما قالت لميراي في اليوم الذي أضاعت فيه إيستارا القرط أنها تشعر بالغيرة تجاه الذكاء الذي تملكه إيستارا، وهونفس الكلام الذي قالته ميراي بعد سماع قول ساديت، فقالت ساديت لإيستارا: بصراحة معك حق.

– انتظري، انتظري، أوقعتك في الفخ يا إيستارا، قلتِ أن الشاب أخبرك أن تحذري من الألعاب، فسري هذا؟

– ذلك الشاب كذب علي، لأنه لوأراد تحذيري حقا، لكان حاول أن يأخذني من هنا بدل كلامه الفارغ، فالأصح هي الأفعال، وليست الأقوال

إلا إذا كانت نياتنا صادقة.

- لقد خربت أفكاري، أنسيتِ أن جدي لم يرسل أبي وزوج خالتي للبحث عن قريتك، وقلنا أنه كان يريدك أن تفوزي، فكيف هذا؟

- ها قد قلتها، من كنا نظنّ أنه أكبر شرير، في الحقيقة هوأفضلهم وصاحب أكبر قلب، جدك شايريدي كان يريدني أن أفوز لينسيني الفاجعة التي ألمت بقلبي بعد ما عرف أني فقدتُ أمي، ولذلك لم يرسل أباك وزوج خالتك وكذب علي لأجل أمر خيّر.

بعد هذا الكلام اقتنعتساديت بكلام إيستارا تماما وقالت: ما أشد ذكاءك، أتمنى لوكنت ذكية مثلك ولكن كيف لم تنتبهي لهذا من قبل حتى بقينا نفكر ونظن أن ميراي سيحدث لها مكروه، وهي لا شك أنها ستذهب إلى الجزيرة الخلابة، جزيرة الضياء؟.

- افهمي، لولا ذلك الطعام اللذيذ الذي ذوقه فاق الحلو، لما توصلت لهذا الاستنتاج، لذلك انزعي ثوب الحزن عنك وهيا بنا نلعب فقد تحدثنا كثيرا على ما أظن وقالت: اعلمي أن الأذكياء أنفسهم يعانون لكي يفهموا الأمور أويبسطوا الأمور.

الفصل الخامس والعشرون: لغز الضيعة

" إذا كان لا مفرّ من الاختيار، أفضل أن أرتكب فعلا شائنا على أن أرتكب فعلا قاسيا "

أناتول فرانس

وحل اليوم الثالث أخيرا، واستيقظ الجميع كالعادة، أمضت النسوة اليوم في أعمالهن الخاصة أما أمّ ميراي سويريتا فكانت شاحبة الوجه وتملأ الكآبة تعابيرها ورحلت عنها ابتسامتها البشوشة، ولم تكن تستطع حتى اصطناع بسمة واحدة.

كانت روميتا والنسوة الأخريات يبادلنها أطراف الحديث وكأنهن يردن أن ينسينها ألما حل ضيفا على قلبها بدون دعوة قبيل أقل من يومين، والألم ذاك لم يكن سوى فوز ابنتها ميراي في هذه السنة، ومرّ اليوم بكامله والأحزان تلف صدرها وتعصره عصرا وأطبق فك الألم على قلبها تماما ما إن حل الليل، وهرعت إلى غرفتها دون أن تسيغ لها لقمة واحدة وأغلقت الباب ومسكت الوسادة وأخذت تفرغ دموعها فوق الوسادة التي استقبلت الدموع النازلة بصدر رحب، وتلك الدموع كانت حمما تحرق خديها، وفي كل لحظة كانت تكبح صوتها حتى لا تُسمع من الخارج، ولم يبقى غير الأنين يتأرجح بين زوايا الغرفة التي كانت تنهر ظلمتها شمعة صغيرة أسالت الشمع على الأرضية، وكأنها تقول لسويريتا: حتى أنا أبكي لألمك وأريد أن أحاكي دموعك بشمعي واتجهت النسوة كلهن بعد العشاء إلى غرفهن بأمر من

الأعيان أي شايريدي وريوساي وأزواجهم، ونهر شايريدي الأطفال كلهم بصوت خشن كاد أن يزحزح القلوب الصغيرة للأطفال عن أماكنها بما فيهم إيستارا، فهولم يتكلم أمام إيستارا بنبرة الصوت تلك أبدا وقال:كل يقصد غرفته للنوم، ففزع الأطفال، واتجه الكل لينام، واتجهت إيستارا وساديت اللتان كانت قلوبهما تخفقان بشدة من خلال تغير تصرف شايريدي، رغم أن هذه لم تكن المرة الأولى التي تسمعه ساديت يتكلم فيها بهذه النبرة، فقد كانت نبرته نفسها عندما يحين إرسال الفائز إلى جزيرة الضياء على حدّ قوله.

كانت البوابة الرئيسية موصدة وكل ما تبقى بالنسبة لشايريدي والرجال من أفراد عائلته هوغلق أبواب ونوافذ الغرف من الخارج لألّا يخرج أي صبي وإن كان هذا الأمر غير وارد الحدوث باستثناء تجرأ إيستارا على فعله.

نام الأطفال كلهم ولكن إيستارا كانت لا تزال مستيقظة وجوانحها الرقيقة ترتجف من شدة الخوف على ميراي التي لا تعلم ماذا سيحدث لها.

كانت ميراي قد تناولت عشاءها الفاخر، وبعد أن تأكد شايريدي من أنها أنهت عشائها طلب من ريوساي أن يأخذ كأسا من العصيرلميراي وأن لا يبرح غرفتها تلك حتى يتأكد أن ميراي شربت الكأس كله، فالكأس كان بها مخدر يجعل ميراي تنام حوالي ساعتين.

كانت إيستارا في الغرفة مع ساديت التي نامت مباشرة أما إيستارا فكانت تفكر هل سيأتي ذلك الشاب وينقذ ميراي فهوالأمل الوحيد الذي تبقى، ولكنها لم تستطع أن تصبر حتى يأتي ذلك الشاب، هذا إن أتى أصلا فاتجهت نحوالباب وحاولت فتحه ولكنها تفاجأت عندما لم يُفتح وأدركت أنهم قاموا بغلق الباب من الخارج لكي لا يستطيع أي أحد الخروج ولم تبقى لها سوى النافذة لكي تحقق مرادها في الخروج من الغرفة، ولكن النافذة كذلك

كانت مغلقة من الخارج ولم تجد أية طريقة للخروج.

عادت إلى فراشها، وهي تأمل أن يأتي ذلك الشاب لكي ينقذ ميراي، ولكن شعاع الأمل ذلك كله تبدد في لحظة، عندما تذكرت أن الغرفة التي يقيم فيها الفائز في الأيام الثلاثة تبقى محروسة من كل الجوانب وكذلك فوق السقف وبدأت تنسج بأفكارها طريقة يتمكن بها الشاب من إنقاذ ميراي وكان ما تبادر لذهنها هوأن يقتلهم الشاب بما أنه يملك جسما قويا ولكنها قالت: وإن يكن، صحيح أنه يملك جسدا قويا، ولكن ماذا بوسعه أن يفعل لوكانوا يحملون سيوفا فهم في الأخير يفوقونه عددا؟

ثم عادت وقالت في سرها: لكن لا بد وأن يكون له أصدقاء ويمكن أن يطلب مساعدتهم وبذلك يسهل كثيرا إنقاذ ميراي، فجأة وضعت رأسها على الوسادة وبدأت تقول: سامحيني يا ميراي، لقد فعلت كل ما يمكنني فعله لإنقاذك ولكن لم أستطع، وذلك الشاب لوأنه أراد مساعدتنا لكان فعل في اليومين السابقين، لا، بل كان ليساعد الفائز في الأعوام السابقة على النجاة.

هذا وبعد أن تأكد شايريدي من أن الغرف أُغْلقت كلها حمل مشعلا واتجه نحوتلك الناحية التي كانت محرمة على الأطَفال ومشى الآخرون خلفه، حتى والد ميراي، كايفيري، وكل واحد منهم يحمل مشعلا في يده. لم تمضي سوى دقائق معدودة حتى وصلوا إلى هناك وقاموا بتثبيت المشاعل تلك بالقرب من ذلك الشيء المغطى بالقماش الأسود الذي لم يفهم الأطفال ما هو، وحتى إيستارا رغم أنها حاولت أن تعرف وتراجعت بسبب الوعد الذي قطعته لشايريدي.

أنارت النار الملتهبة في رأس كل مشعل ذلك المكان وطردت الظلام الذي

كان يستولي على تلك الناحية وبدأ شايريدي والآخرون بمحاولة نزع القماش الذي كان يغطي ذلك الشيء بعد أن أحاطوا به من كل ناحية، ولحظات فقط قبل أن يبدأ التراب بالتقلب فوق سطح الأرض، فالقماش ذاك كان موضوعا فوق ذلك الشيء لتدفن حواف القماش بعدها في الأرض.

كان جليا أن القماش كان تحت الأرض وعميق نسبيا، فلورأيتهم وهويحاولون نزعه لعلمت أنهم احتاجوا قوة كبيرة لإخراجه وبعد ذلك عاد الإخوة كلهم إلى الوراء وهم يشهقون ويزفرون، فقد كان إخراج القماش من تحت الأرض شاقا أما شايريدي الذي رغم كبر سنه إلا أنه أخذ نفسا عميقا واحدا وأخرجه وبعد ذلك اصطف الجميع على مستوى واحد وقاموا بإحكام قبضاتهم على القطعة القماشية تلك وأخذوا يرجعون في خطاهم إلى الوراء ولم يكن من السهل بتاتا نزع القماش رغم قوتهم، خاصة أن ما كان تحت القطعة القماشية كان يفوق ارتفاعه العشرين مترا. كانوا يتراجعون إلى الوراء بشق الأنفس والقماش ذلك ينتزع من فوق ذلك الشيء شيئا فشيئا وينسحب فوقه ببطء وأخيرا صار الشيء ذلك جليا للعيون، كان عبارة عن بناء حجري، ذوجدران حجرية ويتجلى لك أنه قديم جدا، ولكنه لا يزال شديد المتانة والصلابة.

حمل شايريدي مشعلا في يده وبدأ يمشي حول البناء وكان أخوه ريوساي خلفه. التفت شايريدي إلى إحدى اللبنات الحجرية وقال: بناء قديم كهذا يحتوي على آلاف من اللبنات، ولبنة واحدة تحتوي على الأحجية... وسمعه ريوساي فقال: تحتوي على ماذا يا أخي؟

قال شايريدي: يقولون أن العبقرية التي ليس لها تفسير "لونفيروكيمراي " قد... فجأة غير الموضوع وقال: الأفضل أن لا تسأل يا ريوساي، هناك

الكثير من الأمور التي يجب أن تبقى جاهلا إياها، فهيا نتابع عملنا. ليرد ريوساي: حسنا، كما شئت يا أخي.

أما الناظر لهذا البناء لأول مرة فيغرق في التساؤلات حول ماهية هذا البناء الذي يتوارى خلف الأشجار الكثيفة والفارعة الطول التي تحيط بهذه الضيعة الصغيرة.

هل هومعبد يأتي إليه كل شخص ليتعبد فيه ويدعوالسداد في أمور حياته؟ كل حسب ديانته ومعتقداته، أم أنه ضريح اتخذه البعض مزارا لهم يمنون أنفسهم برجاء منقطع الأنفاس من ذنوب خنقت وقتلت الإحساس كل حسب عاداته وتقاليده؟ أم أنه بقايا أطلال ولّى عليها الزمن وغشاها غباره اللاذع الصامت وظلاله الشاحبة، ومع هذا ما يزال محتفظا بهيبته والتي تتجلى في هيئته التي يظهر عليها هذا النصب. تتجلى رهبته أكثر وأكثر كل لحظة فيبدوكأنه صرح وما هوبصرح، ويبدوكأنه حصن وما هوبحصن، فكل تخيل عن ماهيته بالتحديد لا يبلغه، فبقدر ما يُعجز التفكير، يصدم الوجدان ويجعله جاثيا بعينين جاحظتين من هول الصدمة عند إدراك حقيقته التي تصلب الأطراف وتقطع بصيص الأمل في الحياة، بل ورؤية جمالها ومفاتنها عند لمس حقيقة ذلك البناء عن قرب. كان يقارب ارتفاعه العشرين مترا أوأكثر وطوله حوالي خمسة عشر مترا، وكان مشيدا بطريقة توحي أنه يؤدي إلى النهاية المحتومة لكل إنسان، ألا وهي الموت.

كان هذا البناء مشيدا على أرضية مربعة شيدت جدرانها من الصخر الصلب القاسي وتراصت اللبنات فيما بينها بملاط من الطين والصلصال لتكون متماسكة جدا فيما بينها، ومن الجانب الأمامي له كانت هناك بوابة خشبية ضخمة. وبمجرد فتحها تظهر أدراج لولبية تؤدي إلى الأعلى، في

نهايتها كانت هناك ساحة ذات شكل بيضوي، يعتلي هذه الساحة في الجهة العلوية مقاعد للجلوس مصنوعة من جلود الحيوانات وأوبارها، مزينة بشكل يبعث الخوف في عين الناظر، وكان هناك طريق يميل إلى الضيق يبدأ بمجرد نهاية تلك الأدراج الضيقة ليمتد بقبضته على تلك الساحة ويمتد متخذا شكلا حلزوني، عند بدايته باب لدى شايريدي مفتاحها وعلى طرفي هذا الطريق الحلزوني يرتفع جدار بعلومترين، وينتهي عند فتحة دائرية الشكل، إذا رميت ببصرك من خلالها ستظن أنها لا توحي إلا بمغيب حياة الشخص الذي يسقط من خلالها، وكان هناك سلم حديدي يربط بين حافة الفتحة الدائرية والقاع.

أما بالعودة إلى الجدران الداخلية، فكان كل واحد يبعد بثلاثة أمتار عن الجدار الخارجي المقابل له، والبعد بين الجدار الداخلي والجدار الداخلي المقابل له هوسبعة أمتار، ليكون المجموع خمسة عشر مترا مع سمك اللبنات الذي كان حوالي نصف متر. أما نهاية هذا البناء من الخارج فقد كان متخذا شكل قبة، تعرف هذا من خلال النظر إلى السقف المقبب.

وفي ذلك اليوم الذي رأت فيه إيستارا الرجال ينقلون حزم الأخشاب وعندما قال ريوساي لأخيه " أظن أننا نقلنا ما يكفي لندخره "، كانوا استراحوا لفترة قصيرة ثم تابعوا نقل الحزم ولكن إلى الناحية المحرمة على الأطفال.

بدأ الرجال بإدخال حزم الأخشاب إلى البناء، وكل واحد يحمل حزمتين بيديه ويعطيهما فيما بعد لشايريدي الذي كان يلقي بالحزم من خلال تلك الفتحة الدائرية الشكل.

أمر شايريدي كلا من كايفيري زوج سويريتا، وآريناي زوج روميتا،

وجينيوسي زوج ماوريسي بالمغادرة، ففعلوا كما أمرهم ونزلوا الأدراج اللولبية بمشعل كان يحمله آريناي وكان هذا الأخير وجينيوسي يحاولان مواساة كايفيري الذي كان يرى أنه مغلوب على أمره وأن ما بيده أية حيلة، كانت الدموع تنهمر من عينيه وكان الاثنان يحاولان مواساته بكلّ طريقة، وإن لم تكن هناك أي طريقة للمواساة إن كانت فلذة الكبد ستواجه خطرا محدقا. أدخِلت الأخشاب كلها وأتى ريوساي بميراي، وكانت نائمة بعد شربها ذلكَ المشروب الذي كان فيه مخدر يجعل الإنسان نائما تحت تأثيره، وبعد ذلك رمى شايريدي المشعل الذي كان في يده من تلك الفتحة وبعد دقائق معدودة بدأت النيران تهاجم في تلك الفتحة بشراسة لم يشهد لها أي مثيل. عصب شايريدي عيني ميراي وربط يديها وبدأ يقول: سامحينا يا ابنتي، ولكن في هذه الحياة هناك من يجب أن يضحي...

لحظات ورشّ ميراي بقطرات ماء باردة، وهذا من خلال جرة صغيرة كان قد أتى بها، وما إن استفاقت ميراي حتى وجدت نفسها ملقاة على أرضية حجرية، كانت بداية الطريق الحلزوني، فاستقامت واقفة وبدأت تحاول فك أيديها ولكن محاولاتها باءت بالفشل.

أغلق شايريدي باب الطريق الحزوني، ثم دخلت العجائز، لايفيتا، جودفيتا ورياكشا وهنّ يحملن مشاعلا في أيديهن، ومعهنّ كذلك دوكيجواي، والكلّ مُرتدٍ عباءة سوداء. أما دوكيجواي فقد كان يحمل عباءتين حتى يرتديهما كل من شايريدي وريوساي. اتجهوا وجلسوا على المقاعد الموضوعة في الجهة العلوية، هذا في انتظار أن يلحق بهم شايريدي. كان ريوساي جالسا مع الأربعة وبصدد ارتداء العباءة، وعندما التحق بهم شايريدي قال مخاطبا ريوساي: لقد تعبتَ كثيرا يا أخي هذه السنة، نحن خمسة وهذا يكفي، يمكنك الذهاب للنوم، وإن أردت البقاء فلك ذلك. قال ريوساي: معك

حق، نحن ستة، ذهابي لن يؤثر. وهكذا خرج ريوساي مباشرة وقصد حجرته لينام بعد أن كان شايريدي قد ناوله المشعل، أما المشاعل الأربعة فقد وضعت في أماكن مخصصة لها في الجدار الخلفي للبناء، ثم عصب الخمسة عيونهم. كان الظلام حالكا بالنسبة لهم، لكن الوهج البرتقالي كان ينير بعض الجوانب فقط من البناء دون أن يصل إلى الطريق الحلزونية التي تؤدي إلى سقوط الماشي فيها إلى الهاوية.

كانت ميراي عند بداية الطريق الحلزونية أين تركها جدها، وبما أن شايريدي أغلق باب الطريق الحلزوني الذي يوجد على طرفيه جدار ارتفاعه حوالي مترين فلم يكن باستطاعتها الخروج، وبدأت ميراي بالتقدم صوب الفتحة الدائرية.

لم تكن ميراي المسكينة تعلم أين هي بتاتا، فعيونها معصوبة بقطعة قماشية سوداء، أما يداها فكانتا مربوطتان، وحاولت تحريرهما ولكنها لم تستطع فقد كان الخيط الذي رُبطت به يداها متينا جدا وبذلك كان من المستحيل أن تنزع العصابة السوداء عن عينيها لترى أين هي، فجأة بدأت تقول أمي، أين أنت؟ أمي... ونادت على أبيها الذي كان قلبه يعتصر حرقة على ابنته، ولكن هذا خارج البناء، أما أمها سويريتا فكانت تذرف الدموع في غرفتها.

بدأت ميراي تحسّ بالتعرق وكلما خطت خطوة في الطريق الحلزونية كانت تقترب من نهايتها، والنار المتأججة كانت تسبب حرارة كبيرة تجعل كل شخص يحس بالتعرق الشديد، وواصلت المشي والتقدم وهي لا تعلم إلى أين تتجه.

عرفت ميراي أنها تتقدم وفق طريق حلزونية، فقررت أن تمشي في الاتجاه المعاكس، لكن ما إن وضعت أول خطوة في الاتجاه المعاكس حتى رفعتها

بعدما أحسّت أنها قد أحرقت قدمها، صرخت بأعلى صوتها: أمي، أبي... أمي... أبي.. وكان صراخها المصاحب بنبرة بكاء شديد يتردد صداه في أنحاء البناء الضخم لكن هذا لم يحرك ساكنا للأعيان الجالسين، هذا في حين كانت حرارة الأرضية لا تزال تنخفض بتقدم ميراي وترتفع إذا ما تراجعت للخلف ولم تفهم السبب، لذلك لم يكن بيدها أية حيلة سوى أن تتقدم حتى أصبحت إحدى رجليها في الهواء والأخرى على الأرض وحملت رجلها الأخرى التي كانت على الأرض، لحظات فقط قبل أن يسمع صراخ يكاد يصم الآذان تردد صداه في أرجاء ذلك البناء.

قال شايريدي: سامحينا، سامحينا يا ابنتي، لكن هذا، كان مصير الفائز في الألعاب، أرجوأن تسامحينا. كما سبق وقلت: هناك أناس يجب أن يضحوا في هذه الحياة. تمتم شايريدي قائلا: الأمر الجميل هوأن هذا الأمر انتهى..مرّت فترة ليست بالطويلة ليقول شايريدي مخاطبا الأعيان: حسنا، دعونا نغادر هذه المحرقة الآن، فلدينا عمل في الغد إن بقينا أحياء..هيا اخرجوا..

يتبعه الجزء الثاني إن شاء الله: النّاعقة المسبيّة

الكتاب الأول من سلسلة عهد النّساك وفسيفساءات الآثام
" شذرات من ماضي مجنون "
رواية نباريس الموت

الأطفال الظرفاء، لماذا لا يرون فراشة براءتهم؟ أجل، لأنهم أطفال! فراشة البراءة التي تتراقص داخلهم لها قدرة عجيبة جدا على مداعبة أحاسيسنا. تلك الفراشة، كانت تقبع في أعماقنا، لكن بانتهاء مرحلة الطفولة، سيكون من الصعب جدا رؤيتها داخلنا، لذلك نراها من خلال الصغار. مهلا، ماذا يحدث لفراشة براءتنا نحن إذن؟ لا تتلاشى، لكنها تنام! للأسف، ليس لنا مناداتها باسمها! لا نستطيع ملامسة أجنحتها حتى نوقظها، ماذا سنفعل؟. الأمر "بسيط جدا"، علينا جعل الروح روح طفل ظريف، طاهرة ونقية. عندها تستيقظ فراشة براءتنا!. نغدوكشرنقة رقيقة تمزقها أتفه الأشياء، فكلّ انكسار سيكون مدمرا، وكل ألم، يعذبنا بقسوة، لكن البركة التي يمنحنا إياها الله ستكون أعظم. تكمن البركة في أن فراشة براءتنا ستتراقص فوق صفحات الروح من جديد، دون أيّ خوف، تحلق دون حزن، أرضها السكينة، وسمائها طمأنينة نادرة. حينها ستنساب عبر الأفكار، تكشف لنا الكثير من الأسرار. في هذه القصة استيقظت فراشة البراءة داخل " إيستارا جايكوي " فكانت وراء تشكيل بداية جديدة أكثر إشراقا لقصة " لونفيروكيمرّاي ".